حقائق وغرائب

- أذهان بلا حدود
- قراءة المستقبل
- عالم الأحلام
- أسرار التنجيم
- غرائب وألغاز

لماذا هذا الكتاب

مشكلة الإنسان المعاصر انه انفصل عن الطبيعة والكون والفلسفة . استغرقته حياته اليومية بحيث لم يعد يفكر فى غيرها ، لم يعد الإنسان ـ وبخاصة ساكن المدن ـ يرى مظاهر الطبيعة من حوله ، قد تمر عليه أيام أو أسابيع أو شهور دون أن يتطلع الى صفحة السماء ليشاهد ما فيها من نجوم وأقمار ، أو يسير فى حديقة فيحاء أو يتأمل وردة ويتمتع بشذاها العطر ، دون أن يفكر فى الكون وأعماقه والغازه وغرائبه ، دون أن يتساءل عن وضعه فى هذا الكون ، وحقيقته ، من أين جاء والى أين يمضى . .

لقد أصبح الإنسان المعاصر ـ كما وصف بحق ـ أشبه بمسمار فى آلة كبيرة ، أو ترس فى ماكينة جبارة يدور حيث تدور ، وهذه الماكينة هى الحياة المدنية المعاصرة بكل مؤسساتها الإجتماعية وضرورياتها المعيشية .

فالإنسان يذهب الى عمله ، ويخوض مشاكله وصراعاته ، ويقلق على لقمة عيشه ومستقبله ، ويدخل فى علاقات متشابكة مع الآخرين ، ولا يتبقى له بعد ذلك أى وقت أو جهد أو ميل للإهتمام بأى شىء آخر ، لقد إنتهى أو كاد « الإنسان الكونى » أى ذلك الذى يشعر بصلته المباشرة بالكون ، وحل محله « الإنسان الإجتماعى » أى ذلك الذى يقصر اهتماماته على المجتمع المحيط به .

هذا الوضع جرد الإنسان المعاصر من أعماقه وأبعاده ، جعله مسطحاً لا يكاد يعرف لنفسه معنى أو غاية ، جعله أقرب الى الضياع والتعاسة مهما حقق من تقدم تكنولوجى ورفاهية مادية . ولم يكن ذلك هو وضع الإنسان فى العصور الماضية ، فبالرغم من انها كانت أقل تقدما من الناحية المادية إلا أنها

كانت تتيح فرصة أكبر أمام الإنسان للتفكير فى الطبيعة وما وراء الطبيعة والكون ، وفى هذه العصور ظهرت الأديان والمذاهب والفلسفات الكبرى التى لانزال نعيش على هداها الى اليوم .

وحتى تستقيم حياتنا المعاصرة لابد من العودة الى البعد الكونى ، لابد من مد آفاق الإهتمامات البشرية الى ما وراء حدود المجتمع والإهتمامات اليومية . لابد أن تستوقفنا أسرار هذا الكون التى تعودنا أن نتجاهلها ولذلك فإنها تبدو لنا خارقة وغير مألوفة .

فالحقيقة اننا نعيش فى كون شديد الغرابة وملىء بالأسرار ، وكلما تقدم العلم ازددنا دهشة وحيرة ازاء أسرار الكون . . وتكشفت أمامنا قوانين كنا نجهلها ، وحقائق لم نكن نحلم بوجودها ، من ذلك ، مثلا ، ماتبين لنا اليوم من أن الكون فى أساسه طاقة وليس مادة جامدة كقوالب الطوب . فالذرة التى كنا حتى الأمس القريب نظنها أصغر وحدة مادية لايمكن تفتيتها إذ هى مجرد تركيبة كهربية أو طاقة مجمدة ، والعقل البشرى الذى كنا نظنه مجرد إفراز للمخ إذ هو قوة لا نعرف مداها ولا نستطيع أن نسبر غورها .

اننا اليوم نستطيع أن نفهم عن أسرار الكون والنفس البشرية أفضل مما كنا نفهم فى الماضى ، وكثير مما كنا نتصوره ظواهر خارقة لا تفسير لها إلا بقوى ما وراء الطبيعة إذ هى ظواهر عادية تحكمها قوانين كانت غائبة عنا . المشكلة الوحيدة التى تعترض الآن فهمنا لمزيد من هذه القوانين هى انصراف اذهاننا عموما عن التفكير الكونى وإنغلاقنا داخل الدائرة المادية المحدودة التى نعيش فيها حياتنا اليومية .

ومن هنا نشأت فكرة الكتاب وما يضمه من موضوعات يتعلق بعضها ، بألغاز الكون المتعدد الأبعاد وبعضها يتعلق بأسرار النفس وما تنطوى عليه من قوى خارقة . ومثل هذه الموضوعات ليست مجرد شطحات وإنما أصبحت الآن فروضا علمية يبحثها العلماء وتخضع للتجارب المعملية . وقد ساهم الإعتراف بعلم الباراسيكلوجى وعلم الروح فى فهم وتفسير كثير من هذه الظواهر الخارقة ، أو التى كنا نظنها كذلك .

المادية والطريق المغلق

والصراع بين المادية والمثالية قديم منذ فجر التفكير الإنسانى . الماديون لايرون فى هذا العالم سوى المادة الصلبة التى تدرك بالحواس وما عداها أوهام وتخيلات لا أساس لها ولا يعتد بها ، والمثاليون يرون ان هذا العالم المادى ليس فى حقيقته سوى انعكاس لعالم آخر هو عالم الروح والمثال والحقيقة المطلقة .

وقد أحرز الفكر المادى إنتصارا كبيرا فى أوروبا فى أعقاب عصر النهضة كرد فعل للتجاوزات السيئة من جانب الكنيسة ورجال الدين المسيحى خلال القرون الوسطى . فصار الناس يقولون : ما دام هذا الجهل والظلم والظلام يفرض باسم الدين والروح فلا سبيل إلا أن نطرح كل هذه الأفكار المثالية جانبا ولا نؤمن بغير المادة التى نراها بأعيننا ونلمسها بأصابعنا ، هكذا أخذ يفكر علماء ومفكرو أوروبا فى العصور الحديثة ، وما أن حل القرن التاسع عشر حتى كادت تكتمل سيطرة الفكر المادى نتيجة لتوالى الإكتشافات العلمية المذهلة التى نقلت البشرية الى عصر جديد من التقدم والرفاهية .

وظن الماديون أن قد خلا لهم الجو تماما ، وعقد لهم لواء النصر نهائيا ، ولكنهم كانوا واهمين ، فهم فى حماستهم لإكتشاف القوانين المادية الجديدة تجاهلوا الجانب الروحى وهو الوجه الآخر والأساسى من الحقيقة ، وبذلك أغلقوا أنفسهم فى الدائرة المادية الضيقة وعجزوا عن رؤية أى شىء خارج هذه الدائرة .

وكانت النتيجة أن قاسى الإنسان تحت وطأة الماديين بمثل ما قاسى أو أكثر تحت وطأة رجال الكنيسة فى القرون الوسطى . لقد جرد الماديون الإنسان من بعده الروحى ، وحرموه من التطلع الى ما وراء الأسوار المادية التى تحيط به والتى تصنعها فى الواقع حواسه الخمس ، فإذا حاول فؤاده أن ينطلق خارج هذه الأسوار أحنوا عليه باللائمة واتهموه بالتخلف والجهل واللاعقلانية .

ولكن لم يلبث العقل أن خف الى مساعدة الفؤاد ، إذ مع تقدم العلم فى القرن العشرين سقطت حدود المادة وإذ بحجبها واستارها الغليظة تبدو أشبه بالستر الشفافة التى لاتكاد تخفى ما وراءها من عالم الروح المتسع الأرجاء

وأصبح العلماء الماديون أنفسهم يقرون بعجزهم عن فهم الحقيقة بعد أن كانوا يظنون أنها فى متناول أيديهم .

لقد فهم العلماء الماديون مثلا كيف تعمل قوانين المادة ولكنهم لم يستطيعوا أن يفهموا لماذا تعمل على هذا النحو ، عرفوا مثلا التفاعلات الكيماوية التى تحدث فى الجسم البشرى ولكنهم لم يعرفوا لماذا تنشط هذه التفاعلات أصلا وما الذى يجعلها بهذا القدر من الإنضباط ، بلا تفريط ولا افراط ؟ ان المعرفة المادية تقف عند حد معين لاتتعداه ، ولابد أن هناك حقائق أخرى مجهولة خارج أسوار تلك المادة .

سراب التقدم المادى

وفى نفس الوقت بدأ الناس يشعرون أن الواحات الفيحاء التى يعدهم بها التقدم العلمى المادى ليست سوى سراب ، حقا ، لقد قدمت المخترعات الحديثة والتقدم التكنولوجى الجبار كثيرا من وسائل الراحة المادية التى تبدو ضربا من المعجزات ، ولكن هذه الوسائل لم تجلب الراحة المنشودة للإنسان ، بل على العكس أتت معها بما يفوقها من المتاعب والتناقضات ، وبالرغم من التقدم المادى الذى أحرزه العصر سقط الإنسان فريسة للهم والقلق والأمراض النفسية والعقلية ، وقامت الحروب والمنازعات بين الدول ، وبلغ سباق التسلح حدا يهدد بتدمير البشرية كلها .

من المتناقضات مثلا فى هذا العصر المادى انه فى الوقت الذى استطاع الإنسان الغاء حدود المكان والزمان بفضل المخترعات الحديثة كالطائرة والسيارة والبرق والإذاعة والتليفزيون نجد أن الفواصل بين الدول والشعوب زادت قوة وامتناعا نتيجة للحدود الدولية ، والحواجز الجمركية ، والمنازعات السياسية ، وغير ذلك من المتاريس التى يبثها هذا العصر بين أبنائه .

وبعد ان كانت الحروب فى الماضى تقوم على الشجاعة الفردية ويقتصر خطرها على المحاربين أنفسهم صارت الحروب الحديثة شاملة لاتفرق بين العسكريين والمدنيين ، ولا تستثنى شيخا أو امرأة أو طفلا ، وإنما تهلك الجميع بأسلحة الدمار الشامل التى يطلقها محاربون لا يرون خصومهم ، ولا يواجهون عدوهم وجها لوجه .

وأصبح الإنسان فى العصر المادى الحديث شرها لا يرضيه شيء ولا يقنع بشيء ، كلما أحرز من وسائل الرفاهية والترف إزداد حاجة الى المزيد وشعورا بالنقص والحرمان ، لقد فقد إنسان العصر الحديث تماما فضيلة القناعة ، وهى فضيلة لاغنى عنها للتوازن النفسى .

بل لقد انهار التوازن النفسى كلية للجماعات والأفراد . . فأنتشرت مشاعر القلق والتوتر والقسوة وانعدام الثقة فى العلاقات الإنسانية ، وتوارت مشاعر الحب والرحمة والحنان والإيمان فإين هى الراحة التى جاء بها التقدم المادى ؟

لقد سلب هذا التقدم باليمين ما أعطى باليسار ، وما أن تذوقنا ثماره الناضجة حتى تبين لنا أنها تنطوى على مرارة هائلة .

حان وقت المراجعة

لقد حان وقت مراجعة النفس وتعديل المسار . حان وقت الخروج من قيود النظرة المادية الضيقة التى تحبس النفس البشرية وتعوقها عن الانطلاق . لقد فرضنا على أنفسنا الحياة فى عالم أحادى الابعاد تحوطه الأسوار المادية من كل جانب ، والحقيقة ان العالم الذى نعيش فيه متعدد الأبعاد ، عالم الروح والمادة ، عالم المثال والواقع ، عالم السر والشهادة ، ما ندركه منه بحواسنا المادية الخمس ليس سوى القشور التى لا تغنى ولا تشبع من جوع . أما ما تحت هذه القشور من أعماق هائلة ، وأسرار كبرى ، فلابد لإستجلائها من نظرة جديدة لا تتنكر للقوانين المادية التى كان إكتشافها مفخرة للعقل البشرى ، لكنها تتسع أيضا وفى نفس الوقت للحقائق الروحية التى غفلنا عنها زمنا طويلا .

ليس المطلوب التنكر للتقدم العلمى المادى والإرتداد الى عصور الخرافة والحدس والعجز ، وإنما المطلوب مد النظر لإستشراف ما فى هذا الكون من قيم روحية عليا هى الكفيلة بإخراج الإنسان من أزمته المعاصرة .

وهذه هى مهمة هذا العصر التى يمكن أن يحققها بالقلب والعقل معاً . . البحث عن آفاق جديدة تعيد للإنسان ثقته وتوازنه وإرتباطه بالحياة والطبيعة والكون .

وهذا هو منطلق هذا الكتاب الذى استمد المؤلف معظم معلوماته من سلسلة **The Supernatural** التى أصدرتها دار « دانبرى » للنشر تحت إشراف كولين ويلسون ويورى جيللر .

محمد العزب موسى

□ اذهان بلا حدود :

- ○ الباراسيكلوجى او ما وراء علم النفس
- ○ هاتف بلا أسلاك
- ○ الحاسة السادسة فى معامل الاختبار
- ○ البحث عن أساس مادى للباراسيكلوجى

الباراســـــيكلوجى
أو ما وراء علم النفس

أذكر جيدا عندما كنت فى الحادية عشرة من عمرى ، أو فى أولى ثانوى بالنظام القديم ، اننى كنت شغوفا الى أقصى حد بإحدى مجلات الأولاد التى كانت تصدر فى ذلك الحين . كانت هذه المجلة تصدر صباح كل خميس ، وكنت أقضى الليلة السابقة مشوقا الى صدورها فى الصباح ، وعندئذ أكون فى الشارع فى ساعة مبكرة جدا لأحصل على مجلتى المحبوبة .

وصباح ذات خميس ، استيقظت مبكراً وقلت لأختى وهى طفلة أيضا تشاركنى نفس الإهتمام بالمجلة : لقد حلمت اننى إشتريت المجلة وكان فيها كيت وكيت ، ومضيت أصف صورة الغلاف ومغامرات شخصيات المجلة الشهيرة ، فالقرد بيانكى يفعل كذا ، وابن جحا يفعل كيت ، والكشاف الباسل يبدأ مغامرة جديدة ضد عصابة تهريب ، وهكذا .

ونزلت الى الشارع بعد أن ازدرت طعام الافطار ، وإشتريت المجلة ، ولدهشتى الشديدة وجدت على غلافها نفس الصورة التى رأيتها فى الحلم ، وازدادت دهشتى عندما فتحت صفحاتها وأخذت أقلب فيها حين طالعتنى نفس الموضوعات الى رأيتها فى المنام ، كأننى كنت أقرأها أثناء نومى على سريرى بالفعل ، فدق قلبى بشدة ، وسارعت الى اختى وأريتها المجلة وما فيها من موضوعات حدثتها عنها . . فأبدت هى أيضا دهشتها الشديدة .

هذه القصة أغامر بروايتها فى صدر هذا الكتاب لعلمى انها سوف تثير شكوك كثيرين من القراء ، أو سوف اتهم على الأقل بأننى متحيز للباراسيكلوجى ، ومن ثم يكون حديثى عنه غير محايد أو موضوعى ، وهو

شعور يكفى أى قارىء لأن يضع الكتاب جانبا ، والحقيقة اننى أكتب عن هذه الظاهرة من معسكر المتشككين المتروين لا من معسكر القابلين المتحمسين ، أو الرافضين المتزمتين .

ومن حق كل قارىء أن يشك فى هذه القصة وأمثالها ، بل أن والدىّ وغيرهما من الكبار حين حدثتهم بهذا الحلم الغريب وأريتهم المجلة اثباتا لصدق كلامى ، إبتسموا ولم يصدقوا ، ولم تشفع لى شهادة أختى باننى حدثتها عن الحلم قبل شراء المجلة ، واعتقدوا جميعا اننا نهزل !

هذه القصة تذكرتها مبتسما وأنا أقرأ قصيدة للشاعر كولريديج يقول فيها :

ماذا لو أخذتك سنة من النوم
وماذا لو حلمت أنك ترقى فى السماء
الى مكان عال به جنة من الزهور
وماذا لو قطفت منها زهرة
ثم استيقظت من نومك
لتجد الزهرة بين أصابعك ؟!

وأحمد الله على أية حال اننى لم استيقظ من نومى لأجد المجلة فى يدى ، وإلا أصبح الأمر خطيرا ، بل ان شارحى كولريدج يصفون هذه القطعة بأنها محض خيال شاعر ، ولم يتصور أحد منهم بالطبع أنه قد يعبر عن تجربة حقيقية !

وعندما أخذت أقرأ عن الباراسيكلوجى وجدت ان ما حدث لى ، أى حلم الطفولة هذا يشبه على نطاق ضيق تجربة السيدة سنكلير . هذه السيدة هى زوجة الروائى الأمريكى أوبتون سنكلير الذى عاش فى عشرينات هذا القرن وكان كاتبا اشتراكيا على شاكلة مارك توين وشتاينبك ، وقد اكتشفت الزوجة فى نفسها مقدرة غريبة ، هى انه فى امكانها ان ترسم أى شكل مرسوم داخل مظروف مغلق ، ويصف سنكلير فى كتابه « التخاطب الذهنى » .

قصة هذا الإكتشاف فيقول ان زوجته كانت تعانى ألماً شديداً من مرض اصابها ، فتعلمت ان تفرض سيطرتها الذهنية على هذا الألم ، وذلك بأن كانت تسترخى تماما ، وتجرد ذهنها من كل الأفكار ، فيما عدا فكرة واحدة تركز عليها ، ثم تطور إهتمامها بالقوى النفسية عندما تعرفت الأسرة على شاب يدعى « جان » كان يؤدى أعمالا ذهنية ومادية غريبة بما فى ذلك رفع جسمه فى الهواء ، وأنشأت السيدة سنكلير علاقة قوية مع « جان » بل يمكن القول بانها تتلمذت على يديه وذات صباح قالت السيدة سنكلير انها حلمت انها تلقت من « جان » سلة صغيرة من الزهور الحمراء والبنفسجية ، ثم أمسكت قلما وورقة ورسمت سلة الزهور . وبعد قليل فوجىء الزوجان سنكلير بدق على الباب ، وكان القادم رسولا من « جان » يحمل نفس سلة الزهور التى رأتها السيدة فى المنام !

وخلال العامين التاليين رسمت السيدة سنكلير ٢٩٠ رسما كمحاولة لمضاهاة رسوم مختلفة قام بها زوجها وسكرتيرة وآخرون ثم وضعوها دون أن تراها داخل مظاريف مغلقة ، وجاءت بعض هذه المحاولات صورا طبقا الأصل ، أو بالتحديد عد الزوجان سنكلير ٦٥ محاولة ناجحة تماما ، و ١٥٥ محاولة أحرزت نجاحا جزئيا ، والباقى أى ٧٠ فقط كانت فاشلة .

وتعرض سنكلير وزوجته للسخرية والازدراء من الكثيرين ، وبخاصة من زملائه الاشتراكيين الذين كتب أحدهم مقالا فى صحيفة بعنوان « سنكلير يقترب من الجنون » ، ورد سنكلير على اعتراضاتهم مستخدما كل ما فى استطاعته من الفصاحة قائلا « انى لا أريد أن أؤمن بالتليباثى ، انى لا أعرف ماذا يمكن أن أصنع به ، ولا أعرف الى أية وجهة من الكون سوف يحملنى ، انى أفضل تماما ان أكرس كل وقتى لعملى . . بإختصار ليس هناك فى هذا العالم أى سبب يدعونى لهذا الاهتمام سوى إيمانى الجازم بأن التليباثى حقيقة ، وإخلاصى للصدق يحتم علىّ أن أقول ذلك » .

أما اليوم ، بعد ستين عاما على هذا الأحداث ، اذا قدر لسنكلير أن يرد على منتقديه لن يكون محتاجا لكل هذه الفصاحة ليدفع عن نفسه تهمة السير نحو الجنون ، فان الكثيرين أصبحوا يؤمنون بصحة التليباثى وغيره من ظواهر الباراسيكلوجى وحتى الشيوعيين أنفسهم يدرسونه فى المعامل . حكى لى

مهندس سوفيتى إلتقيت به فى القاهرة منذ سنوات أنه كان فى شبابه يعمل فى أحد المناجم الروسية . وذات صباح قرر عدم الذهاب الى العمل بدون أى سبب على الإطلاق ، فلم يكن مريضا أو متوعك المزاج ، ولم يكن من عادته الإمتناع عن العمل ، علاوة على ما فى ذلك من مساءلة وجزاء ، وفشلت زوجته فى إقناعه بتغيير قراره الغريب ، وفى نفس هذا اليوم حدث إنهيار فى المنجم ، وقتل جميع من فيه من العمال والمهندسين ، وكان غيابه مدعاة للشك حتى أنهم إستدعوه للتحقيق ، وأضاف المهندس السوفيتى بعد الإنتهاء من قصته : ان كل كتابات ماركس وانجلز ولنين لا تفسر ما حدث !

إهتمـــام علمـــى

لقد أصبح الباراسيكلوجى الان ، ذلك الفرع من علم النفس الذى يهتم بالتليباثى وغيره من القدرات النفسية الخارقة ، فرعا مستقلا من العلوم ، وفى عام ١٩٦٩ حصلت رابطة الباراسيكلوجى ، وهى رابطة دولية تضم كبار المشتغلين بهذا العلم ، على عضوية « الرابطة الأمريكية لتقدم العلوم » وهى هيئة علمية على مستوى رفيع ، وكتبت العالمة الانثربولوجية الشهيرة مارجريت ميد تؤيد إنضمام الباراسيكلوجيين قائلة « ان تاريخ تقدم العلوم ملىء بالعلماء الذين يبحثون فى ظواهر لا تؤمن بجدواها المؤسسات القائمة ولكن تثبت صحتها فيما بعد . . اننى أقترح التصويت فورا الى جانب انضمام الرابطة » . وأسفر التصويت عن إنضمام الرابطة بنسبة ستة الى واحد .

لقد أصبح العلم اليوم أكثر تسامحاً إزاء الكثير من الأشياء التى كان يرفضها رفضا باتا من قبل ، وبالرغم من التقدم العلمى الجبار الذى أتاح لنا سيطرة ما كنا نحلم بها على قوى الطبيعة إلا أن هناك مجالات معينة داخل أنفسنا لم يستطع العلم أن يقتحمها ، بل يقف عاجزاً أمام أسوارها ، وهذا العصر الذى أصبح فيه الوجود البشرى نفسه مهدداً بسبب سبق التقدم العلمى على التقدم الضميرى للإنسان ، بدأ الكثيرون من الناس يفتشون عن بدائل لهذه النظرة العلمية العقلانية الجافة الى العالم ، وبدأت الثقافات والفلسفات والأديان القديمة تثير إهتماما جديداً متزايداً بعد أن كانت تعتبر بالأمس القريب ظواهر بدائية بربرية لا تثير الإهتمام ، وبدأ الناس يتساءلون

أترانا ونحن نسافر سريعا هكذا قد نسينا شيئاً خلفنا ؟ شيئاً هاماً ونافعاً سواء فى أعماق نفوسنا أو فى مناطق بدائية ومتخلفة فى هذا العالم ؟

فى عام ١٩٧٣ نظمت رابطة الباراسيكلوجى بنيويورك مؤتمرا دوليا فى لندن تحت عنوان « الباراسيكلوجى والانثربولوجى » ، وكانت ذروة المؤتمر ورقة بعنوان « المساهمة الأفريقية » قدمها إنجليزى يدعى ادريان بوشير كان هو نفسه طبيباً بالمعنى الأفريقى .

فقد عاش ادريان بوشير سنوات طويلة بين رجال القبائل الأفريقيين فى جنوب أفريقيا حتى منحوه شرف اخوتهم ، ثم سمحوا له بإجتياز الدرجات الإثنى عشر التى تؤهله كى يكون طبيباً ساحراً ، أى سانجوما ، ويقول بوشير ان الأسرار والطقوس السحرية التى يؤدونها ليست مجرد خرافات ، وإنما هى نفس الظواهر التى يبحثها علم الباراسيكلوجى فى معامل الغرب اليوم مع فارق واحد هو ان الغربيين ينظرون الى هذه الظواهر بعين الشك أما رجال القبائل فانهم يقبلونها كحقائق مسلم بها .

والحكايات عن القوى النفسية الخارقة للأطباء السحرة فى افريقيا تنهال على مسامع العالم منذ فتحت افريقيا للتجارة والاستكشاف فى القرن التاسع عشر ، ومن أمثلتها هذه الحكاية الغريبة التى قصها صياد وتاجر انجليزى يدعى د . لسلى وأوردها فى كتاب طبع فى ادنبرة عام ١٨٧٥ .

يقول لسلى انه أخرج تابعيه من صيادى الأفيال المحليين فى مهمة صيد ، وأمرهم بالحضور للقائه فى موعد معين ومكان محدد ، ولكنهم لم يظهروا ، ولم يعرف ماذا حدث لهم ، فذهب يستشير طبيبا ساحرا ، فسأله هذا عن عدد صياديه الغائبين وأسمائهم ، ثم أشعل ثمان ركات من النار بعددهم وألقى فيها ببعض الجذور والأعشاب التى اخرجت دخانا كثيفا ، وابتلع جرعة من الدواء ، ودخل فى غيبوبة . .

وبعد حوالى عشرة دقائق ، أفاق من غيبوبته ، وأخذ ينقب فى رماد كل نار ويبلغ لسلى ماذا حدث لصياديه كل منهم على حدة : أحدهم مات بالحمى وفقدت منه بندقيته ، والثانى قتله فيل ولكن بندقيته استعادها فرد آخر من المجموعة ، والثالث قتل أربعة أفيال وانتزع أنيابها ، ولكن الناجين من المهمة

لن يعودوا قبل ثلاثة أشهر ، وسوف يسلكون طريقا آخر غير المتفق عليه . وبعد ثلاثة أشهر عاد الصيادون وتأكد لسلى من صحة كل كلمة قالها الطبيب الساحر !

والمتشككون فى الباراسيكلوجى يقولون ان مثل هذه الحكايات لا تثبت شيئا ، انها مجرد شهادات من أشخاص لم تخضع للبحث الوثيق ، وكلنا نعلم كم تخدع الحواس وتخون الذاكرة ، وذهن الإنسان تواق للعجائب والغرائب والمثيرات ، وهو بفقد مقدرته على النقد ، ويخدع بسهولة إذا قابل شيئا من ذلك ، وقد قيلت ملايين القصص المثيرة عن الغرائب والأشباح التى هزت المستمعين فى الحانات والخانات وحول مواقد النار فى مختلف عصور التاريخ ، واليوم تظهر حكايات الباراسيكلوجى لتفعل نفس الشىء بقارئى الكتب والمجلات فى هذا العصر العلمى .

ولكن هذا الموقف الرافض بداءة لم يعد موقفاً علميا يثير الإحترام ، فإن على العلم أن يرفض بالدليل تماما كما عليه أن يقبل بالدليل ، والرافضون للباراسيكلوجى لايقدمون دليلا يدعم رفضهم بل هم فى أغلب الأحوال يرفضون المضى فى دراسة الظاهرة وفحص تجاربها ، مع ان تطبيقات الباراسيكلوجى أو المعرفة خارج الحواس أصبحت من حقائق الحياة اليومية التى يعرفها كل إنسان ، فكثيرا ماتذكر شخصاً غاب عنك زمنا طويلا ثم تجده فجأة أمامك ، أو تفكر فى إنسان معين فيرن عليك جرس التليفون ، أو تردد أغنية قديمة ثم تفتح الراديو أو التليفزيون فتجدها مذاعة ، وفى مثل هذه الأحوال يقول الإنسان لنفسه أو لصاحبه « لا بد ان عندى تليباثى فقد كنت أفكر فيك » ، ولكننا لا نهتم بالمضى أكثر من ذلك فقد تعودنا ان نؤمن بإكتساب معارفنا وتجاربنا عن طريق الحواس . . والحواس فقط .

ان مثل هذه الظواهر الخارقة أصبحت تخضع للتجارب المعملية اليوم ، فى كل الدول المتقدمة فى الغرب والشرق على السواء بما فى ذلك دول الكتلة الإشتراكية التى تأخذ بالمنهج المادى الصارم ، وإذا كان الرافضون والمتشككون لا يتزحزحون كثيرا عن موقفهم ، ويقولون ان أوهام الحان والخان القديمة يمكن أن توجد أيضا فى المعامل الحديثة ، إلا ان الموقف من الباراسيكلوجى أصبح الآن أكثر تسامحا عما كان عليه منذ ٤٠ أو ٥٠ عاما . ومع ذلك لا يزال

مجال الدراسات الباراسيكلوجيه ملبداً بالعواطف وعدم الثقة والغموض بحيث يصعب على الإنسان المحايد أن يستريح الى نظرة واحدة .

علم النفس الغيبى

إن الباراسيكلوجى أو علم النفس الغيبى يهتم بدراسة عدة ظواهر خارقة للمألوفات يمكن تقسيمها الى نوعين رئيسين : ظواهر ذهنية يجمعها تعبير « الإدراك خارج مجال الحواس » وتشمل التخاطر (التليباثى) والاستبصار وقراءات الأثر والتنبؤ بالمستقبل وإدراك الماضى . وظواهر جسمانية يجمعها تعبير « القدرة النفسية على التحريك » أو « الاستحراك النفسى » وتشمل تحريك الأشياء بالقوة النفسية ، والسباحة فى الهواء ، وتجسيد المادة ، ونزع المادة ، والطب الروحى ، والطرح الروحى .

التخاطر : Telepathy

ويعنى إنتقال الأفكار من شخص (الراسل أو الوسيط) الى شخص آخر (المستقبل أو المتلقى) بدون إستخدام وسائل الاتصال الحسية ، وهو شكل من أشكال « الأدراك خارج مجال الحواس » **Extra Sensory Perception** وبالرغم من أن له تطبيقات كثيرة فى الحياة اليومية إلا أن صحته لم تثبت نهائيا بعد ، ولكن أجريت تجارب معملية على التخاطر بإستخدام أوراق « الكوتشينة » وأحرزت نجاحا ملحوظا ، ويفتح التخاطر مجالاً كبيراً أمام العلاقات الإنسانية إذا أمكن السيطرة على أسراره وإستخدامه بسهولة ، ويقول الصحفى المصرى مصطفى أمين انه جرب التخاطر بنجاح مع شقيقه التوأم على أمين ، اثناء وجود الأول فى السجن ، والثانى فى لندن .

الاستبصار **Clairvoyance**

وهو القدرة على رؤية أشياء بعيدة أو سماع أصوات بعيدة **Clairaudiance** بدون إستخدام الحواس ، وأحيانا ما يختلط الأمر بين الاستبصار والتخاطر ، ففى حالة الطبيب الساحر الأفريقى التى قصت فيما سبق قد تكون معرفة الساحر بمصير صيادى الأفيال راجعة الى التخاطر بينه وبين أحد الصيادين

الناجين وليس الى جلاء الرؤية النفسية . ومن أشهر حالات الاستبصار فى تراثنا الإسلامى تحذير عمر بن الخطاب لأحد قواده فى ساحة المعركة من وجود العدو خلف الجبل . وكان الخليفة حينئذ يصلى بالناس فى المدينة ، وتلقى القائد التحذير على بعد مئات الأميال وعمل بموجبه .

قراءة الأثر Psycho metry

وهى حالة خاصة من الاستبصار يستطيع فيها الوسيط أن يتلقى معلومات عن شخص أو شىء عن طريق الإتصال ببعض متعلقات هذا الشخص أو الشيء ، وكثيرا ما تستخدم الملابس أو الخواتم أو الصور الفوتوغرافية فى قراءة الأثر لمعرفة مكان شخص غائب أو شىء ضائع مثلا . وهذا الاسلوب من الباراسيكلوجى معروف فى مناطق كثيرة من العالم العربى وبخاصة السودان حيث يبرع السودانيون فى فن قراءة الأثر . وتلجأ بعض أجهزة البوليس حتى فى الدول الراقية الى قراء الأثر للمساعدة فى الكشف عن الجرائم .

معرفة المستقبل والماضى : Precognition & Retrocognition

وهى « العرافة » التى يكثر فيها المدعون والدجالون ومع ذلك فإن بعض الحالات تثير إهتماما خاصا ، ومن أشهرها حالة العراف الفرنسى الشهير نوستراداموس الذى عاش فى القرن السادس عشر (١٥٠٣ - ١٥٦٦) ، وبالرغم من انه نظم نبوءاته شعرا بأسلوب رمزى غامض إلا ان المتحمسين له يقولون أنه تنبأ بظهور نابليون وهتلر والهجوم الذرى على هيروشيما وناجازاكى ، وتخلى الملك أدوارد الثامن عن العرش ، ومصرع جون وروبرت كنيدى كما يقال أنه تنبأ بحرب عالمية ثالثة تبدأ فى الصين ، وبالرغم من ان كتاب نبوءات نوستراداموس المعروف باسم « القرون » قد وضعته الكنيسة فى قائمة الكتب الممنوعة من التداول فى عام ١٧٨١ إلا ان هذا الكتاب ظل يطبع بإنتظام طوال الاربعمائة سنة التالية لتأليفة ، وفى أثناء الحرب العالمية الثانية كان هذا الكتاب يستخدم لأغراض الدعاية من جانب الحلفاء والمحور على السواء . فقد كانت الطائرات الألمانية تلقى فقرات من الكتاب فوق فرنسا لاضعاف الروح المعنوية للفرنسيين ، ورد الحلفاء بإلقاء الفقرات التى تناسبهم على المدن الألمانية !

وهناك أيضا المتنبئة الأمريكية چين ديكسون التى تنبأت فى عام ١٩٥٦ بأن « الحملة الانتخابية القادمة ١٩٦٠ سيكسبها ديمقراطى وأنه سوف يغتال أثناء رئاسته » وقد عادت هذه السيدة قبل أسابيع من اغتيال الرئيس كنيدى الى تحذيره من القيام بزيارة الجنوب لأن هذه الزيارة ستكون مميتة له .

أما التنبؤ بالماضى فيصعب التأكد من صحته لعدم امكان التحقق فيه بين المعرفة اللاحسية ، والمعرفة العادية ، ولكن يحدث فى حالات كثيرة أن يتأكد شخص ما من صدق قراءة ماضيه من جانب عراف لا يعرف عنه شيئا . وفى حالات نادرة جدا تحدث رجعة فعلية الى الماضى فيشعر صاحب التجربة أنه رجع فى الزمن الى عصر مضى ، ويخيل له انه يرى الأشياء ويسمع الأصوات التى كانت تحدث فى ذلك المكان فى الماضى . وقد زعمت سيدتان إنجليزيتان زارتا قصر ڤرساى بفرنسا عام ١٩٠١ انهما شاهدتا فى حدائقه وممراته الحراس بملابسهم التقليدية ونفس ما كانت عليه المبانى والأثاث منذ مائتى عام !

تحريك الأشياء بالطاقة النفسية Psychokineses

وهذه الحركة تأتى إنطلاقا من « هيمنة الذهن على المادة » وبعض الذين يدعون امتلاك هذه القدره أو الطاقة النفسية يستطيعون رفع الأشياء المادية الصغيرة كالكرات الحديدية والشوك والملاعق وتركها معلقة فترة فى الهواء بمجرد تركيز الذهن عليها ، وبعض هؤلاء الأشخاص يدربون قدراتهم هذه ويقدمون أحيانا عروضا أمام الجماهير ومن أشهرهم يورى جيللر الذى أدى عروضاً كثيرة فى التليفزيون البريطانى وأمام علماء مختلفين . وهؤلاء المحترفون يكثر فيهم الدجالون ولا يمكن تقدير أفعالهم بأكثر من تقدير مهارة الحواة الذين يقدمون عروضا مشابهة على خشبة المسرح . ولكن يحدث أحيانا أن تنبعث طاقة التحريك لدى أشخاص عاديين فى ظروف خاصة ، كحالة رجل من كاليفورنيا جاءه ذات ليلة ـ بعد يومين من وفاة زوجته ـ شعور قوى بوجودها معه فى الغرفة ، فقال : « إذا كنت هنا حقا وفى استطاعتك أن تسمعينى قدمى علامة على ذلك » . ولم يكد ينطق هذه الكلمات حتى فوجىء بوقوع « عربة موديل » بحصان من المعدن الثقيل الى الأرض من حيث كانت مستقرة على منضدة منذ ١٢ عاما لم يحركها أحد . هل حدث ذلك بفعل روح زوجته أو

بطاقته هو على تحريك المادة أو بسبب طبيعى ، مسألة مفتوحة للنقاش !

ولكن هناك شواهد متراكمة عن هذه الظاهرة بما فى ذلك القدرة على إيقاف الساعات وتشغيلها بلا سبب ظاهر ، وسقوط اللوحات المعلقة على الحائط ، وقذف الصحون والأوانى فى الغرفة ، وغير ذلك من الظواهر التى تعزى فى نظر العامة الى أن البيت مسكون بالأشباح ، وقد يكون السبب الحقيقى هو وجود طاقة تحريك الأشياء لدى بعض سكان المنزل وخاصة من الأطفال دون سن الحلم . كما ان بعض علماء الآثار لا يستبعدون أن تكون هذه الطاقة قد استخدمت كليا أو جزئيا فى بناء المعابد والأهرامات القديمة التى يستحيل على التكنولوجيا المعاصرة انشاء مثيلاتها فى الوقت الحاضر .

استحضار الأشياء Teleportation

وهو نوع من ظاهرة التحريك بالطاقة النفسية ، قدرة على تحريك شىء من مكان الى مكان آخر ، أو إستحضار شىء من مكان بعيد فى لحظات . وأكبر مثال لهذه القدرة ما يحدثنا به القرآن الكريم عن سليمان والاتيان بعرش بلقيس : « **قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** » . [**النمل : ٣٨ - ٤٠**] والملاحظ هنا ان الاتيان بالعرش لم يكن من فعل الجن ، وإنما من فعل إنسى « **عنده علم من الكتاب** » والمشهور لدى المفسرين المسلمين انه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان . ويمكن ان يقال ان هذا الرجل كانت لديه هذه الطاقة النفسية على إستحضار الأشياء ونقلها فى لحظات .

وفى العصر الحديث اشتهر عن الشيخ طنطاوى جوهرى ، وهو أحد الصوفيين الصالحين فى مصر ، القدره على إستجلاب الأشياء . وكان الفنان يوسف وهبى يؤكد مرارا أنه شهد بنفسه أحد الصالحين يستجلب صينية عامرة بأطيب الطعام من مطعم معين بعد إن يبعث بالثمن بنفس الطريقة ، وقد حدث ذلك أثناء وجودهما فى قطار الصعيد !

السباحة فى الهواء Levitation

هى القدرة على الإرتفاع بالجسد فوق سطح الأرض وبقاء الشخص معلقا فى الهواء أو سابحا فيه بعض الوقت بالرغم من الجاذبية الأرضية . وهناك حكايات كثيرة عن هذه المقدرة لدى الصوفيين والقديسين فى الأدب الدينى فى مختلف العصور ، وأيضا فى سجلات الوسطاء الروحيين فى القرن التاسع عشر ، ومن أشهر هذه الأمثلة ـ وان كانت محل خلاف ـ ذلك العرض الذى قدمه الوسيط البريطانى دانييل دوجلاس هيوم أمام شهود من المشاهير فى لندن عام ١٨٧٢ حين إرتفع بجسده وسبح فى الهواء خارجا من نافذة فى الدور الثالث ثم عاد طافيا فى الهواء عبر نافذة أخرى . وقد قام وسيط بريطانى آخر يدعى كولين إيفانز بعرض مشابه للإرتفاع فى الهواء أثناء جلسة روحية حضرها الكثيرون فى قاعة كونواى بلندن عام ١٩٣٨ ، والتقطت صور فوتوغرافية للعرض .

الطب الروحى Psychic healing

وله تاريخ طويل يشمل معجزات الشفاء التى قام بها السيد المسيح وغيره من القديسين ، واليوم لا تقتصر مزاولة الطب الروحى على الكهنة ورجال الدين الذين يقرأون صلواتهم على المريض ، وإنما يزاوله أيضا أشخاص ليست لهم صفة دينية يدعون القدرة على شفاء الأمراض وإجراء العمليات الجراحية دون إستخدام المبضع ، وينتشر هذا النوع من العلاج خاصة فى الفلبين والبرازيل حيث يقصدهما الزائرون من مختلف أنحاء الأرض للبحث عن العلاج الروحى لأمراضهم المستعصية . كما تنتشر نفس الظاهرة فى شرقنا العربى ، وبخاصة فى مصر ، وقد أبرأت إحدى المحاكم المصرية مؤخرا رجلا قدمته النيابة الى المحاكمة بتهمة الدجل والشعوذة لأنه كان يمارس الطب الروحى فى أحد الأحياء الشعبية ، وقام الرجل بعدة تجارب فى قاعة المحكمة لإثبات صدق دعواه ، وزعم أنه متصل بعالم الجان ، ولكن الحكم بتبرئته استند الى عدم وجود نص فى القانون يجرم ما يفعله الرجل الذى لم يثبت فى حقه الإضرار بالغير .

وفى الآونة الأخيرة أجريت تجارب مماثلة على النبات ، ويقال ان النباتات التى تعرضت لقراءة الصلوات عليها نمت نموا حسنا عن تلك التى لم تفز بذلك رغم تماثل الظروف .

تجسيد المادة ونزعها Materialization & Dematerial zation

وهى مقدرة تزعم تجسيد المادة وأحيانا الكائنات الحية من لا شىء أو خلال مادة الاكتوبلازم التى يقال أنها تنبعث من الوسيط ، وتكثر هذه المزاعم فى قصص السحرة والساحرات كتلك التى تمتلىء بها « ألف ليلة وليلة » . أما نزع المادة فهى الصورة العكسية أى التسبب فى اختفاء المادة فى مكانها ، وهى أيضا مجال خصب للخيال القصصى ومن أمثلتها قصص « طاقية الإخفاء » التى يستطيع من يرتديها أن يسير بين الناس دون أن يروه !

وهناك قصة مشهورة فى الدوائر الروحية عن حالة تجسيد بطلها عجل بحر ، إذ كان السيد بولتون طبيبا بيطريا فى حديقة الحيوان بلندن ، وكان يهتم بعلاج عجل بحر أصيب بطعنة رمح ، ولكن جهوده المكثفة فشلت فى النهاية ومات الحيوان ، وبعد أيام كان السيد بولتون يحضر جلسة لتحضير الأرواح حين صاحت الوسيطة من داخل « كابينتها » قائلة : « ابعدوا هذا الوحش عنى انه يكاد يخنقنى » وخرج من الكابينة عجل بحر ضخم راح يجرى فى أنحاء الغرفة ثم ذهب الى حيث يجلس السيد بولتون وقبع بجواره عدة دقائق وبعد ذلك عاد الحيوان الى كابينة الوسيطة حيث تجرد من مادته واختفى ! وقد أكد بولتون أمام الجميعة الروحية بلندن انه يماثل تماماً عجل البحر الذى كان يعنى بعلاجه !

الطرح الروحى : Out of body projection

تمتلىء سجلات الأطباء والأطباء النفسانيين بقصص أشخاص اشرفوا على الموت فوجدوا « أنفسهم خارج أنفسهم » وكان فى امكانهم أن يروا بوضوح أجسادهم مسجاة على السرير بين أيدى الأطباء والأقارب بينما هم يطوفون فى أجواء الغرفة بلا ألم ولا خوف دون أن يفطن واحد من الموجودين الى رؤيتهم ،

ثم يعودون بعد ذلك الى أجسادهم العليلة ويتماثلون للشفاء ، ويذكر بعضهم أنهم كانوا يتساءلون أثناء وجودهم فى هذه الحالة : أهذا هو الموت ؟ ياله من شيء لطيف !

وأحيانا تكون عملية الطرح الروحى بإرادة الشخص نفسه ، وهناك أيضا قصص كثيرة فى سجلات مختلف الحضارات عن قديسين وصوفيين كان فى إستطاعتهم الخروج من أجسادهم ، والقيام برحلات طويلة الى أماكن بعيدة . بأجسادهم النورانية الشفافة ، وقد يراهم آخرون فى هذه الأماكن النائية ، أو يروا فى مكانين فى وقت متقارب .

وقع فى يدى ذات يوم كتاب هندى مترجم الى الانجليزية يتحدث عن تجربة الخروج من الجسد الشائعة والمألوفة بين النساك والفقراء فى الهند ، والمهم فى هذا الكتاب انه لا يتحدث عن قصص هؤلاء وأحوالهم وإنما هو كتاب « علمى تجريبى » يعلم القارىء كيفية القيام بنفسه بهذه التجربة عن طريق سلسلة من الرياضات الزوحية والجسمية المتدرجة مع الإلتزام بنظام خاص فى المأكل والحياة مما يشير الى إمكان القيام بهذه التجربة إراديا ، وهو ما يأتيه المتقدمون فى رياضة اليوجا .

حـــدود المعرفـــة

ان تطبيقات الإدراك خارج نطاق الحواس وكذلك القدرة على تحريك الأشياء بالطاقة النفسية كثيرة وشائعة فى كل الحضارات منذ فجر التاريخ ، وهى لاتكاد تنقطع فى حياتنا اليومية المعاصرة ، ولكن الإهتمام العلمى بهذه الظواهر بدأ منذ قرن واحد تقريباً بإعتبارها قدرات نفسية مجهولة ، وقبل ذلك كانت هذه الظواهر غير مفهومة جيدا ، فكانت تعزى الى الأشباح والشياطين والملائكة والسحرة والشخصيات الاسطورية ، ومن الطبيعى ان مجال هذه الظواهر مفتوح على اتساعه لدخول الدجالين والمشعوذين والغشاشين من كل نوع ، وهذا ما أعطى علم النفس الغيبى أو الباراسيكلوجى سمعة سيئة جعلت الكثيرين يرفضونه إبتداء . ولكن مجرد سوء إستخدام الشيء لا ينفى حقيقته أو فوائده ، فالطب مثلا يمكن أن يمارسه الجهلاء والمدعون ، وكثيرون

منهم يزاولونه بالفعل ، والفن أيضا بكل مجالاته مفتوح على مصراعيه أمام الأدعياء وعديمى الموهبة الفنية ، ولكن ذلك لا يقلل من قيمة الطب والفن ، ولا يدعو الناس الى الإنصراف عنهما .

ان مجرد وجود الظاهرة الباراسيكولوجية لايزال محل نزاع محتدم بالرغم من توافر علماء بارزين وهيآت علمية محترمة على دراسة هذه الظاهرة منذ اكثر من قرن ، وقد أصبحت لهذه الدراسات أقسام متخصصة فى أرقى الجامعات الأمريكية والأوربية بل وفى الدول الاشتراكية أيضا ، ومع ذلك فان المناقشات حول هذه الظاهرة غالبا ما تأخذ شكلاً عاطفياً وعصبيا ، فهى اما مرفوضة رفضاً باتا أو مقبولة على علاتها ، ويزيد من ذلك أنها أصبحت من محاور الصراع بين المثاليين والماديين ، أى أنها أصبحت مشكلة فى الفلسفة وفى السياسة أيضاً ، فالمثاليون يستخدمونها كعصا غليظة يدقون بها رءوس الماديين ، والماديون يغلقون بابها إبتداء عملا بالمثل الشعبى « الباب الذى يأتيك منه الريح ، سده وإسترح » !

وفى رأيى أن أقوى حجة يسوقها خصوم الباراسيكلوجى هى عدم إمكان إستخدام المنهج الاحصائى فى حساب هذه الظاهرة . يقولون هب مثلا ان شخصا قد تنبأ بأن حصانا معينا سوف يفوز فى السباق هذا اليوم لأنه حلم بذلك فى الليلة الماضية ، ويفوز الحصان بالفعل ، ولكن هذا لا يثبت شيئا فى الواقع ، لأننا لا نعلم كم عدد الذين حلموا بفوز حصان خاسر ، بل إن مثل هؤلاء الأشخاص لا يبرزون ويقولون عن إحساسهم مع أنهم الأغلبية بلا شك بدليل أن معظم الناس يخسرون فى السباق ، فكيف إذن يمكننا القول بصحة ظاهرة الإدراك عن غير طريق الحواس لمجرد أن شخصا أو عدة أشخاص قد تنبأوا بنتيجة السباق، وقس غلى ذلك .

والمشكلة الرئيسية التى تثيرها هذه الظواهر الخارقة أنها تبدو متناقضة مع مفهومات معينة أصبحت أساسية فى حضارتنا الحالية ، مثل مفهومنا عن الزمن والسببية والطاقة والذهن والمادة ، وبعض الناس مفتونون بهذه الحضارة ونزعتها العلمية التكنولوحية الى درجة أنهم لا يتصورون امكان المساس بها . أما آخرون فانهم يفضلون لو تكون أقل مادية ، وأكثر روحانية !

ان السؤال الرئيسى هو : هل توجد فعلا ظواهر باراسيكلوجية وهل يمكن الإستفادة منها فى شئون الحياة ؟ إذا قبلنا بذلك مالداعى فى الوقت الحاضر الى أن نذهب شوطا أبعد فنتساءل كيف ؟ ولماذا ؟ وبذلك نخاطر بالإرتطام ببعض مفاهيمنا المادية التى تبدو مقدسة وثابتة . ان الإعتراف بوجود أشياء خارج نطاق وجهة النظر التقليدية فى الطبيعة وعلم النفس أمر قد ثبت جدواه بالفعل ، فاننا نتحقق منه فى الوقت المناسب عندما نستكمل أدوات بحثنا ، فمثلا ظاهرة تغير مواقع النجوم كانت فرضا ضروريا لصحة نظرية كوبرنيكس فى دوران الأرض حول الشمس ، وقد رفضت بشدة من جانب أصحاب وجهات النظر الثابتة وظلت محلا للنزاع والإختبار مائتى سنة حتى ثبتت صحتها نهائيا ، وكذلك جاء إكتشاف النيترونات العديمة الشحنة الكهربائية والتى لا تكاد تكون لها كثافة ، مصداقا لفرض نظرى أوجبته ضرورة علمية وكان يبدو مخالفا لقواعد علم الطبيعة الثابتة ، والآن تثير نظرية « ضد المادية » مشاكل مماثلة وتبدو مخالفة لكل ما استقر عليه علم الطبيعة ، ولكنها أصبحت مما لا ينكر دون السؤال عن كيف ولماذا ، فهل الأمر يختلف بالنسبة للظواهر النفسية لمجرد أنها لا تتفق مع حدود ذهننا وهل هذه الحدود حقيقية أم أنها من صنعنا نحن ويمكن أن تتسع وتتطور ، وعندئذ قد نفهم جوهر الظاهرة على نحو أفضل ، ويصبح فى إمكاننا إستخدامها بما يفيد تطورنا الإنسانى وحياتنا الإجتماعية .

أن ثمة شعور متنام لدى أبناء هذا العصر بأنه يجب أن تحدث بعض التغيرات الأساسية والجوهرية فى حضارتنا المادية الحالية إذا كان لهذه الحضارة أن تبقى وتستمر ، وأهمية الباراسيكلوجى أنه أصبح يشير الى إتجاه التغيير المطلوب .

هاتف بلا أسلاك

ربما يكون كروسوس ملك ليديا الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد هو أول من أجرى تجربة فى الباراسيكلوجى . فقد أراد أن يعرف أى العرافين أمهر : الإغريق أم المصريين ، فبعث وفدا الى كل منهما ليسألهما فى وقت محدد : « ماذا يفعل الملك كروسوس ابن الياطس الآن »؟ ! . وفى الوقت المحدد قام كروسوس بشىء لا يخطر على بال أحد ، جاء بحمل وسلحفاة ، وقطعهما إلى قطع صغيرة ، وطهى لحمهما معا فى قدر من النحاس . .

وتقول الحكاية ، التى وضعت أصلا لا علاء شأن الإغريق ، ان كاهنة معبد دلفى فى بلاد الإغريق هى التى توصلت الى الحل الصحيح .

وبالطبع لم يكن كروسوس ابن الياطس يريد بهذه التجربة أن يخدم العلم ، فقد كان يؤمن بالفعل بالقوى الخفية للعرافين ، ولكنه كان يريد أن يتخذ لنفسه عرافا رسميا من أمهر الفريقين . وبالطبع ، اختار كاهنة دلفى ، ولكن حبها للرموز والألغاز ثبت انه فى غير صالح الملك ، إذ تنبأت له قبل إحدى حملاته بأن « جيشا عظيما سوف يدمر » فذهب الى القتال واثقا من النصر ، ولم يكن يدرى ان هذا الجيش سيكون جيشه !

وطالما أن الناس يعتقدون فى وجود القوى الخارقة للطبيعة كجزء من الحياة ، لا تكون هناك فرصة أمام البحث العلمى لدراسة هذه الظاهرة ، وقد كان هذا الإعتقاد سائدا مثلا فى زمن شكسبير ، كما يظهر ذلك واضحا فى مسرحياته ، ففى مسرحية « حلم ليلة صيف » نجد أن مخلوقات ما وراء

الطبيعة تتفاعل مع البشر وتندمج معهم فى نسيج واحد ، ولا شك أن مشاهدى شكسبير فى زمنه كانوا يأخذون ساحرات « مكبث » وشبح « هاملت » كأشياء مسلم بها ، ولم تكن تدور فى أذهانهم أمثال هذه التساؤلات التى يناقشها علماء الباراسيكلوجى اليوم : هل الساحرات عندما تنبأن لمكبث بأنه سيصير ملكا كن يلتقطن منه بطريقة تليباثية رغبة دفينة لديه فى أن يصبح ملكا ؟ وهل كل ما يرمز إليه الشبح فى هاملت هو مجرد هلوسة لا شعورية لدى الأمير عن ماضيه ؟ مثل هذه الأسئلة تشير الى إهتمامات الأبحاث النفسية الحديثة ، فهذه الأبحاث لا تحاول أن تقلب الكون ، وإنما تفسره تفسيرا جديدا ، وبدلا من أن تركز إهتمامها على مخلوقات ما وراء الطبيعة فانها تركز هذا الإهتمام على أسرار الذهن البشرى وقواه الكامنة .

وهناك شرطان ضروريان لبدء البحث العلمى فيما يسمى بالظواهر الخارقة : الأول أن يوجد مجتمع يرفض هذه الظواهر ، والثانى أن يظهر علماء يشكون من صحة هذا الرفض وحدوده الضيقة . ولم يتحقق هذان الشرطان بالكامل إلا قرابة منتصف القرن التاسع عشر فى أوروبا ، فقد كان القرن الثامن عشر عصر الشك والرفض لكل الموروثات ، كان عصرا يؤله العقل ، ولكنه لم ينتج فلاسفة أو علماء يشكون فى هذا الاله الجديد ، فلم يكن أحدا يجرؤ أن يعرض نفسه للسخرية والإمتهان إذا أقدم على بحث جاد فى عقائد السلف المخرفين ، ولكن عندما أخلى التعصب للعقل مكانه للنزعة الرومانسية فى أوائل القرن التاسع عشر ، مع ماتنطوى عليه هذه النزعة من تأكيد للتجربة الشخصية ، أصبحت الظروف أكثر ملاءمة لبدء البحث العلمى النفسى .

كان الشاعر شيلى ، وهو أحد الشخصيات الكبرى فى العصر الرومانسى ، حالماً عظيماً ، وقد حلم مرة أنه شاهد « اليجرا » ابنة لورد بيرون المتوفاة تنهض من خليج سبيزيا ، وتمسك بيديه وتبتسم فى وجهة ، وفى حلم آخر شاهد صديقيه الحميمين ادوارد وجين ويليامز يلقيان ميتة شنيعة فى منزل يكتسحه الفيضان بالقرب من البحر . ولم ينقض وقت طويل على هذه الكوابيس حتى كان شيلى وادوارد ويليامز يلقيان حتفهما غرقا فى خليج سبيزيا على شاطىء إيطاليا . .

وقد تعرض الشاعر الألمانى العظيم جيتة لتجربة تنبؤية أقل شراً ، أوردها

فى ترجمته الذاتية ، فقد كان يسير ذات يوم ممتطيا حصانه فى إحدى الغابات حين شاهد صورته قادمة عليه من الإتجاه المقابل على صهوة جواد أيضا ، ، وأدهشة انه يرتدى رداء لم يلبسه من قبل ، وهز جيتة رأسه وسرعان ماتبددت الرؤيا ، ولكن بعد ثمانى سنوات بينما كان جيتة راكبا حصانه فى نفس الطريق ، تحقق فجأة أنه يرتدى نفس الرداء الذى حلم به من قبل ، وكان يسير فى الإتجاه المقابل للاتجاه الأول . .

وجرب الروائى تشارلس ديكنز رؤيا تنبؤية مشابهة ، إذ نام فى مكتبه ذات ليلة ، فحلم أنه يرى سيدة مرتدية شالاً أحمر كانت تعطيه ظهرها ، ولم يعرفها حين إستدارت وواجهته ، ولكنها قدمت نفسها على أنها « ميس نابير » ومرة أخرى لم يكن قد سمع بهذا الاسم من قبل ، وفى الليلة التالية زاره بعض الأصدقاء ، وكانت معهم ضيفة غريبة ترتدى شالا أحمر قدموها إليه على أنها « ميس نابير » .

ولكن بالرغم من تجارب ديكنز النفسية ، وظهور عالم الأحلام والأرواح فى رواياته ، إلا أنه كان معارضا بشدة لولع الإتصال بعالم الأرواح الذى كان يكتسح الولايات المتحدة وإنجلترا فى أواسط القرن التاسع عشر ، وعندما سمع عن حادث « قرع الأرواح » فى « البيت المسكون » فى هيدسفيل بنيويورك ، وهو الحادث الذى أطلق عقال « الحركة الروحية » فى أمريكا عام ١٨٤٨ ، ربما يكون ديكنز قد تذكر ما حدث للكاتب الإنجليزى العظيم دكتور جونسون فى القرن الأسبق ، ففى عام ١٧٦٢ زار دكتور صمويل جونسون منزلا فى حارة كوك بلندن يقال أن شبح السيدة كنت يظهر فيه بواسطة قرع الأوانى والدق على الأبواب ، وهى ظاهرة لا تحدث إلا فى وجود الطفلة إليزابيث بارسون إبنة صاحب المنزل وعمرها ١٢ عاما . وقد أصبح هذا الشبح شهيرا فى كل أنحاء لندن يتتبع الناس أخباره ، وذات يوم أعلن الشبح سراً خطيراً ، هو أن السيدة كنت ماتت مسمومة بسم دسه لها زوجها السيد كنت . وكتب دكتور جونسون مقالاً فى إحدى المجلات مؤيدا ظاهرة الشبح ومؤكدا انه تحقق منها بنفسه ، وبعد ذلك اتضح ان العملية كلها خديعة « مفبركة » وأن الفتاة إليزابيث هى التى تقوم بقرع الأوانى والأبواب بتحريض من أبيها الذى كان يريد أن يبتز السيد كنت ! ونتيجة لهذا الإكتشاف أصيبت فى الصميم سمعة دكتور جونسون وبعض المشاهير الاخرين الدين أيدوه !

دجالــون ووســطاء

كان شبح حارة كوك بداية لموجة التزييف التى إنتشرت بشدة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر مع تزايد الإهتمام بالظواهر الروحية ، وربما كان كل الوسطاء الروحيين الكبار الذين اشتهروا فى هذا العصر قد ضبطوا مرة أو أكثر متلبسين بالغش والخديعة ، فيما عدا أعظمهم جميعا د . د . هيوم الذى لم يضبط مطلقا متلبساً بالغش ، كان الوسطاء الغشاشون يقرعون الأوانى ، ويلتقطون صورا فوتوغرافية للأشباح ، ويجسدون أرواح الموتى (دائما فى شبه ظلام) ويصدرون أصوات تحمل رسائل لجمهور متعطش للتصديق ، وقد إنكشف ذلك كله ، أو معظمه ، تباعاً ، ولذا ليس غريبا ان رفض الأذكياء الجادون ما أسمى بالظواهر الروحية بأسرها ، ووجدوها بدعة سقيمة ، متناقضة ، مضيعة للوقت ، هذا الموقف لدى مثقفى العصر يعبر عنه أبلغ تعبير الفيلسوف توماس هكسلى فى خطاب كتبه الى صديق يرفض فيه دعوة وجهت إليه لفحص « الظاهرة الروحية » . إذ كتب هكسلى يقول : « على فرض أن هذه الظاهرة صحيحة فانها لا تثير إهتمامى ، فإذا تكرم على أحد بدعوتى للإستماع الى ثرثرة إمرأة عجوز تقول أشياء تافهة سوف أرفض هذا الشرف لأن لدى ما أهتم به أكثر ، وإذا كان الناس فى العالم الآخر لا يقدرون على حديث أحكم أو أعقل من ذلك الذى يجريه على ألسنتهم أصدقاؤهم فى الأرض ، فإننى أضعهم معا فى نفس الطراز . ان الفائدة الوحيدة التى أجدها فى « الظاهرة الروحية » هى أنها يمكن أن تكون مانعا إضافيا للإنتحار ، فمن الأفضل أن يعيش الإنسان كناسا متجولا فى هذه الأرض عن أن يموت ويذهب الى العالم الآخر ثم يستدعيه وسيط جاهل الى جلسة أرواح نظير جنيه يتقاضاه الوسيط . . » !

جمعية الأبحاث الروحية

ولكن ، كان هناك مثقفون آخرون لم يأخذوا موقف هكسلى ، فلماذا لا يكون بين هذا التبن الكثير تبر خالص أيضا ، أى معرفة جديدة لها وزنها ؟ ومن أشهر هؤلاء ثلاثة هم هنرى سيجويك ، وف . و . مايرز ، وايدموند جورنى ، كان ثلاثتهم زملاء فى كلية ترينيتى بجامعة كمبردج ، ويرجع إليهم الفضل فى تأسيس علم الأبحاث الروحية على أساس علمية ، وكانوا يشكلون فيما بينهم مجموعة متكاملة مثالية للبحث النظرى والعلمى الدءوب وراء الظواهر الخارقة التى خصصوا لها الجانب الأكبر من حياتهم واهتمامهم . كان سيجويك أستاذا للفلسفة الأخلاقية بكامبردج ، ويمتلك موهبة نقدية حادة ككل مثقفى عصره ، وتفوق مايرز فى الكلاسيكيات والحضارات القديمة كما كان مؤهلا أيضا كطبيب وموسيقى ، وقد أسس ثلاثتهم مع بعض زملائهم فى جامعتى كامبردج وأكسفورد « جمعية الأبحاث الروحية » فى عام ١٨٨٢ ، وتولى سيجويك رئاستها وأصبح جورنى سكرتيرا لها ، وعمل مايرز بلا كلل فى تنظيم الجمعية ، وإلقاء المحاضرات ، والكتابة ، والبحث ، وجمع المواد للنشر ، ومن أبرز أعضاء الجمعية أيضا اليانور سيجويك ، زوجة هنرى سيجويك ، وكانت لها خلفية علمية ، وهى التى قامت بمعظم الأبحاث الخامة التى أجرتها الجمعية ، وتولت رئاستها خلفا لزوجها .

كان الهدف المعلن للجمعية . . « البحث على نطاق واسع فى الظواهر الخارقة موضع الجدل طبيعية كانت أو روحية أو تنويما مغناطيسيا . . بدون تحيز أو فكرة مسبقة من أى نوع ، وبنفس الروح المتجردة التى مكنت العلم من حل مشاكل كثيرة كانت يوما لا تقل غموضا أو مدعاة للجدل » . فقد كان مؤسسو « جمعية الأبحاث الروحية » كمعظم مثقفى عصرهم يؤمنون بقدرة العلم على حل أى غموض يواجه الإنسان .

ساهمت « جمعية الأبحاث الروحية » فى كشف وسائل الغش والخداع التى يلجأ إليها كثيرون من الوسطاء المحترفين بالرغم من شهرتهم باتيان الخوارق ، ولكن مايرز وجورنى كانا مقتنعين بأن بعض الوسطاء على الأقل حقيقيون ،

وجاء اقتناعهم هذا نتيجة لتقصيهما حالة ويليام ستنيتون موسى وهو قس متقاعد يحمل شهادة من جامعة اكسفورد ، وكان على حد وصف مايزز له رجلا « ذا قداسة وصفاء » لا يمكن الشك لحظة فى لجوئه إلى الغش ، خاصة انه لم يكن يتقاضى أجرا نظير القيام بتجاربه .

وقبل أن يكتشف ستينتون موسى مواهبه كوسيط روحانى كان من غلاة رافضى الظواهر الروحية ، وصف مرة كتابا وقع فى يده عن الوسسيط الشهير د . د . هيوم بأنه « أسوأ هذيان » قابله فى حياته ، ولكنه بدأ يراجع أفكاره عندما حضر إحدى جلسات تحضير الأرواح ، وتلقى عن طريق وسيط وصفا دقيقا للغاية لصديق متوف قيل ان روحه حضرت الجلسة ، وبعد عدة أشهر حدثت له أول تجربة للارتفاع فى الهواء دون ارادته ، وإبتداء من ذلك الوقت كرس موسى السنوات التسع الباقية فى حياته لأعمال الوساطة الروحية الخارقة . فعزى إليه انه كان يرتفع فى الهواء ، ويحرك الموائد الثقيلة بتقريب أصابعه فوقها ، ويستحضر أشياء من غرف مغلقة كما لو كانت قد مرت خلال الجدران ، لقد كانت أية جلسة يحضرها ستينتون موسى لا يمكن أن تمر كئيبة ، ققد تهب على الجالسين نسمات معبقة بالروائح الذكية ، أو يسمعون نغمات موسيقية راقية تأتى من لا مكان ، أو تتحرك فى الغرفة عواميد من الضوء الشفاف تتجسد فيها أرواح أو أيد أو وجوه لموتى !

وكان ستينتون موسى يدعى أن الظواهر الطبيعية التى تحدث فى وجوده هى من فعل الأرواح التى تريد أن تثبت صدق الرسائل التى تبعث بها عن طريقه الى العالم بواسطة « الكتابة الأتوماتيكية » . وقد نشر موسى هذه الرسائل التى « أملتها » عليه الأرواح فى عام ١٨٨٣ تحت عنوان « تعاليم الأرواح » وهو كتاب أصبح بمثابة انجيل للحركة الروحية .

وبالرغم من أن مايرز كان لا يشك فى صدق موسى إلا أنه كان يشك فى الذكاء المزعوم للأرواح والرسائل التى تبعث بها ، وكان يرى أنه لابد أن يكون هناك تفسير آخر للكتابة الأتوماتيكية والظاهرة النفسية على وجه الاجمال ، ولكن لسوء الحظ عندما أنشئت « جمعية الأبحاث الروحية » كانت قوى موسى الروحية قد تدهورت ، ولم يمكن إختباره تحت الظروف المشددة التى كانت تتبعها الجمعية إزاء كل من تختبرهم .

أبحـــاث مـــايرز

لقد كانت الظاهرة الروحية مقبولة فى ذلك العصر ـ بالنسبة للذين يقتنعون بها ـ كدليل على وجود عالم الأرواح ، وبالتالى حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكن منشئ « جمعية الأبحاث الروحية » لم يروا فى ذلك إلا مجرد فرض ، وقد يكونون هم أنفسهم يتطلعون الى إخماد شكوكهم الدينية ويتمنون الوصول الى دليل حاسم يؤكد بقاء الإنسان بعد الموت ، إلا انهم لم يسمحوا لهذا الميل بأن يؤثر على أبحاثهم المنهجية ، وكانت هذه الأبحاث تتعلق أساساً باجراء تجارب فى التليباثى (التخاطر) والرؤية الغيبية أو الاستبصار ، وجمع الأدلة على صحة هذه القوى الكامنة فى الذهن البشرى .

وفى ذلك الوقت ، كانت هناك « حالة » أثارت إهتمام الرأى العام ، وأغرقت جورنى ومايرز فى العمل ، فقد كان هناك قس فى مانشستر يدعى « كريرى » يزاول منذ زمن اجراء تجارب على التليباثى مع بناته الخمس ، وإستدعت الجمعية أسرة كريرى حيث أخضعتها للبحث المنهجى الوثيق فى تجاربها على التليباثى ، وأثبتت أسرة كريرى نجاحا أمام لجنة الفحص تحت ظروف رقابة مشددة ، ولكن حدث بعد ذلك ان اكتشفت حالة غش بين البنات فى بعض التجارب الأقل رقابة ، فألغى مايرز وجورنى ما كانا يعتقدان انه دليل مثير على التليباثى نتيجة لأبحاثهما على أسرة كريرى .

وفى عام ١٨٨٣ ، بعد سنة من تجارب كريرى ، إكتشف رجل أعمال فى ليفربول يدعى مالكولم جوثرى ان بعض موظفيه يقومون بتجارب على نقل الأفكار فيما بينهم فى أوقات فراغهم ، وانهم حصلوا على نتائج مدهشة فى التخاطر برسوم بسيطة ، وثار إهتمام جوثرى بالأمر حتى أنه قام هو وصديقه جيمس بيرشال بإجراء تجاربها الخاصة مع اثنتين من الموظفات هما الآنسة رلف والآنسة ادوارز ، وكانتا قد أظهرتا مقدرة استثنائية على تلقى الرسائل الفكرية ، وأحرزت هذه التجارب نجاحاً ملحوظا وأبلغت نتائجها الى « جمعية الأبحاث الروحية » فأوفدت الجمعية ادوارد جورنى الى ليفربول ليشرف على بعض هذه التجارب بنفسه .

وكان الأسلوب الذى اتبعه جورنى يتلخص فى تغمية عينى الفتاة التى تتلقى الرسالة وأن تجلس عكس إتجاه الشخص الذى يبعث بالرسالة ، وهذا الشخص يمسك بالرسم الذى يعطى له بطريقة لا يمكن معها ان تراه الفتاة حتى لو كانت غير معصوبة العينين ، ويركز الراسل فى الرسم حتى تقول الفتاة انها على استعداد لادائه ، وعندئذ ترفع العصابة عن عينيها ، وتمسك بالقلم . وعادة ما تتراوح فترة التركيز بين نصف دقيقة الى دقيقتين أو ثلاث دقائق .

وفشلت كثير من المحاولات أو أحرزت تشابها ضئيلا ، ولكن عددا من المحاولات أحرز نجاحا جزئيا أو كليا ساحقا ، وتكرر ذلك عدة مرات كافية لإستبعاد إحتمال الصدفة .

فى ذلك الوقت كان هناك استاذ شاب فى علم الطبيعة بجامعة ليڤربول يدعى أوليفر لودج ، وقد منح لقب سير فيها بعد لإكتشافاته فى الكهربا والراديو ، سمع لودج عن تجارب جورنى فطلب أن يقوم بنفسه بتجارب مع الفتاتين ، وأجرى هذه التجارب بنفس الحرص والدقة التى يجرى بها تجاربه فى علم الطبيعة ، وفى إحدى هذه التجارب جعل شخصين يركزان على شيئين مختلفين هما مربع وصليب دون أن يدرى أحدهما بما مع الاخر ، وكذلك لم تكن الفتاة تدرى انها تتلقى من شخصين مختلفين ، وهى التى تعودت ان يكون الراسل واحدا ، وقد اضطربت الفتاة فى اول الأمر ثم مالبثت أن رسمت صليبا داخل مربع ، مما يدل على أنها تلقت الرسالتين ولكنها إعتقدت ، عن وعى أو غير وعى ، أنهما يمثلان شكلا واحدا

وبالإضافة الى التجارب العملية التى قاما بها ، راح جورنى ومايرز ، اللذان لا يكلان عن العمل ، يبحثان فى عديد من الحالات التى وردت إليهما عن تجارب التليباثى التلقائى والاستبصار ، وكانا قد نشرا إعلانات فى « التايمز » وبعض المجلات الدورية يطلبان فيها من الجمهور موافاة الجمعية بمثل هذه الحالات ، وتلقيا سيلا كبيرا من الخطابات قدر فى عام ١٨٨٣ وحده بأكثر من ١٠ الاف خطاب ، كما استقبلا مئات الأشخاص ، وإستدعيا لمساعدتهما أستاذا فى جامعة اكسفورد يدعى فرانك بودمور كان معروفا بشكه إزاء الظاهرة الروحية وتشدده فى وسائل إستقصائها ، مما جعل مساهمته ذات قيمة كبرى .

وقد لاحظ الباحثون الثلاثة ، بعد عمليات الفحص والتحليل والتبويب التى قاموا بها ، ان أكبر مجموعة من الحالات يمكن تصنيفها تحت عنوان « رؤى الازمة » فى هذه الحالات يتعرض الشخص « لهلوسة حية تكاد تكون واقعية » عن شخص اخر يثبت فيما بعد انه كان يمر فى نفس اللحظة بأزمة خطيرة هذه الأزمة هى عادة موت الشخص او تعرضه لاصابة خطيرة أو مرضه ، وفى بعض الحالات تكون هذه الهلوسة سمعية وليست بصرية ، تعنى ان صوت الشخص الذى يمر بالمحنة يكون مسموعا بوضوح لدى صاحب التجربة .

وبعد ثلاث سنوات من البحث نشر جورنى ومايرز وبودمور أدلتهم على التليباثى ، التلقائى والتجريبى ، فى كتاب ضخم ، هو أول عمل كبير نشرته جمعية الأبحاث الروحية ، تحت عنوان « **أوهام الأحياء** » ويحوى ٧٠٢ حالة من التجارب البارسيكلوجية التلقائية ، كل منها تؤيدها شهادة أكثر من شخص واحد على الأقل ، ويمكن أن نورد فيما يلى بعض الحالات التى تدل على محتوى الكتاب .

ذكر ضابط بحرى أنه كان فى الثالثة عشرة من عمره عندما أوشك على الغرق الفعلى فى قارب فى بحر هائج بالقرب من شاطىء جاوة ، وعندما طفا على السطح بعد أن غاص فى الماء عدة مرات ، نادى بأعلى صوته على أمه ، مما أضحك الرجال الذين قاموا بإنقاذه وأخذوا يتندرون عليه ، ولما عاد الى بيته بعد ذلك بعدة أشهر أبلغ أسرته بالحادث وقال أنه شاهد أثناء وجوده فى الماء رؤية واضحة لأمه وشقيقاته وهن جالسات فى المنزل ، وكانت أمه تخيط قماشا أبيض اللون ، فتذكرن فورا المناسبة التى يتحدث عنها ، وكن جالسات كما ذكر بالضبط ، وسمعن جميعا صوته بوضوح يكرر « ماما . . ماما . . » وقد انزعجت الأم لذلك حتى انها سجلت التاريخ والساعة فى مذكراتها ، وعندما حسبوا فرق الزمن بين انجلترا وجاوة تبين ان الصرخة التى سمعوها قد حدثت بالضبط فى الوقت الذى أوشك الصبى على الغرق .

وهناك حالة أخرى تنطوى على غرق فعلى هذه المرة ، حدثت فى نيويورك عام ١٨٦٧ ، كانت فتاة صغيرة فى الثالثة من عمرها تلعب بعرائسها فى غرفة

يجلس فيها أبوها وأمها وخالتها ، وفجأة جرت الطفلة الى الخالة وهى تصيح « خالتى . . ديفى يغرق » ! وكان ديفى ابن خالة الطفلة صبيا فى التاسعة من عمره يعيش مع والده وأخيه الأكبر على بعد ٢٥ ميلا ، وكانت الطفلة شديدة التعلق به ولم تره منذ عدة شهور ، وقد طلب الكبار من الطفلة أن تكرر ما قالت أكثر من مرة قبل أن يفهموا ماذا تقصد ، وظنت الأم ان الفتاة لا تفهم معنى ما تقول ، فغيرت مجرى الحديث ، ولكنها لا حظت أن هذا حدث فى الساعة الرابعة مساء ، وبعد ساعات تلقت الأسرة برقية من والد الطفلين تقول « ولداى الصغيران داريوس وديفى غرقا الساعة الرابعة اليوم وهما يتزحلقان فى بحيرة كينك » .

وحصل باحثو « جمعية الأبحاث الروحية » على قصاصة من صحيفة محلية نشرت الحادث وذكرت تاريخه وساعته على النحو الذى ذكرته الأسرة .

نظرية الوسط الطبيعى

حاول جورنى أن يقدم تفسيرا لظاهرة التليباثى ، قال انها من المحتمل ان تكون عملية نقل من ذهن الى ذهن عبر وسط طبيعى لا نعرف عنه شيئا الان ، مثلا كالوسط الطبيعى الذى يسير فيه السيال المغناطيسى ، فالمغناطيس يجذب قطع الحديد الصغيرة التى تقع فى سيالة حتى لو كان بينهما حائل ، كما أنه لو ثبت مغناطيس قوى دائم فى حجرة فإنه مع مرور الوقت يمغنط أية قطعة من الحديد فى تلك الحجرة ، وهناك مثال آخر على الوسط الطبيعى يؤخذ من التيار الكهربى ، فان السلك الذى يسير فيه تيار كهربى يحدث تيارا مستحثا فى سلك مجاور ، وعلى ذلك طالما أن الرسالة التى تنقل تليباثيا هى واحدة فى ذهن الراسل وذهن المتلقى فإنها تكون قد انتقلت من الأول الى الثانى عبر وسط طبيعى مجهول ، ولكن الصعوبة تنشأ عندما تكون الرسالة المنقولة غير دقيقة أو مختلفة تماما ـ مثلا أن تنتقل صورة الراسل نفسه لا رسالته ـ فعندئذ تبدو فكرة الوسط الطبيعى غير محتملة .

وهناك ـ كما فكر جورنى ـ حجة أخرى ضد الأساس الطبيعى لظاهر هى ان كل القوى الطبيعية المعروفة تضعف كلما سافرت مسافات طويلة الصوت والضوء والماء والمغناطيسية . . الخ ، والأمر ليس كذلك للتليباثى ، فإن الرسالة أو الصورة التليباثية يمكن ان تنتقل عبر القارات بنفس السهولة التى تنتقل بها عبر الشارع ، كل ذلك دعا جورنى الى التخلى عن فكرة الوسط الطبيعى ، وربما لو كان جورنى قد عاش الى اليوم لغير رأية مرة أخرى ، فقد إكتشف العلماء مؤخرا ان هناك معادن معينة اذا بردت الى درجة الهليوم السائل تكون قادرة على توصيل التيار الكهربائى بحيث لا تؤثر فيه المقاومة أو المسافة ، وحولنا تطبيقات اللاسلكى واضحة ، ففى الإمكان إستقبال موجات الراديو والتليفزيون من أى مكان فى الأرض ، بل ومن الفضاء الخارجى حيث تبعث سفن الفضاء الى المحطات الأرضية بالصوت والصورة فى وضوح تام ، فلماذا لا يكون التليباثى يعمل على أساس مشابه من الوسط الطبيعى ؟ على أية حال فإن طبيعة هذا الوسط لا تزال غامضة اليوم كما كانت عندما بحثها جورنى لأول مرة منذ مائة عام .

تجارب البروفيسور موراى

يعد البروفيسور جلبرت موراى الأستاذ بجامعة اكسفورد من أبرز المثقفين الانجليز فى مطلع هذا القرن ، والى جانب إهتماماته فى التاريخ والعلوم الإنسانية اهتم موراى بظاهرة نقل الأفكار بالتليباثى ، وأجرى عليها حوالى ٧٥٠ تجربة بين عامى ١٩١٠ و ١٩٢٤ ، وكانت تشترك فى تجاربه مجموعة صغيرة من أفراد أسرته وأصدقائه ، ويتلخص أسلوب موراى فى أنه كان يخرج الغرفة حيث يجلس الآخرون ويتفقون فيما بينهم على صورة أو حادثة يسجلونها كتابة فى ورقة ، ثم يدخل موراى ويمسك بيد الراسل ويحاول أن يخمن الموضوع الذى إختاروه بينما يقوم أحد الحاضرين بتسجيل كل كلمة ينطق بها ، وكانت الموضوعات التى يختارونها مزيجا من أحداث الأدب والتاريخ . ومن امثلة هذه التجارب : فكرت ابنة البروفيسور موراى ـ وهى زوجة المؤرخ الشهير آرنولد توينبى ـ فى اختيار اللقاء الذى تم بين روبرت وناتاشا فى رواية « الحرب

والسلام » لتولستوى حيث كانت ناتاشا تجرى فى الغابة مرتدية ثوبا أصفر. ودخل الأب موراى وأمسك بيد ابنته، وسجل الكاتب كلماته كما يلى: « حسنا .. أعتقد ان الموضوع يدور حول شخص يدعى روبرت، نعم انه موضوع خيالى، انه يقابل شخصا فى كتاب، أنه يلتقى بناتاشا فى « الحرب والسلام ». لا أعرف ماذا يقول بالضبط - ربما يقول لها: هل تهربين معى؟ »

وكانت تتخذ إحتياطات كافية لمنع وصول أصوات المناقشة الى أذنى موراى فى الخارج، لإستبعاد إحتمال حدة حاسة السمع فى مثل هذه التجارب، وقد لاحظ موراى نفسه انه أثناء فترة التركيز على الموضوع يكون حساسا للغاية إزاء الأصوات، وربما يكون يتلقى بطريقة لا شعورية مؤثرات صوتية من المجموعة وبالفعل عندما كان الموضوع يبحث همسا بين المجموعة كان فوراى يفشل عادة فى التعرف عليه ولكن لم يكن نجاح موراى يعزى فحسب الى قوة استرقاق السمع، ففى بعض الأحيان كان يستطيع أن يخمن منظرا من كتاب لم يقرأه ويذكر تفاصيل أو شخصيات لم تتحدث عنها المجموعة عند إختيار الموضوع، والتفسير الوحيد لذلك أنه حصل على هذه المعلومات تليباثيا من الراسل أو غيره من المشتركين الذين يعرفون الكتاب. وفى التقييم النهائى لتجارب البروفيسور موراى أحرزت نسبة ٣٣٪ من هذه التجارب نجاحا كليا، وعدت نسبة ٤٠٪ تجارب فاشلة، والباقى تجارب أحرزت نجاحا جزئيا.

لقد أثارت تجارب البروفيسور موراى، وغيرها من تجارب التليباثى، إحتمال ان تكون هذه القوة الغامضة أكثر وضوحا فى حالة التراسل بين أعضاء نفس الأسرة، فقد كان موراى أنجح ما يكون عندما يقوم بتجاربه مع إبنته زوجة المؤرخ أرنولد توينبى، كما ثبت أن التليباثى أقوى ما يكون بين التوائم، وان الأمهات أكثر استعدادا لتلقى إشارات الخطر تليباثيا من أبنائهن عند تعرضهم للمحنة.

وهناك حالة مهندس إيطالى شهير بعث بها الى « جمعية الأبحاث الروحية » تدل على مدى حساسية الام تليباثيا، إذ كتب المهندس يقول انه كان فى شبابه يستعد لأداء الامتحان فى شهر يونيو، ونتيجة للتعب الشديد فى إستذكار دروسه غرق فى نوم عميق جدا، ولكن يبدو ان يده إرتطمت بمصباح الكيروسين فاوقعته، وبدلا من أن ينطفئ المصباح انبعث منه دخان أسود

كثيف ملأ الغرفة وبدأ يختنق ، ويضيف المهندس أنه شعر تدريجيا بأن الجزء المفكر فيه انفصل تماما عن جسده المادى النائم ، وشعر هذا الجزء الواعى بأنه لكى ينقذ نفسه يجب أن يعدل وضع المصباح ويفتح النافذة ، ولكنه لم يستطع أن يوقظ جسده المادى أو يجعله يستجيب بأى شكل ، وعندئذ فكر فى أمه التى كانت نائمة فى غرفة مجاورة ، ورآها بوضوح بالرغم من الحائط الذى يفصل بينهما ، وهبت الأم من نومها فجأة وسارعت الى نافذة غرفتها ففتحتها كما لو كانت تنفذ الفكرة التى فى ذهنه ، ثم شاهدها تخرج من غرفتها ، وتدخل غرفته ، وتقدمت الى جسده المسجى على السرير وهزته برفق لتوقظه ، وعندئذ فقط شعر أن وعيه عاد الى جسده ، وإستيقظ من نومه مذعورا ، وقد أكدت الأم بعد ذلك أنها فتحت نافذة غرفتها قبل أن تأتى إليه تماما كما رآها تفعل عبر الحائط المصمت !

لقد استقرت الآن حقيقة التخاطر أو التليباثى تماما كحقيقة الإتصال عبر الهاتف . . ولكنه هاتف بلا أسلاك .

الحاسة السادسة فى معامل الاختبار

بدأ البحث المعملى فى ظواهر الباراسيكلوجى ، أو ما وراء علم النفس ، فى جامعات أوروبا وأمريكا خلال ثلاثينيات هذا القرن ، وتولى هذه الأبحاث علماء يضعون فى تقديرهم بالكامل حجج المتشككين والرافضين ، وهم كعلماء دربوا على المنهج العلمى يفهمون بوضوح أن أى قدر من الأدلة التلقائية أو الشواهد الشخصية لا يمكن أن تقنع العلم بقبول صحة ظاهرة تتعارض أساسا مع قواعده ، ان شعور شخص مثلا بسقوط الطائرة التى يركبها ابن عمه ، أو تنبؤه فى حلم بوقوع زلزال مدمر ، ليس بالدليل الكافى الذى يمكن أن يقنع العلماء ، وإنما يجب أن تدخل مثل هذه الظواهر الى المعمل ، حيث يمكن ملاحظتها وقياسها ، وإخضاعها للتجربة .

ويعتبر دكتور ج ـ ب ـ راين رائدا فى هذا المجال ، ففى عام ١٩٢٧ ذهب هو وزوجته لويز بعد ان حصلا على درجة الدكتوراة الى جامعة ديوك بولاية نورث كارولينا الأمريكية لإجراء أبحاث تكميلية على الظواهر النفسية ، وقد إختارا هذه الجامعة بالذات لأن أستاذ علم النفس بها ويُدعى ويليام مكدوجال ـ وهو رئيس سابق لجمعيتى الأبحاث الروحية فى بريطانيا وأمريكا ـ كان من المنادين علنا بضرورة دخول الأبحاث الروحية فى الجامعات ، وكان فى إستطاعته أن يقدم لهما خبرته الشخصية ، ويتيح كل الإمكانيات والتسهيلات

وبعد مرور ست سنوات نشر دكتور راين كتابه « الإدراك خارج نطاق الحواس » ويحوى تجارب السنوات الأولى التى أجراها على الباراسيكلوجى فى جامعة ديوك ، وأحدث هذا الكتاب فى الدوائر العلمية ضجة لا تقل عن تلك التى أحدثها كتاب داروين « أصل الأنواع » فى القرن الماضى . وأثار مناقشات وخصومات علمية لا يزال صداها يتردد حتى اليوم .

xxx

كانت المشكلة الرئيسية التى تواجه التجارب المعملية على الباراسيكلوجى ان هذه الظواهر تلقائية بصفة أساسية ، وغالبا ما ترتبط بالمحن والأزمات مثل الكوارث والموت ، وإذا كان الأمر كذلك فان من المستحيل إخضاع هذه الظواهر للتجارب المعملية ، ولكن ذلك لم يثن الباحثين عن عزمهم ، فان من المبادىء الأساسية فى البحث العلمى ان الأحداث الصغيرة التى تقع فى المعمل يمكن أن تضع المبادىء النظرية لأحداث أكبر تقع فى خارجه .

فمثلا لم يفهم الناس ظاهرة البرق والرعد إلا بعد أن إكتشفوا فى المعمل إمكان إطلاق شرارة نتيجة إلتقاء شحنتين كهربتين موجبة وسالبة . وكذلك فإن التفاعلات النووية المحدودة التى تجرى فى المعمل تشير الى القوة التفجيرية الهائلة التى يمكن أن تنتج من القنابل النووية ، ففى الحالين ، لسنا بحاجة الى إدخال البرق السماوى أو التفجير النووى فى المعمل كى نفهم طبيعتها ، بل تكفينا النماذج المعملية البسيطة ، وكذلك الحال فى ظواهر الباراسيكلوجى ، ليس المطلوب احداث ظاهرة كبرى من هذا النوع فى المعمل ، بل يكفى التأكد بواسطة أمثلة صغيرة ، فمثلا إذا كان فى المستطاع تخمين أوراق الكوتشينة تخمينا صحيحا مرات عديدة على نحو يستبعد إحتمال الصدفة فان ذلك يمكن ان يكون دليلا على حالات التليباثى الأكثر قوة التى تحدث خارج المعمل . بهذا المفهوم بدأ دكتور راين أبحاثه فى جامعة ديوك ، ليس من المهم أن تكون الظواهر التى تجرى فى المعمل صغيرة أو تافهة الشأن ، وإنما المهم أن يكون فى الإمكان قياسها وتكرارها ، وان لا يكون هناك أى تفسير آخر لها سوى الإدراك خارج نطاق الحواس .

أوراق زينر

استخدم دكتور راين فى تجاربه ما يسمى بأوراق زينر ، وهى أوراق تشبه أوراق الكوتشينة تحمل كل منها إحدى هذه العلامات الخمس : دائرة ، ونجمة ، وصليب ، ومربع ، وثلاثة خطوط متعرجة ، وهى من إبتكار دكتور زينر وسميت باسمه ، وتتكون مجموعة هذه الأوراق من ٢٥ ورقة ، خمسة

أوراق من كل نوع ، وإذا حاول أى شخص أن يخمن هذه الأوراق فانه يحصل طبقا لقانون الصدفة على خمسة تخمينات صحيحة ، أما إذا استطاع أن يسجل أكثر من خمسة تخمينات صحيحة عبر سلسلة طويلة من التجارب فانه يصح عندئذ علميا إفتراض أن هناك عاملا آخر غير عامل الصدفة يتدخل لإحداث هذ النتيجة ، وبالطبع فإن هذا العامل الإستثنائى يمكن أن يكون نوعا من الغش ، أو التواطؤ مع الممتحن ، أو قد يرجع الى خطأ فى تصميم التجربة ، أو الى حصول الفاعل على ارشادات ما ولو بطريقة لا شعورية ، ولكن إذا أمكن الإحتياط ضد هذه الإحتمالات جميعا واستبعادها واستمر الفاعل يحقق نجاحا فى تخميناته فوق حد الصدفة فإنه يمكن علميا إرجاع هذه النتيجة الى عامل آخر هو الإدراك خارج نطاق الحواس .

التجارب على بيرس

أجرى دكتور راين تجاربه فى جامعة ديوك والتى أوردها فى كتابه الخلاق « الإدراك خارج نطاق الحواس » على ثمانية أشخاص ، سوف نسمى الواحد منهم بالفاعل ، وهؤلاء الأشخاص أو الفعلاء هم الذين أثبتوا قدرتهم عبر إختبارات كثيرة متصلة على تسجيل إجابات صحيحة فوق حد الصدفة ، وبرز منهم بصفة خاصة هيوبرت بيرس وهو طالب صغير فى الكلية الدينية بجامعة ديوك .

كانت طريقة دكتور راين فى إجراء تجاربه ، وقد انتقدت بشدة فيما بعد - أن يبدأ مع الفاعل بطريقة غير رسمية ، أحيانا على قدح من القهوة أو الشاى ، ثم يأخذ تدريجيا فى تشديد الرقابة على الفاعل ، وقد كان بيرس يأخذ بعض الوقت فى التكيف مع الظروف الجديدة المشددة حيث تأتى نتائجه ضعيفة ، ولكنه بعد فترة قصيرة يواصل تسجيل الأهداف الصحيحة كما قبل أو أحسن فى بعض الأحيان ، وبلغ متوسط أهدافه فى ٦٠٠ جولة على الكوتشينة التى تضم ٢٥ ورقة أكثر من ٩ أهداف فى الجولة الواحدة وهى نتيجة ، وصفها راين بأنها فوق حد الصدفة بما لا يقاس .

وتركزت معظم التجارب مع بيرس على « قوة الإستبصار » فقد كان الوسيط والممتحن لا ينظران الى الأوراق ولذا فإن الفاعل لا يستشف أفكاره عن طريق التخاطر أو التليباثى معهما ، وإنما يتلقى إدراكه من الأوراق نفسها أى القدرة على إستبصارها . وهناك تفسير آخر هو أن تكون قدرة بيرس راجعة الى « التنبؤ بالمستقبل » بمعنى انه يخمن الإجابات الصحيحة التى سوف يطلع عليها الممتحن عندما يقلب الأوراق .

واكتشف دكتور راين أن بيرس لا يستطيع فقط تسجيل أهداف صحيحة بمتوسط حوالى ١٠ من كل ٢٥ ، ولكنه يستطيع أيضا أن يسجل أهدافا خاطئة دون حد الصدفة إذا طلب منه ذلك ، فقد اجرى بيرس ٢٢٥ جولة سجل فيها متوسطا يبلغ أقل من هدفين فى الجولة الواحدة وذلك عندما أمره راين أن يتعمد الخطأ ، وهكذا كان فى إستطاعته ان يحرز تسجيلا عاليا أو منخفضاً بإرادته . ولكن الإكتشاف الأكثر إثارة أن بيرس كان يستطيع أن يجرى تخميناته على مجموعة الأوراق كلها دون أن يقلب ورقة واحدة منها . فبعد أن يتم خلط أوراق الكوتشينة وقطعها ، توضع جميع الأوراق أمامه فى كومة واحدة حيث يركز بيرس عليها بعض الوقت ثم يأخذ فى كتابة تخميناته بالترتيب ، وعندما تراجع هذه التخيمنات على الأوراق بعد قلبها يتضح أن بيرس سجل إجابات صحيحة تفوق حد الصدفة . وقد أجرى بيرس ٦٥ جولة من هذا النوع كان متوسط تسجيلاته الصحيحة فيها ٧,٤ فى الجولة الواحدة ، كما أجرى بيرس تجاربه بنجاح ملحوظ من مسافة بعيدة ، إذ وضع فى مبنى يبعد ١٠٠ ياردة ثم فى مبنى آخر يبعد ٢٥٠ ياردة عن المبنى الذى فيه الممتحن والأوراق فى جامعة ديوك ، وضبط بيرس والممتحن ساعتيهما تماما ، وكان على بيرس أن يعطى إجاباته بواقع ورقة فى كل دقيقة وبعد أن أجرى بيرس ٣٠٠ جولة من هذا النوع كان متوسط تسجيله ١١,٤ هدفا فى الجولة الواحدة أى بنسبة أعلى من التنبؤ عن قرب .

كان بيرس واحدا من ثمانية أشخاص فى جامعة ديوك إكتشف دكتور راين أنهم يملكون مقدرة الإدراك خارج نطاق الحواس ، وعندما نشر دكتور راين كتابه عن تجاربه هذه فى عام ١٩٣٤ كان مقتنعا بأنه ينبغى على الأوساط

العلمية أن تلتفت إليها ، ولكن الأوساط العلمية ظلت فى مجموعها متشككة فى صحة تجارب راين وفى قدرته على التحليل الإحصائى لهذه التجارب ، بل ذهب بعض منتقديه الى حد التشكيك فى نزاهته .

تجارب رايس

من هؤلاء المتشككين كان البروفيسور برنارد رايس الاستاذ بكلية هنتر بمدينة نيويورك . ولكن رايس لم يكتف بالشك النظرى كما فعل غيره ، وإنما قرر أن يقوم بتجاربه الخاصة على الإدراك خارج نطاق الحواس ، وعثر رايس على سيدة أثبتت قدرات إستثنائية فى التجارب الأولى التى أجراها بطريقة راين - بيرس فى جامعة ديوك ، وأخذ يجرى معها تجارب على البعد ، فكان يجلس فى حجرة مكتبه فى وقت محدد بينما السيدة فى منزلها على بعد ربع ميل ، ويأخذ هو فى قلب أوراق كوتشينة زينر بينما تكتب هى تخميناتها بعد ضبط الوقت بينهما بواسطة ساعة التوقيت ، وأجرى رايس ٧٤ جولة مع هذه السيدة استغرقت عدة شهور ليكتشف بعد ذلك أنها حققت متوسطا يبلغ ١٨ هدفا فى الجولة الواحدة وهى نتيجة قال عنها رايس « ليس هناك ما يفسرها فى فلسفتى العلمية » وقبل بروح علمية محايدة أن ينشر تقريرا عن تجاربه فى « مجلة الباراسيكلوجى » .

وهذا هو أكبر نجاح سجلته تجارب الإدراك خارج نطاق الحواس ، ولكنه اعتبر دون مستوى الدليل العلمى لأنه لم يجر تحت ظروف معملية مشددة ، ولسوء الحظ عندما اتخذت هذه الظروف توطئة لإجراء سلسلة أخرى من التجارب ، فقدت السيدة قدرتها على الحدس بعد أن شفيت من مرض أصابها ، وجاءت تسجيلاتها تحت حد الصدفة ، ونفس هذا الشيء حدث لهيوبرت بيرس الذى فقد إيضا مقدرته بعد أنباء سيئة تلقاها من وطنه . ومما يحير علماء الباراسيكلوجى الى اليوم ان مقدرة الإدراك خارج نطاق الحواس تميل الى الظهور فى بعض الناس فترة قصيرة من الزمن ثم تختفى لديهم بعد ذلك ، غالبا فى أعقاب حدث مزعج ، ولكن بمجرد أن يبدأ الفاعل فى فقد مقدرته يعد ذلك فى حد ذاته دليلا على أن النتائج الإيجابية السابقة كانت حقيقية .

شاكلتون وتأثير الإزاحة

من الذين شكوا أيضا فى أبحاث راين المبكرة فى جامعة ديوك دكتور صول ، وقد أثبت هذا الرجل من قبل أنفريدريكماريون الذى يقوم بتجارب على التليباثى فى المسرح أمام جمهور من المشاهدين المبهورين ليس إلا غشاشا لا يستحق شهرته ، ولم يكن دكتور صول يرفض الباراسيكلوجى رفضا مبدئيا كأصحاب النظرة المادية المتشددة ، فهو قد سبق أن أبدى إهتماما بالأبحاث الروحية فى أوائل العشرينيات ، وإنما ما كان يحيره هو كيف يستطيع راين أن يحصل على ثمانية فعلاء موهوبين على الأقل فى وقت واحد ومكان واحد ، لقد وجد ذلك صعبا على التصديق لأنه أجرى بنفسه تجارب مماثلة ولم يعثر حتى على فاعل واحد موهوب ، ولمدة سنوات بعد صدور كتاب راين ظل دكتور صول يواصل تجاربه باصرار ولكنه فشل فى تسجيل أى نتائج إيجابية فوق حد الصدفة .

وذات يوم تقدم له فاعل جديد بدأ يجرى عليه تجاربه ولم يكن لدى دكتور صول ما يجعله يأمل فى نجاح هذه التجارب دون سابقاتها ، دعك من أن تؤدى الى واحد من أغرب الإكتشافات فى أبحاث الإدراك خارج نطاق الحواس .

كان الفاعل الجديد هو المصور الفوتوغرافى المعروف بازيل شاكلتون ، وقد طرق باب مكتب دكتور صول ذات ليلة كئيبة باردة من ليالى شهر فبراير عام ١٩٣٦ ، ودخل فى ثقة قائلا : اننى لم أحضر الى هنا لكى أمتحن ، وإنما لأعرض مقدرتى على التليباثى ، وزعم انه أمام أصدقائه فى المنزل يستطيع أن يتنبأ بأوراق الكوتشينة المقلوبة واحدة بعد الأخرى وتأتى معظم نبوءاته صحيحة ، ولكنه لم يلبث أن خاب أمله فى التجارب التى أجراها أمام دكتور صول ، إذ سجل فى ست جولات متعاقبة على مجموعة الـ ٢٥ ورقة نتائج صحيحة عبارة عن ١٠ ـ ٧ ـ ٧ ـ ٦ ـ ٦ ـ ٣ على التوالى ، وبدا شاكلتون متحيرا بعض الوقت ، ثم قال انه يلزمه كأسا أو كأسين قبل أن يستجمع قواه التخمينية ، ولكن حتى بعد أن قدم له دكتور صول « الكأس أو الكأسين »

ووفر له كل الظروف الملائمة ، استمر شاكلتون يسجل متوسطا يبلغ ٤،١ فى الجولة من ٢٥ ورقة ، أى تحت حد توقع الصدفة ، ومع ذلك استمر دكتور صول فى إجراء سلسلة التجارب الى نهايتها ، وفى النهاية أحصى صول ١٦٥ نتيجة إيجابية فقط من ٨٠٠ محاولة وهو سجل منخفض للغاية ، فصرف شاكلتون ونسى كل شيء عنه .

بعد ذلك بثلاث سنوات حُرِّض دكتور صول على إعادة النظر فى سجلات شاكلتون مرة أخرى ، وكانت لذلك قصة . . فقد كان هناك باحث فى جامعة كامبروج يدعى ويتلى كارينجتون يقوم بتجاربه الخاصة على التليباثى مستخدما الصور ، فكان على مجرى عشرة ليال متعاقبة يرسم صورة بيده ويعلقها فى غرفة مغلقة فى منزله ، ويطلب من فاعليه - وبعضهم على الجانب الآخر من الأطلنطى - أن يحاولوا مضاهاة هذه الصورة بملكة الإدراك خارج نطاق الحواس ويرسلوا إليه صورهم بالبريد ، وقد لاحظ كارينجتون أن عددا كبيرا من الرسوم التى تلقاها تحاكى أو تشابه رسومه بالفعل ، ولكن الترتيب لم يكن سليما ، أى أن الرسم المعين لم يكن فى تلك الليلة المحددة له وإنما غالبا ما يكون رسماً للصورة التى تليها ، أو التى سبقتها ، وكانت الصور المتأخرة قليلة العدد ، أما الصور التالية ، أى التنبؤ بالرسم التالى ، فكانت متكررة على نحو يلفت النظر وفى بعض الحالات كان الفاعل يرسم هذه الصورة قبل أن يرسمها كارينجتون نفسه ، أى أن فكرة الصورة تأتيه فى هذه الحالة بالتنبؤ وليس بالتليباثى .

وأطلق كارينجتون على هذه الظاهرة « تأثير الإزاحة » ، ولفت نظر صول إليها ، وحثه على أن يعود الى سجلات تجاربه القديمة ليرى ما إذا كان هناك دليل فيها على « تأثير الإزاحة » هذا . وأخذ صول باقتراحه وهو غير متفائل أو متحمس فقد كان هذا الفحص يتطلب عملا كثيرا ، ولكنه عندما بدأ فى فحص سجلات شاكلتون كوفىء صبره فى النهاية ، فقد إكتشف أن هذا الفاعل الذى لم تتجاوز تنبؤاته حد الصدفة كثيرا ما كان يتنبأ بصحة عن الورقة السابقة أو التالية للورقة التى من المفروض أن يتنبأ عنها ، وعندما حسب دكتور صول بالتحليل الرياضى إحتمال الصدفة فى هذه النتائج من زاوية « تأثير الإزاحة » وجد انه يبلغ ١ : ٢٥٠٠ ، وهكذا فإن ثقة شاكلتون فى قدراه

التخمينية لم تكن خاطئة ، كل ما فى الأمر أنه كان يتنبأ بالورقة السابقة أو التالية مثل الرامى الذى لديه ميل غريب الى تسجيل إصاباته المتكررة الى اليمين قليلا أو الى اليسار قليلا من الهدف .

وإتصل دكتور صول بشاكلتون وبدأ معه سلسلة أخرى من التجارب فى أوائل الأربعينات مستخدما وسطاء كثيرين مختلفين ، وكان بصفة متكررة يتنبأ بالورقة الصحيحة التالية إذا كانت الفترة المتاحة له للتنبؤ ٢,٨ ثانية ، ولكن عندما زاد دكتور صول من سرعة عملية التنبؤ الى نصف هذه الفترة تقريبا أى ١,٤ ثانية كان شاكلتون يتنبأ بالورقة التى ما بعد التالية أى بأثنين مقدماً ، وهذه المقدرة لدى شاكلتون على معرفة الأوراق التالية توحى بأنها من قبيل التنبؤ المستقبلى لا التليباثى ، كما لاحظ صول ان هذه النتائج قد تفسرها أيضا « الرؤية عن بعد » أو الإستبصار .

وقام شاكلتون بتحسين قدراته على التنبؤ المباشر بالهدف ، فقد طلب منه صول أن يستعد لجلسة فى اسبوع قادم لتسجيل الهدف المباشر ، واستطاع شاكلتون فى هذه الجلسة ان يسجل ٧٦ هدفا صحيحا من ٢٠٠ محاولة ، وهى نتيجة لا تحدث بالصدفة إلا مرة كل عشرة ملايين مرة ، وفى بعض الجولات كان صول يستخدم سراً بدون إبلاغ شاكلتون مجموعة من الأوراق تضم رمزين فقط ـ احدهما يتكرر ١٢ مرة والآخر ١٣ مرة ـ ومعنى ذلك ان يستبعد شاكلتون من إجاباته دون أن يدرى ثلاثة رموز من الرموز الخمسة ومع ذلك سجل فى ثلاث جولات متعاقبة من هذا النوع ٧ ـ ١٢ ـ ١٣ على التوالى .

النتائج المستخلصة

كتب البروفيسور ر . هـ . توليس أستاذ الفلسفة بجامعة كامبروج فى عام ١٩٤٢ يقول :

« ان حقيقة وجود ظاهرة الإدراك خارج نطاق الحواس يجب إعتبارها ثابتة كأى شيء آخر يمكن أن يثبته البحث العلمى . . فلنتوقف الآن عن محاولة اثباتها من جديد مرة بعد أخرى إرضاء للمتشككين فى وجودها ، ولنحاول بدلا من ذلك أن نكرس جهودنا فى كيف يمكننا الإستفادة من هذه الظاهرة » .

ويرى علماء الباراسيكلوجى ان البروفسيور توليس قد أصاب كبد الحقيقة بهذه العبارة ، وأن من العبث الآن إضاعة الوقت فى المزيد من الأبحاث على إثبات وجود شيء موجود بالفعل . وهم يستخلصون من الأبحاث العديدة التى أشرنا الى بعضها فيما سبق النتائج التالية :

١ ـ أثبت الباحثون الذين يعملون بصفة مستقلة فى بلاد مختلفة عن طريق اختبارات أوراق الكوتشينة وغيرها من الوسائل أن بعض الأشخاص (الفعلاء) يمكنهم تسجيل نجاح فى التنبؤ الصحيح يستبعد إحتمال الصدفة كتفسير له ، وبذلك يكون التفسير الوحيد هو مقدرة الإدراك خارج نطاق الحواس .

٢ ـ هذه المقدرة تبدو نادرة وقصيرة الأجل ، فمن الصعب العثور على فاعل يسجل أهدافا عالية وحتى مثل هؤلاء الفعلاء غالبا ما يفقدون قدراتهم فجأة .

٣ ـ ان الإدراك خارج نطاق الحواس ليس عملية لا إرادية بصفة كلية ، إذ يبدو أن بعض الفعلاء الموهوبين مثل بيرس وشاكلتون يستطيعون بإرادتهم تسجيل أهداف عالية أو منخفضة سواء بخصوص الهدف المباشر أو ما يجاوره بتأثير الإزاحة .

٤ ـ ان هذه المقدرة تعمل بطريقة فعالة عندما يكون الفاعل فى حالة استرخاء وإطمئنان ، بعيدا عن الإزعاج والمنغصات ، ويمكن تدمير هذه المقدرة مؤقتا بواسطة تناول عقار مسكن مثل « صوديوم امتيال » ثم تستعاد أو تنشط بواسطة تناول عقار منبه مثل « الكافيين » أى القهوة ، كما يتأثر التليباثى بالعلاقة بين الفاعل والوسيط .

٥ ـ كان من المعتقد فى الأيام الأولى للأبحاث فى الباراسيكلوجى ان التليباثى أكثر معقولية وقابلية للتصديق لأن تصور وجود علاقة تفاعل بين ذهن وذهن أسهل من تصور وجود علاقة بين ذهن ومادة أو قدرة الذهن على تخطى حدود الزمن ولكن إكتشاف قدرة بيرس على تخمين الأوراق التى لا يراها الوسيط وكذلك ثبوت تأثير الإزاحة فى أبحاث كارينجتون وصول يشككان فى

الإعتقاد السالف ، بل المعتقد الآن ان قدرة الإستبصار وقدرة التنبؤ أكثر شيوعا من قدرة التخاطر (التليباثى) .

٦ـ ان مقدرة الإدراك خارج نطاق الحواس يمكن ان تعمل بكفاءة على البعد ، من أية مسافة ، مما يستبعد تفسير هذه المقدرة بالقوانين الطبيعية المعروفة لأنه كان من المعتقد ان كل القوى الطبيعية تضعف إذا سافرت بعيدا ، وبالرغم من أنه قد إكتشف مؤخرا بعض استثناءات لهذه القاعدة إلا اننا مازلنا لا نفهم كيف يعمل الإدراك خارج نطاق الحواس . وإنما نرى نتيجة عمله فقط .

٧ ـ إذا كان الفعلاء الموهوبون قلة نادرة إلا أن بعض الباحثين يعتقدون الآن ان كل إنسان يملك موهبة الإدراك خارج نطاق الحواس بدرجة ما ، ولكننا نغفل عن تنميتها ، بل لا نكاد نعترف بها أو نعرف بوجودها أصلا ، وذلك لفرط إعتمادنا على الحواس ، والمعروف ان المواهب بل ووظائف الأعضاء نفسها تضعف بالترك والإهمال .

تجارب معملية على الإستحراك

كان من المعتقد فى أذهان العامة ان الظواهر الباراسيكلوجية المعروفة باسم الإستحراك النفسى **Psycho - Kenetic** ترجع الى فعل قوى ما وراء الطبيعة مثل الأرواح والعفاريت والجن ، ولكن علماء الباراسيكلوجى يعتقدون الآن ان هذه الظواهر لا علاقة لها بمثل هذه القوى الخارجية المجهولة وإنما هى نتيجة لانطلاق طاقة نفسية روحية مختزنة ، أما كيف تتحول هذه الطاقة النفسية الى طاقة تحريكية قادرة على التعامل مع المادة ، فهذا ما لا نعرفه بعد .

ومعظم الناس يرون ان فكرة الإستحراك النفسى أكثر صعوبة على التصديق من فكرة الأدراك خارج نطاق الحواس ، فمن الممكن تصور تأثير ذهن فى ذهن آخر بدون أية وسيلة ظاهرة للاتصال بينهما ، أما أن يؤثر ذهن فى مادة ، أى أن يستطيع شخص ما أن يؤثر فى أحداث العالم المادى الخارجى بإرادته المجردة ، فهذا غير متصور ، وغير قابل للتصديق .

ولكن هذه الصعوبة بدأت تتراجع الآن أمام التجارب المعملية ، وهى أيضا تجارب على أشياء تافهة أو صغيرة ، غير أنها بمثابة أصبع يشير الى حقائق أكبر خارج نطاق المعامل .

ذات يوم فى أوائل عام ١٩٣٤ دخل شاب مكتب دكتور ج . ب . راين فى جامعة ديوك ، وإبتدره قائلا « هاى . . دوك . . لقد جئت لأخبرك بشىء اعتقد أنك ينبغى أن تعرفه » ومضى الشاب قائلا انه مقامر محترف وأنه عندما يكون فى حالة نفسية معينة وصفها بأنها « ساخنة » يستطيع أن يؤثر فى زهر الطاولة فيجعله يقع على الوجه الذى يريده بتأثير إرادته وحدها ، وقد جرب ذلك مرارا حتى تأكد منه تماما ، وقال انه سمع عن تجارب دكتور راين فى الإدراك خارج نطاق الحواس ففكر ان دكتور راين هو الرجل الذى يمكن أن يأخذ إكتشافه بجدية ويبحثه بطريقة علمية ، وكان على صواب فى ذلك ، فخلال دقائق كان دكتور راين والمقامر يجلسان على الأرض فى ركن الغرفة يلعبان بالزهر .

كانت هذه بداية برنامج طويل من الأبحاث على طاقة الإستحراك النفسى فى جامعة ديوك ، ولكن نتائج هذه الأبحاث لم تنشر إلا بعد ذلك بعشر سنوات ، فقد كان دكتور راين ومعاونوه لديهم ما يكفيهم من المتاعب فى محاولة اقناع الأساط العلمية بقبول أدلتهم على تجارب الإدراك خارج نطاق الحواس ، ولم يشاءوا أن يزيدوا الموقف صعوبة بإعلان سابق لأوانه عن أن فى الإمكان أيضا اثبات طاقة الإستحراك فى المعامل ، ولذا فقد استمرت خلال السنوات التسع التالية تجارب الزهر فى صمت وهدوء داخل جامعة ديوك ، وكانت نتائجها تسجل بدقة ، وتحلل احصائيا ، ولكن لا تنشر .

كانت التجارب الأولى التى سجلت فى جامعة ديوك تضم ٥٦٢ جولة سجلت ٣١١٠ هدفا صحيحا فى حين أن حد الصدفة ٢٨١٠ (أى ٥ × ٥٦٢) أى أن الأهداف الصحيحة التى سجلت تزيد عن حد الصدفة بمقدار ٣٠٠ هدف ، ودلت الحسابات المؤسسة على نظرية الإحتمالات على ان هذه النتيجة لا تأتى بمحض الصدفة إلا مرة كل بليون مرة .

بعد هذه المرحلة الأولية المشجعة ، رأى الباحثون فى جامعة ديوك ان الوقت قد حان لتشديد الظروف التى تجرى فيها التجارب ، وذلك ليروا ما إذا كانت هذه النتائج من الممكن أن تعزى لسبب آخر غير الإستحراك النفسى ، وكان هناك سببان محتملان : ان يكون ذلك راجعا الى مهارة رامى الزهر نفسه ، أى أنه كما يقال فى لغة الطاولة « يقرص » على الزهر ، والسبب الآخر قد يرجع الى ميل طبيعى فى الزهر نفسه ، فالوجه ذو الأرقام العالية المحفورة يكون أخف نسبيا من الوجه ذى الأرقام الصغيرة الذى لم تنزع منه مثل هذه الكمية من المادة ، ولذلك تميل قطعة الزهر الى الاستقرار على وجهها الأثقل أى أن يأتى الوجه ذو الأرقام العالية الى أعلى ، وهى حقيقة قد يدركها اللاعب أو الفاعل لا شعوريا فيزيد من مراهنته على هذا الوجه . ومن أجل استبعاد السبب الأول اخترعوا آلة لإلقاء الزهر أتوماتيكيا عبارة عن أنبوبة متعرجة الداخل ومتصلة بعلبة « تشخلل » الزهر وتطلقه فى الأنبوبة كهربائيا ، أى أن مهارة اللاعب هنا تستبعد تماما ، فلا أحد يلمس الزهر فى كل مراحل التجربة ، ولاستبعاد السبب الثانى صمموا أنواعا خاصة من الزهر الدقيق المتوازن تماما فى كل أوجهه ، وأجريت تجارب كثيرة أخرى تحت مثل هذه الظروف المشددة فى جامعه ديوك وغيرها من معامل الأبحاث ، وظلت النتائج بشكل ملحوظ فوق حد الصدفة ، ولكن خلافا لتجارب الإدراك خارج نطاق الحواس لم يؤد البحث على طاقة الاستحراك الى إكتشاف فعلاء موهوبين فى إمكانهم تسجيل أهداف عالية وإنما يوحى البحث خلافاً لذلك بان طاقة الاستحراك شائعة لدى الكثيرين ، بل ان معظم الناس يمتلكونها ، ولكنها نادراً ما تكون قوية لدى شخص دون الآخرين .

xxx

بقى هناك مجالان آخران من طاقة الاستحراك بدا من الممكن اخضاعهما للبحث المعملى هما ظاهرة تصوير الأفكار ، وإقترح تسميتها بالعربية « فكروتوغرافيا » ، والطب الروحى .

فى عام ١٩١٠ اختبر البروفيسور اليابانى توموكيشى فوكوراى امرأة قيل أنها تمتلك مقدرة « الإستبصار » **Clairvoyance** وإخترع لذلك فكرة أن يدعها تحدس بطريقة الاستبصار الصورة المطبوعة على شريحة فيلم لم يجر تحميضه

بعد ، وقد لاحظ بعد انتهاء التجارب وتحميض الأفلام ان شرائح أخرى من الأفلام الخام المجاورة قد تأثرت فيها يبدو بمجهود السيدة فى التركيز ، فظهرت عليها خطوط وشبه أشكال ، فطلب فوكوراى من السيدة - فى سلسلة أخرى من التجارب - أن تحاول ان تنقل أشكالا معينة - هى فى الغالب أشكال هندسية أو حروف باللغة اليابانية - على شرائح من الأفلام الخام بدون إستخدام الكاميرا ، وكانت الشريحة المطلوب تصويرها توضع بين شريحتين آخرتين ، واستطاعت السيدة فى حالات كثيرة أن تنجح فى طبع الشكل المطلوب فى شريحة الفيلم المحددة تاركة الشريحتين الخارجيتين صافيتين تماما ، ونشر فوكوراى كتابا عن اكتشافه الغريب مزودا بصور تجاربه ، ولكن الخصومة التى أثارها هذا الكتاب فى الدوائر العلمية اليابانية أرغمته على الاستقالة من منصبه الجامعى !

وفيما عدا هذه الحادثة اليابانية لم يسمع أحد الكثير عن تصوير الأفكار أو « الفكروتوغرافيا » حتى جاءت ستينات هذا القرن ، فقد بدأ باحث نفسانى فى دينيڤر يدعى دكتور جول ايزبوند يفحص مزاعم خادم فندق فى شيكاغو يدعى تيد سيريوس كان يدعى انه يستطيع أن يطبع ما يشاء من الصور على فيلم بولارويد بمجرد التركيز بناظريه فى عدسة الكاميرا ، وظل ايزبوند يجرى تجاربه على سيريوس عدة سنوات ونشر عن هذه الظاهرة عدة مقالات وكتابا بعنوان « عالم تيد سيريوس »

ومن هذه الصور التى نشرت تبدو صور أشخاص وسيارات ومبان مثل فندق هيلتون فى دينيڤر ، وقبة كنيسة سانتا ماريا دى لوريتو وغيرها ، كما فحص الرجل دكتور براث وجعله يقيم لهذا الغرض فى معمل الباراسيكلوجى بجامعة فيرجينيا مدة شهر ، ولكن قبل أن يتمكن دكتور براث من إتمام سلسلة من التجارب المشددة على تيد سيريوس - الذى كان رجلا لا يعتمد عليه وميالا للخمر - غادر سيريوس المعمل بدون مبالاة ، وظلت مزاعمة بدون دليل حاسم ، ولا تزال مسألة إمكان احداث تفاعلات كيميائية على فيلم حساس بإستخدام طاقة الإستحراك النفسى فى حاجة الى مزيد من الأبحاث .

xxx

ولكن الأبحاث التى أجرت على المعالج الروحانى أوسكار استيبانى فى مونتريال بكندا جاءت بنتائج مرضية ، كان استيبانى ضابطا سابقا فى الجيش المجرى برتبة كولونيل ، وقد إكتشف فى نفسه قدرة على شفاء الأمراض اثناء قيامه بدورة على تدليك الخيول فى الثلاثينات ، فقد لاحظ هو والمتصلون به قدرته على شفاء الخيول المريضة بوضع يديه فوقها وهو ما لم يكن يستطيع أن يفعله زملاؤه فى الدورة وسرعان ما اكتسب استيبانى شهرة فى بودابست كمعالج روحانى فى الاربعينات ، وإستمر يزاول الطب الروحى بعد أن هاجر الى كندا فى منتصف الخمسينات واشتهر عنه انه استطاع فى مئات الحالات أن يشفى أمراضا ـ معظمها نتيجة إضطرابات نفسية ـ عجز الطب العادى عن علاجها . وفى عام ١٩٦١ وافق استيبانى على أن يدع دكتور برنارد جراد من جامعة ماكجيل يفحص مقدرته العلاجية علميا .

ولما كان التفسير العقلانى الواضح للعلاج الروحانى هو الإيحاء ، بمعنى أن إيمان المريض بقدرة المعالج على شفائه هى التى تحدث الاثر ، لذلك قرر دكتور جراد أن يبدأ تجاربه على ٣٠٠ مريض لا يؤمنون بقدرات استيبانى المزعومة ولا يعرفون عنها شيئا ، فهؤلاء المرضى كانوا فئرانا ، فقد أحدث دكتور جراد جرحا صغيرا متشابها فى ٣٠٠ فأر من فئران المعامل ، وقسمهم الى ثلاثة أقسام متساوية : المجموعة الأولى يتعامل معها استيبانى ، والمجموعة الثانية يتعامل معها أشخاص لا يزعمون لأنفسهم مقدرة على العلاج الروحانى ، والمجموعة الثالثة تركت بدون علاج ، كمعيار للمجموعتين الآخريتين ، وكان العلاج ببساطة عبارة عن أن يضع المعالج يديه على قفص المجموعة لمدة ١٥ دقيقة مرتين كل يوم ، وبعد ١٦ يوما فحصت الفئران فوجد أن الجروح التى عالجها إستيبانى سارت فى طريق الالتئام بأسرع من المجموعتين الآخريتين .

وقامت الدكتورة جوستا سميث بمزيد من الأبحاث على قدرات استيبانى

كانت الباحثة الدكتورة جوستا سميث مديرة « لمعهد الأبعاد الإنسانية » بكلية روزارى هل بنيويورك ، وكانت متخصصة فى الكيمياء العضوية الى جانب كونها راهبة من الفرنسسكان ، وقد فكرت الدكتورة جوستا انه إذا كان الطب الروحى يعمل حقيقة ، فإنه لابد أن يعمل على مستوى الإنزيمات فى خلايا الجسم ، لأن الانزيمات هى المواد التى تحدث التغيرات الكيماوية فى الخلايا ، وفشل الانزيم هو أساس السبب العضوى للمرض ، وحتى تتحقق الصحة تحتاج بعض انزيمات الجسم الى الاسراع فى العمل وانزيمات أخرى الى الابطاء .

وأجرت الدكتورة جوستا سميث قدرا كبيرا من البحث على انزيم « التربسين » وهذا الانزيم يصاب بالقدر الشديد إذا تعرض للأشعة فوق البنفسجية ، فأعدت وعاء ملأته بمحلول التربسين وأفسدت تكوين جزيئاته بتعريضة للأشعة فوق البنفسجية ، وطلبت من إستيبانى أن يضع كفيه على جانبى الإناء ، وكلما مضت ١٥ دقيقة كانت تأخذ كمية قليلة من المحلول وتقوم بتحليلها بواسطة جهاز بالغ الحساسية يسمى « سبكترو فوتوميتر » وهو جهاز لقياس شدة الضوء النسبية بين مختلف أجزاء الطيف ، وكانت الدكتورة سميث قد إكتشفت فى تجارب سابقة قدرة استيبانى على زيادة سرعة معدل التفاعلات فى الانزيمات السليمة ، ولكنها الأن اكتشفت أيضا قدرته على إصلاح الجزيئاتت المدمرة ، وأدت التجارب اللاحقة على مزيد من المعالجين الروحيين وانزيمات أخرى الى تأكيد هذا الإكتشاف ، ولم يكن المعالجون الروحانيون الذين تستخدمهم الدكتورة سميث يعلمون أى انزيم يمسكونه بين أيديهم وما إذا كان المطلوب زيادة تفاعلاته أو انقاصها حتى يكون لذلك تأثير إيجابى فى الجسم ، ولكن فى حالات كثيرة أثبت المعالجون الروحانيون قدرتهم على احداث الأثر المطلوب الذى يناسب كل حالة ، وعندما قدمت الدكتورة جوستا سميث نتائج أبحاثها الى الدوائر العلمية إختارت لبحثها هذا العنوان الجدير به « الطب الروحى : من الخرافة الى العلم » .

وفى السبعينيات دخلت الأبحاث على الإستحراك النفسى مرحلة جديدة بإكتشاف مزيد من الفعلاء الموهوبين أمثال آنا راسموسين ويورى جيللر ، ويسود الآن الإعتقاد بان ظاهرة الإستحراك بتمتع بها الكثيرون من الناس بدرجة ضعيفة ، ولكنها من النادر أن تعلن عن نفسها بشكل ملفت للنظر .

ولكن الأبحاث المعملية على الباراسيكلوجى لم تقف عند حد اثبات الظاهرة وإنما تتعداه الآن ال محاولة إيجاد تفسير مادى معقول لهذه القوى النفسية الكامنة ، وقد قطعت الأبحاث فى الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية شوطا كبيرا فى هذا المجال .

البحث عن أساس مادى للباراسيكلوجى

فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وبعد ان اجتاحت القوات النازية بولندا ، كان من أهم ما يشغل بال هتلر أن تعتقل قواته رجلا بولنديا يدعى وولف ميسينج وتأتى به برلين حيا أو ميتا . كان قد اشتهر عن هذا الرجل انه يتمتع بقوى خارقة كوسيط روحى وعراف متنبىء ، وكان قد تنبأ لهتلر قبل إجتياح بولندا بأنه سيخسر الحرب فى النهاية ويلقى خاتمة شخصية سيئة ، ولما كان هتلر من أشد المتطيرين الذين يؤمنون بالعرافة والتنجيم لذلك فقد أسرها فى نفسه ، وعزم على الانتقام من ميسينج عندما يقع يوما فى قبضة يده .

وإستطاع ميسينج أن يهرب فى آخر لحظة ويلجأ الى موسكو . ولكنه كان كالمستغيث من الرمضاء بالنار ، إذ نجا من قبضة دكتاتور ليقع فى قبضة دكتاتور آخر . . ستالين الرهيب هذه المرة . فقد سمع الدكتاتور السوفيتى بحكايته وقرر أن يختبر قواه التليباثية ، وحدد بنفسه الإمتحان . . أن يستخدم ميسينج قواه المزعومة فى سرقة بنك سوفيتى !

واختاروا لوولف ميسينج بنكا كبيرا فى موسكو ، لا يعرفه فيه أحد ، وفى اليوم المحدد دخل ميسينج البنك بخطوات ثابته ، وتقدم الى الصراف الذى يجلس خلف نافذته الزجاجية ، وقدم إليه ورقة بيضاء منتزعة من دفتر مدرسى ، ووضع أمامه حقيبة فارغة مفتوحة ، وأمره تليباثيا أن يصرف له مبلغ ١٠٠ ألف روبل .

ونظر الصراف الى الورقة ، وفحصها جيدا ، لم يشك لحظة فى أنها « شيك » صحيح . . ولم يلبث أن فتح خزانته وراح يخرج منها رزم البنكنوت ويضعها فى الحقيبة ، حتى عد ١٠٠ ألف روبل بالتمام والكمال .

وحمل ميسينج الحقيبة ، وخرج من البنك ، وهناك أطلع رجال ستالين على النقود مثبتا نجاحه فى سرقة البنك ، وبعد ذلك عاد الى الصراف مرة أخرى وبدأ يعيد إليه رزم البنكنوت . ودهش الصراف وأخذ ينظر إليه . والى النقود ، والى الورقة البيضاء الخالية أمامه ، ثم سقط على الأرض مصاباً بأزمة قلبية . .

ولحسن الحظ فقد نجا الصراف من الأزمة القلبية ، ولكن ميسينج لم ينج من قبضه ستالين ، كان ينتظره إمتحان آخر أراد به ستالين أن يتأكد شخصيا من قواه الإستثنائية ، فأمره أن يدخل عليه فى مكتبه بالكرملين بدون الحصول على إذن كتابى خاص شأن كل من يدخل هذا المكان كائنا من كان من زعماء الحزب والقادة السوفيت .

وفى اليوم المحدد تقدم رجل الى قصر الكرملين وقطع ساحته ، وعند الباب حياه الحرس برفع السلاح ، وأخذ الرجل يقطع دهاليز الكرملين ، ويصعد درجاته ، أمام أعين الحراس ورجال المخابرات المبثوثين فى كل مكان ، وهؤلاء كانوا يحيونه عندما يمر بهم ، الى أن وصل الى غرفة ياور ستالين ، فقام هذا وحياه وصحبه الى غرفة مكتب ستالين ، وفتح له الباب وهو ينحنى إنحناءة كبيرة ، وعندئذ رفع ستالين عينيه عن الأوراق التى أمامه ، ونظر الى الزائر ، فإذا به أمام ميسينج وجها لوجه !

والتفسير الذى أعطاه ميسينج فيما بعد انه أوحى للحراس والمخبرين أنه هو نفسه بيريا رئيسهم الذى وضعهم فى هذا المكان ، ومدير المخابرات السوفيتية الرهيب ، وكان هو الوحيد الذى يستطيع الدخول الى ستالين بدون تصريح وفى أى وقت يشاء . .

xxx

هذه عينة من الأقاصيص التى إنتشرت عن وولف ميسينج ، وسواء كانت حقيقية أو من نسج الخيال والمبالغة ، فالثابت أن السوفيت لم يكونوا أقل من الغربيين إهتماما بظواهر الباراسيكلوجى ، بل لعلهم كانوا أكثر جدية فى فحص هذه الظواهر التى تبدو متعارضة مع الفلسفة المادية . وكان هدفهم الأكبر البحث عن أساس مادى لهذه الظواهر على فرض أن قد ثبتت صحتها .

تجارب بالتنويم المغناطيسى

ويفضل الباحثون فى أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتى أسلوب التنويم المغناطيسى كوسيلة للبحث فى ظواهر الباراسيكلوجى بعكس الباحثين الغربيين الذين يترددون فى اتباع هذا الأسلوب بدعوى تعارضه مع الحرية الفردية ، بل ان الأطباء الغربيين أنفسهم نادرا ما يلجأون الى التنويم المغناطيسى للمساعدة فى علاج الأمراض . أما الروس فلهم وجهة نظر مختلفة ، وفى وقت مبكر يعود الى أوائل العشرينات قام اثنان من الباحثين النفسانيين فى الأتحاد السوفيتى هما البروفيسور زيليكوفسكى والدكتور كوتكوف بإجراء عدة تجارب على « التليباثى المغناطيسى » بإستخدام طالبة شابة دون أن تدرى ، فقد سئلت الطالبة أن تتردد على البروفيسور زيليكوفسكى للمشاركة فى بعض التجارب ، وفى كل مرة تأتى الى معمله كان البروفيسور زيليكوفسكى يعتذر عن عدم إجراء التجربة بدعوى أن بعض الأجهزة لم تصل بعد ، وكانت الفتاة تمكث معه بعض الوقت يثرثران فى أى شىء ، ولكن كان يحدث أحيانا أن يدهمها النوم وهى واقفة على قدميها ، ثم تفيق ولا تستطيع أن تفسر سلوكها ، فتعتذر وتنصرف ، ولكن أصحاب التجربة كانوا يعرفون السبب جيدا ، فقد كان الدكتور كوتكوف يجلس فى حجرة أخرى فى نفس المبنى يسلط أشعة تأثيرة عليها .

هذه القصة توحى الى الأذهان بقصص العالم الشرير المجنون فى أفلام الرعب ، ولكنها عرفت عن مصدر موثوق به هو الدكتور ليونيد ڤاسيليڤ أشهر عالم باراسيكلوجى سوفيتى والوحيد الذى ترجمت كتبه الى اللغة الانجليزية . وقد ذكر ڤاسيليڤ فى كتابه « تجارب على الإيحاء الذهنى » الذى صدر عام

١٩٦٢ قبل وفاته بعدة سنوات ان العلماء الروس بدأوا يجرون تجارب منتظمة على التليباثى والتنويم المغناطيسى منذ الثلاثينات ، بعد النجاح المبدئى الذى أحرزته تجارب زيليكوفسكى وكوتكوف ، وأنهم تلقوا أوامر من « سلطات عليا » بالقيام بهذه التجارب . مما يوحى بأنه ربما كان ستالين يشعر بأن ظاهرة الإدراك خارج نطاق الحواس يمكن أن تكون لها قيمة إستراتيجية .

إذا كان فى قدرة انسان ان ينوم آخر مغناطيسيا وهو على مسافة بعيدة منه قد تصل الى الف ميل دون أن يدرى ذلك الشخص الآخر شيئا عما يجرى ، فتلك بلاشك قدرة رهيبة قد تكون لها نتائج بالغة الخطورة فى العلاقات الانسانية ، ولكن هذا بالضبط ما فعله أحد زملاء البروفيسور ڤاسيليڤ وأورد ذكره فى كتابه . كان الرجل فى سيڤاستبول بالقرم ، ومحل التجربة فتاة فى لينينجراد ، ودبرت التجربة بحيث يحدث التنويم المغناطيسى أثناء وجود الفتاة الخالية الذهن تماما عن كل شيء مع طبيبها النفسى الذى كانت تتردد عليه ، وكان هذا الطبيب مشاركا فى التجربة ومكلفا بتسجيل سلوك الفتاة عند تنويمها مغناطيسيا . وفى تقدير العلماء السوفيت أن أربعة أشخاص من كل مائة شخص لديهم استعداد للتنويم المغناطيسى على البعد . ولكن الباحثين الغربيين لم يحاولوا التأكد من صحة هذا الزعم .

نظرية الموجات

وكانت قد انتشرت شائعات بأن البحرية الأمريكية تقوم بتجارب على التليباثى كوسيلة للاتصال بقادة الغواصات فى أعماق المحيطات حيث يكون الاتصال اللاسلكى متعذرا أو ضعيفا ، وأدت هذه الشائعات الى قيام الاتحاد السوفيتى بنشر أبحاث فاسيليڤ فى أوائل الستينات ، وقبل ذلك كان البروفيسور فاسيليڤ يجرى تجاربه وأبحاثه فى سرية مطلقة ، لأن التليباثى وظواهر الباراسيكلوجى بصفة عامة تثير مشكلة أيديولوجية بالنسبة للروس ، فما لم يثبت أن هذه الظواهر لها أساس مادى ، فإنها تعتبر بمثابة تخريب فى الفلسفة المادية الرسمية ، ولذا فقد تركزت أبحاث فاسيليف على محاولة إكتشاف الطاقة المادية التى تكمن وراء ظواهر الباراسيكلوجى ، وما هى الموجات التى تعمل فى مثل هذه الظواهر .

ومن التجارب التى أجراها فاسيليف فى هذا الشأن أنه كان يضع الفتاة التى يجرى عليها تجاربه داخل قفص فارادى ـ وهو صندوق من المعدن السميك يقاوم نفاذ موجات الراديو والموجات الكهرومغناطيسية ، ومع ذلك كانت الفتاة تسقط نائمة عندما يأمرها الراسل التليباثى بذلك ، وهو يقف خارج القفص ، ثم وضع الراسل فى كبسولة من الرصاص وغمرت فى حوض ملىء بالزئبق . ومع ذلك إستمرت الفتاة فى قفص فارادای تسقط نائمة كلما أمرها الراسل فى كبسولته بذلك . وهكذا بدا واضحا أن نظرية الموجات لاتفسر ما يحدث ، فاستبعدت بهدوء ، ولكن برنامج الأبحاث ظل مستمرا .

الراديو الذهنى

فى عام ١٩٦٦ أجريت فى الاتحاد السوفيتى تجربة على التليباثى نالت شهرة كبيرة ، وسمح للصحف بنشرها ومتابعتها ، كان الوسيط فى موسكو ، والفاعل على بعد ألفى ميل فى سيبيريا وهو الممثل والصحفى كارل نيكولاييف

أما الوسيط فهو عالم الطبيعة البيولوجية يورى كامينسكى ، وأشرف على التجربة مجموعة من العلماء السوفيت ، وقد استطاع كامينسكى بنجاح أن ينقل الى نيكولاييف صورا ذهنية عن ستة أشياء أعطيت له فى أظرف مغلقة مستقلة فى بداية التجربة ، وفى تجربة أخرى استطاع نيكولاييف أن يسجل ١٢ هدفا صحيحا من ٢٠ ورقة من أوراق الإدراك خارج نطاق الحواس عندما كانت تقلب واحدة بعد الأخرى فى موسكو ، فى حين أن حد الصدفة فى هذه الحالة لا يتجاوز أربعة أهداف .

وتجارب الأبحاث السوفيتية على الإدراك خارج نطاق الحواس لا تذكر شيئا عن ظاهرة الإستبصار أو الرؤية عن بعد ، بالرغم من أن الأبحاث الأمريكية تشير الى أنها ربما كانت أقوى ظواهر الباراسيكلوجى ، وبالرغم من أن ما فعله نيكولاييف يمكن أن يفسر بالإستبصار كما يفسر بالتليباثى إلا ان الروس ظلوا ثابتين على افتراض وجود نوع من « الراديو الذهنى » لتفسير هذه الظواهر ، وبالرغم من انهم لم يستطيعوا الاهتداء الى موجات هذا الراديو إلا أن أبحاثهم ألقت الضوء على بعض الحقائق المثيرة الخاصة بموجات المخ ، فمثلا عند إجراء احدى التجارب على البعد بين موسكو ولينينجراد وصلوا

بالأسلاك بين نيكولاييف وأجهزة كهربائية لقياس التغيرات الفسيولوجية وموجات المخ ، ووضع نيكولاييف نفسه فى حالة استعداد ذهنى للاستقبال ثم انتظر ، لم يكن يعلم متى سيبدأ كامينسكى على بعد ٤٠٠ ميل محاولة التخاطر معه ، ولم تكن لديه أية فكرة عن نوع الرسالة التى يتوقعها ، ومع ذلك فقد سجل جهاز تسجيل موجات المخ زيادة مفاجئة فى نشاط مخ نيكولاييف فى نفس اللحظة التى بدأ فيها كامينسكى تركيزه لبث الرسالة ، وأكثر من ذلك لوحظ أن تزايد هذا النشاط يحدث فى ذلك الجزء من المخ المناسب لتلقى نوع الرسالة ، فمثلا إذا أرسل كامينسكى رسالة مصورة كانت تنشط فى مخ نيكولاييف المنطقة التى تتحكم فى النظر ، وإذا أرسل رسالة سمعية ، كصفارة مثلا ، فإن المنطقة الخاصة بالسمع هى التى تنشط . وقد أشاد بهذه الأبحاث عالم الباراسيكلوجى الكبير دكتور ميلان رايزل فى مقالة نشرها بالمجلة الدولية للباراسيكلوجى فى عام ١٩٦٨ ، وقال ان النتائج التى توصل إليها السوفيت قد تقربنا مسافة كبيرة من التحكم فى ظاهرة الإدراك خارج نطاق الحواس .

الهالة الكهربية

ويتصور البعض أن هناك سباقا سريا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى للتحكم فى ظواهر الباراسيكلوجى وأن السوفيت أكثر تقدما فى هذا السباق ، ولكن هذا التصور لا يقوم عليه دليل قوى فى شقيه ، وربما يكون نتيجة فن الخيال العلمى ، ولكن ذلك لا ينفى ان السوفيت اثبتوا تقدما فى مجالات معينة منها أبحاث جولاييف على « الهالة الكهربية » الى تحيط بالأجسام الحية ، وأبحاث نوڤوميسكى على « القراءة بالأصابع » ودراسات مختلفة على ظاهرة الإستحراك لدى السيدة نيليا ميخايلوفا .

ويسمى السوفيت التليباثى « بالاعلام البيولوجى » مما يشير الى تحيزهم الظاهر لفكرة وجود أساس مادى لهذه الظاهرة ، وهم يحاولون ردها الى التغيرات التى تحدث فى « الهالة الكهربية » حول الأجسام الحية . فقد اكتشف البروفيسور بول جولاييف الذى خلف العالم ڤاسيليڤ كرئيس لمعمل « السبرنطيقا » بجامعة ليننجراد ، بإستخدام أجهزة بالغة الحساسية مصممة

حصيصا لهذا الغرض ، ان كل الأجسام الحية يحيط بها مجال من الكهربا الاستاتيكية الضعيفة ، اسماه بالهالة الكهربية ، وهذا المجال تحدث فيه تغيرات مستمرة ، وحتى الأفكار التى تطوف فى ذهن الشخص تؤدى الى تغيرات فى هذا المجال يمكن كشفها وقياسها ، ويقترح جولاييف ان تكون هذه التغيرات فى الهالة الكهربية هى التى ترسل اشارات تحمل معلومات ، وان هذه هى الوسيلة التى تتفاهم بها بعض الأسماك والحشرات وغيرها من أنواع الحيوان ، ومن الممكن أيضا من الناحية النظرية ان يؤدى النشاط الذهنى الى تقوية هذه الهالة الكهربية بحيث تنتج طاقة قادرة على تحريك الأشياء .

وقد أجريت أبحاث سوفيتية على العلاقة المحتملة بين ظاهرة الإستحراك وهذا المجال الكهربى الاستاتيكى بالتعاون مع السيدة الشهيرة نيليا ميخايولفا . وكانت هذه السيدة ـ وهى ربة منزل فى لينينجراد ـ قد بهرت الباراسيكلوجيين السوفيت عدة سنوات بقدرتها على تحريك الأشياء بالطاقة الذهنية ، ومن بين الذين أجروا تجارب عليها دكتور جيرادى سيرجييف الذى صمم جهازا لالتقاط المجالات الكهروستاتيكية والمغناطيسية المنبعثة من الجسم البشرى على مسافة تصل الى أربعة أقدام وقد وجد دكتور سيرجييف بمساعدة أجهزته أن نيليا ميخايلوفا فى حالتها العادية تنتج من الجهد الكهربى المنبعث من مؤخرة رأسها ما يعادل خمسين ضعف الجهد المنبعث من مقدمة الرأس ، فى حين ان معظم الناس ينتجون ما يعادل ثلاثة أضعاف أو أربعة فقط ، أما عندما تباشر نيليا قواها التحريكية وتقوم بتحريك الأشياء الصغيرة الموضوعة أمامها على المائدة فقد أظهرت الأجهزة ان الحقول المغناطيسية المحيطة بجسمها تبدأ فى النبض ، وهذه النبضات تتفق فى وقعها مع نبضات المخ والقلب ، وأكثر من ذلك فقد بدا أن فى استطاعتها تركيز مجال القوى المنبعثة منها فى اتجاه الشيء الذى تنظر إليه وتريد تحريكه .

وقد شاهد عدد من الكتاب والباراسيكلوجيين الغربيين نيليا ميخايلوفا وكتبوا عنها ، وشهدوا جميعا بقدراتها الإستثنائية . وقد كان فى امكانها ان تحرك أعواد الثقاب ، والسجائر ، والدبابيس وغيرها من الأشياء الخفيفة التى توضع أمامها على المائدة بتحريك يديها فوقها أو بمجرد النظر إليها ، وفى تجربة أخرى استطاعت تهبيط احدى كفتى ميزان حساس متوازن فى كل منها ثقل وزنه ٣٠

جراما ، وظلت الكفة هابطة بعد اضافة ثقل اضافى وزنه ١٠ جرامات الى الكفة الأخرى ، ولكنها ما أن تتوقف عن التركيز وتبعد عينيها فإن الكفة الثقيلة تهبط على الفور ، ولتحقيق مثل هذه الظواهر كانت ميليا ميخايلوفا تقضى وقتا طويلا فى استجماع قواها ، وبعد أن تنتهى يبدو عليها التعب ، وأحيانا وجد أنها تفقد بعض وزنها .

القراءة بالأصابع

وقد إكتشفت موهبة نيليا ميخايلوفا فى الإستحراك بواسطة دكتور ڤاسيليڤ أثناء قيامه بفحص ظاهرة خارقة أخرى تملكها هذه السيدة هى القدرة على « الرؤية » بأصابعها . والواقع ان القراءة بالأصابع أو القراءة بدون نظر تعد من الاهتمامات البارزة فى الأبحاث الباراسيكلوجية السوفيتية ، وكانت ميليا ميخايلوفا قد اكتشفت لديها هذه المقدرة ذات يوم فى أوائل الستينات عندما كانت تقضى فترة نقاهة من المرض فى مستشفى لينيجراد ، فقد كانت تمضى الوقت فى أعمال التطريز ، ووجدت أن فى استطاعتها أن تعثر على الخيط ذى اللون المطلوب داخل كيس الخيوط دون أن تنظر الى محتويات الكيس ، فكانت تلتقط بأصابعها من داخل الكيس أى لون تريده بين عشرات الخيوط والألوان المتماثلة فى الحجم والملمس ، وحدث بعد ذلك أن قرأت نيليا مقالا فى إحدى المجلات عن سيدة شابه فى مدينة تاجيل بجبال الأورال قيل أنها تستطيع أن « ترى بأصابعها » فأبلغت نيليا تجربتها الخاصة الى طبيبها الذى لفت بدوره نظر ڤاسيليڤ الى هذه الحالة .

وكانت هذه السيدة الشابة من مدينة تاجيل ، وتدعى روزا كوليشوڤا ، قد ذهبت الى طبيبها ذات يوم فى عام ١٩٦٢ ، وأبلغته انها إكتشفت فى إستطاعتها أن تميز بين الألوان وأن تقرأ الحروف المطبوعة بإستخدام أصابعها ، وبالطبع لم يصدق الطبيب الى أن عرضت روزا قدراتها عليه فاقتنع بها ، وأبلغ زملاءه الأطباء بأكتشافه . ومن بين هؤلاء البروفيسور ابرام نوڤوميسكى الذى اختبر بنفسه قدرات روزا وشهد بأنها حقيقية ، وسرعان ما استدعيت هذه القروية التاجيلية لتقوم بعرض قواها أمام فريق من أكبر علماء موسكو ، فى معهد الطبيعة الحيوية بأكاديمية العلوم السوفيتية ، وأجرى العلماء عليها تجارب

صممت بحيث تستبعد إحتمال تفسير الظاهرة بالتليباثى أو الاستبصار ، وأكدوا بعد ذلك أن روزا تملك حساسية خاصة فى جلدها تمكنها فعلا من « الرؤية » بأصابعها !

وكان من الممكن اعتبار حالة روزا كوليشوفا غير ذات أهمية كبيرة لو أنها كانت حالة نادرة ، غير أن الأبحاث والتجارب التالية التى أجراها البروفيسور نوڤوميسكى وفريقه أظهرت أن « الرؤية بالجلد » امكانية يمكن تنميتها لدى الكثيرين من الناس ، وقد تمكنت روزا نفسها من تنمية هذه القدرة تدريجيا ، ففى أول الأمر كانت تستطيع أن « ترى » بأصابع يدها اليمنى فقط ، ولكنها تعلمت فيها بعد ان ترى بأصابع يديها الأثنين وبأجزاء أخرى من جسدها كالمرفق ، ووجد نوڤوميسكى أن واحدا على الأقل من بين كل ستة أشخاص يستطيع خلال نصف ساعة فقط أن يتعلم كيف يفرق بين لونين بواسطة اللمس ، وبعض الأشخاص استطاعوا تمييز الألوان كلها ، وهم يتفقون عامة على أن كل لون له ملمس خاص ، فالأزرق الفاتح ناعم ، مثلا ، بينما الأصفر منزلق ، والبرتقالى جامد وجاف ، وهكذا . كما وجد الأشخاص الذين يستطيعون تمييز الألوان باللمس ان كل لون يشع الإحساس الخاص به الى مسافة ما ، فأصبح فى إمكانهم أن يعرفوا اللون بمجرد مرور الأصبع من فوقه بدون لمسه بالفعل ، فاشعاع اللون الأحمر مثلا هو أعلى الاشعاعات المحسوسة بينما أدناها هو اشعاع الأزرق الفاتح ، وعلى أساس هذا الدليل اقترح نوڤوميسكى ان الرؤية بالجلد يمكن تفسيرها بالتفاعل بين الحقول الكهرومغناطيسية الناتجة من اللون وتلك المحيطة بالجسم البشرى .

تصوير كيرليان

ومن أشهر أبحاث الباراسيكلوجى السوفيتية ما يعرف باسم « تصوير كيرليان » ، فقد تمكن سيميون وڤالنتينا كيرليان منذ ٣٠ عاما ، وبإستخدام تيارات كهربية عالية التردد ، من الحصول على صور للكائنات الحية تحيط بها هالة من اللمعان متعددة الألوان ، هذه الهالة التى أسمياها « الجسم البلازمى » ربما هى التى اكتشفها وفحصها فيما بعد علماء من أمثال جولاييڤ

وسيرجييف ، ويقال ان جميع الأجسام الحية يحيط بها هذا الجسم البلازمى ، وقد تمكن كيرليان من إلتقاط صور لأوراق النباتات تبدو فيها بوضوح اشعاعات مرئية ، كما ثبت أن هذه الهالة تتغير اذا أصيب النبات بمرض ، وبالمثل فان التغيرات فى الهالة التى تحيط بالإنسان تدل على تقلبات حالته الذهنية والبدنية . ومن الطريف ان نذكر هنا إعتقاد القدماء بوجود ما يسمى بالجسم الاثيرى متفاعلا مع الجسم العضوى ، وبهذا تبدو إكتشافات كيرليان وزملائه الباحثين فى الاتحاد السوفيتى كما لو كانت تؤيد إعتقادا قديما يعتبره العلماء الآن فى الشرق والغرب بمثابة خرافة !

وعلى أى الأحوال ، فإن إكتشاف هذا المجال يمكن أن يؤدى ال تطورات هامة فى علم الباراسيكلوجى ، إذ يبدو من المحتمل أن تفسر هذه الطاقة المادية المنبعثة من الجسم ظاهرة الإستحراك ، كما يمكن أن تلعب دورا فى العلاج الروحى ، وفى ظاهرة الإدراك خارج نطاق الحواس ، مما يشير الى احتمال أن تشهد السنوات القادمة تطورات مثيرة فى الباراسيكلوجى تخرج من معامل الأبحاث فى الدول الشيوعية .

عود على بدء

قد يكون من المفيد فى ختام هذا الكلام عن الباراسيكلوجى ، ذلك العلم الجديد الذى بدأ يفرض نفسه على معامل الأبحاث فى الغرب والشرق ، ان نعود فنلخص أهم معالم الموضوع كى يتبلور فى ذهن القارىء . .

هناك نوعان رئيسيان من الظواهر الباراسيكوجية : نوع يتعلق بالمعرفة كما فى حالة التخاطر (التليباثى) والاستبصار (كليرڤويانس) والعرافة والتنبؤ ، وفى هذه الحالات يعتقد ان الشخص قد تلقى معلومات أو معرفة من أفكار شخص آخر أو من أحداث المستقبل بدون استخدام وسائل الاحساس العادية ، ومن هنا جاء تعبير « الإدراك خارج نطاق الحواس » . والنوع الآخر ذو طبيعة مادية كالقدرة على تحريك الأشياء بدون لمسها والإرتفاع فى الهواء ، واستحضار الأشياء البعيدة ، والخروج من الجسد ، والطب الروحى ، وهذه يجمعها تعبير « الإستحراك النفسى » . والنوعان بالطبع يجمعهما تعبير الظواهر الباراسيكلوجية أو علم النفسى الغيبى .(Psi)

وبالرغم من أن الاعتقاد فى وجود هذه الظواهر قديم ومسجل منذ فجر التاريخ المكتوب إلا ان الاهتمام العلمى بها حديث نسبيا ولا يرجع الى أكثر من قرن من الزمان . وقبل انتصار العلم الحديث على الخرافة كانت أسباب مثل هذه الظواهر غير مفهومة ، فكان الناس يرجعونها الى تدخل قوى أو كائنات فوق بشرية (كالأشباح والشياطين والملائكة والسحرة والجن والكائنات الاسطورية) . وكان ميدان هذه الظواهر مفتوحا أمام جميع أنواع المحتالين والدجالين لاستغلال البسطاء من الناس ، ولكن حتى العلماء الكبار كانوا يعتقدون فى صحة هذه الظاهرة ، فمثلا كان العالم الفلكى الكبير جوهانز كبلر يكسب رزقه بقراءة الطالع للأثرياء .

وحتى الى اليوم لايزال وجود الظاهرة الباراسيكلوجية محل نزاع كبير ، بالرغم من أن جمعيات كثيرة تضم عديدا من العلماء البارزين والباحثين المنزهين قد تصدت لبحث هذه الظواهر منذ أكثر من قرن ، وبالرغم من أن الموضوع أصبح يبحث الأن فى كثير من الأقسام الاكاديمية فى الجامعات الأمريكية والأوربية والسوفيتية . وكثيرا ما تخرج الخصومة حول هذا الموضوع عن حد المناقشة العلمية الهادئة ، ويتمسك المعارضون والمؤيدون على السواء بأن موقفهم هو الوقف العلمى الوحيد الذى لا يقبل النقض ، ومن هنا يصبح من العسير الوصول الى اتفاق .

وترجع هذه الحساسية البالغة إزاء الظواهر الباراسيكلوجية الى أنها تبدو مناقضة لما استقر عليه العلم الحديث من مفاهيم ثابتة كالوزن والكثافة والزمن والطاقة والمادة والسببية ، ومعنى ذلك أما أن تكون هذه الظواهر خاطئة من أساسها وضربا من الوهم والخيال أو أن يكون علينا أن نغير من مفاهيمنا العلمية الثابتة .

ولكن ، هل نحن حقا أمام حدين متناقضين ينفى أحدهما الأخر ، كالنور والظلام ، والوجود والعدم ؟ ان كثيرا من الأشياء التى كانت مستحيلة علميا فى الماضى قد ثبتت صحتها العلمية الأن ، وكثيرا مما كان يعتقد انه من قبيل المعجزات وضروب السحر أصبحت أسرارها مفهومة الآن ، وكثيرا من الأمنيات التى فكر فيها الإنسان كضرب من الخيال لتعارضها مع المفاهيم الثابتة آنذاك ، أصبحت حقيقة واقعة .

والأمر لا يختلف إزاء ظواهر الباراسيكلوجى ، فنحن إذ نرصد وجودها لا نعرف بعد كيف تعمل ، وأى القوانين تنطبق عليها ، فالمشكلة تكمن فى حدود معرفتنا ، ولا تتعلق بإستحالة ذاتية فى الظواهر ، وإذا عرفنا القوانين التى تتحكم فى الظواهر الباراسيكلوجية زالت أية دهشة بصددها وأصبحت من طبيعة الأشياء ، فنحن مثلا لا ندهش الآن لإلتقاط موجات الراديو واللاسلكى على بعد آلاف الأميال ولكننا نقف مدهوشين أمام ظاهرة التخاطر ، ولا نكذب جهاز التليفزيون ولكننا نقسم على تكذيب ظاهرة الإستبصار . ولا نستبعد السباحة فى الفضاء خارج نطاق الجاذبية الأرضية ولكننا لا نتصور أمكان السباحة فى الهواء أو تحريك الأشياء بدون لمسها .

والواقع ان المشكلة الرئيسية التى تواجه الباراسيكلوجيين هى عدم الاهتداء حتى الآن الى نظربة علمية شاملة تفسر هذه الظواهر رغم وجودها الفعلى ، وقد قيلت عدة نظريات فى هذا الشأن ولكنها لم تكن أكثر من محاولات فلسفية لاترقى الى مستوى الدليل العلمى القاطع ، ومن الممكن تجميع هذه النظريات فى المجموعات التالية :

(١) **النظريات المادية** ، التى تفسر الظاهرة محل الجدل بأنها ترجع الى نوع من الطاقة المادية لم يكتشف بعد ، وهذه الطاقة تختلف عن أنواع الطاقة الأخرى فى أنها لا تخضع لقانون التربيع العكسى ، إذ يبدو ان المسافة لا تأثير لها فى ظواهر الباراسيكلوجى .

(٢) **نظريات المجال** ، وهى لا تختلف كثيرا عن النظريات المادية ، ولكنها تفسر الظاهرة بمجالات القوى لا بالطاقة فى حد ذاتها ، وهى أيضا تواجه نفس الصعوبة وهى ان المجال الذى يفسرها لم يكتشف بعد .

(٣) **نظرية العقل اللاواعى الجماعى** ، وبمقتضى هذه النظرية تشترك جميع الكائنات الحية فى مصدر واحد مشترك غامض لا واعى للمعرفة ، ويمكن لاجزاء من لا وعى أحد الأشخاص أن تتعامل مع لا وعى شخص لآخر ، ولكن مثل هذا التفسير يثير من المشاكل أكثر مما يحل منها ، فإنه لا سبيل الى فحص اللاوعى الجماعى بل حتى الاقرار بوجوده ، فهو تفسير فلسفى نظرى لا يقوم عليه دليل

(٤) **نظرية القذف الذهنى** . . وبمقتضاها بتمتع الذهن البشرى بالقدرة على العمل خارج نطاق العالم المادى ولكنه يستطيع التأثير أيضا فيه ، ومثل هذه النظريات معناها فى الحقيقة الاقرار بوجود الظاهرة ، لا تفسيرها .

وهناك نظريات أخرى مماثلة ، ولكنها جميعا لم تكتسب قبولاً عاما ، ولم تثبت أى منها فائدة عملية للعاملين فى مجال الأبحاث الباراسيكلوجية . أو بإختصار ، أننا لا نعرف كيف ولماذا تعمل ظواهر الباراسيكلوجى ، هذا اذا اعترفنا بوجودها فعلا .

والخلاصة ان هناك ظواهر يبدو أنها تعمل خارج نطاق القوانين المعتادة فى الطبيعة وعلم النفس ولكننا لم نستطع حتى الآن ان نخضع هذه الظواهر لرقابة تجريبية كافية ، والى أن يحدث ذلك ، والى أن يمكن وضع نظريات كمية شاملة تفسر هذه الظواهر فعلا ولاتتسول هذا التفسير تسولا ، قد يكون من الحكمة أن نتوقف عن الخوض فى مثل هذه الظواهر . !

□ قراءة المستقبل :

- ○ قطعة من الزمن القادم
- ○ الف طريقة لمعرفة المستقبل
- ○ نوستر اداموس

قطعة من الزمن القادم

فى عام ١٨٩٨ صدرت فى بريطانيا رواية بعنوان « غرق السفينة تيتان » لمؤلف إنجليزى على حظ ضئيل من الشهرة يدعى مورجان روبرتسون . وتدور الرواية الخيالية حول تعرض سفينة حديثة جبارة تسمى « تيتان » للغرق فى أول رحلة لها عبر الأطلنطى من ميناء ساوثمبتون فى جنوب انجلترا الى ميناء نيويورك فى الولايات المتحدة . كانت السفينة ذات حمولة تبلغ ٧٠ ألف طن وتحمل ٢٥٠٠ راكب وهى مزودة بكل وسائل الراحة وضمانات الأمان ، وفى قمة اطمئنان ركابها وسرورهم إصطدمت بجبل جليدى عائم وراحت تغرق الى القاع ، وتصف الرواية بالتفصيل حالة الذعر التى حدثت بين الركاب وهم يحاولون النجاة بأنفسهم فى عدد محدود من قوارب النجاة ، فقد كانت السفينة لفرط الثقة فى سلامتها تحمل ٢٤ قارب نجاة فقط ما أدى الى مصرع معظم ركابها وهم يصارعون أمواج المحيط .

والرواية لا بأس بها من الناحية الفنية ، وهى مليئة بالقصص الإنسانية والمواقف المؤثره ، ولكنها عند صدورها لم تلفت أنظار الكثيرين ، فهى مجرد رواية أدبية لكاتب مغمور ولكن بعد ١٤ عاما نالت هذه الرواية إهتماما كبيرا مفاجئا ، وأقبل الكثيرون على قراءتها أو إعادة قراءتها ، ووصفت بأنها « أغرب نبوءة فى تاريخ الأدب خلال القرن التاسع عشر » !

والسبب فى ذلك غرق سفينة الركاب الحقيقية « تيتانيك » فى ١٤ ابريل

وكانت السفينة « تيتانيك » أكبر وأحدث سفينة ركاب نزلت الى البحر حتى ذلك التاريخ . كانت مزودة بكل وسائل الراحة والرفاهية وكل ضمانات السلامة والأمان ، وغرقت هى أيضا فى المحيط الأطلنطى فى أول رحلة تقوم بها من بريطانيا الى الولايات المتحدة . ومات فى الحادث الذى هز الدنيا فى حينه معظم ركاب تلك السفينة العملاقة التى لم تكن مزودة هى أيضا بعدد كاف من قوارب النجاة .

كانت أوجه التشابه صارخة بين حادث غرق السفينة الحقيقية « تيتانيك » ورواية غرق السفينة الخيالية « تيتان » فالأسمان يتشابهان بل هو اسم واحد فى حقيقة الأمر ، والحمولتان متقاربتان فقد كانت حمولة « تيتانيك » ٦٦ ألف طن ، والاثنتان تسيران بسرعة قصوى مقدارها ٢٥ عقدة فى الساعة ، ولا تملكان عددا كافيا من قوارب النجاة إذ بلغت قوارب تيتانيك ٢٠ قاربا ، وغرقت السفينتان فى الرحلة العذراء لكل منها وهى أول رحلة لهما من انجلترا الى أمريكا عبر الأطلنطى . وكانت كل منهما تفخر بأنها أقوى وأضخم من أية سفينة أخرى صنعتها يد البشر ، قال قبطان السفينة « تيتان » لأحد الركاب : أن أية قوة فى الأرض أو السماء غير قادرة على اغراق هذه السفينة ، وكذلك كان صانعو السفينة « تيتانيك » يقولون انها غير قابلة للغرق !

وعاد الناس الى قراءة رواية مورجان روبرتسون مذهولين لكثرة المشابهات حتى فى التفاصيل بين الحادثين ، كما لو كان روبرتسون يكتب تحقيقا صحفيا عن حادث غرق السفينة تيتانيك قبل ١٤ عاما من وقوعه .

وفى نفس الوقت أخذت الصحف تنشر قصصا كثيرة على لسان الناجين من حادث غرق السفينة « تيتانيك » وكيف تنبأ به الكثيرون قبل وقوعه ، وشهد بعض الأشخاص انهم أعادوا تذاكر الرحلة فى آخر لحظة لأنهم تشاءموا أو حلموا بغرق السفينة .

xxx

عندما حدثت كارثة « تيتانيك » كان القرن العشرون قد بدأ لتوه يتساءل عن مدى صحة الفلسفة المادية التى سيطرت على القرن التاسع عشر ، تلك الفلسفة التى ترفض رفضا باتا أية ظاهرة خارقة لا تفسرها الحواس . فالتنبؤ ،

أو القدرة على معرفة المستقبل ، شعوذة وخداع ، سواء كان عن طريق تفسير الأحلام أو قراءة الكف أو الطالع أو غير ذلك من الأشكال . كان القرن التاسع عشر قد شهد فى ختامه ما يشبه السيطرة الكاملة لكل ما هو مادى وعقلانى على عالم الفكر ، ولكن فى وقت الأزمات والكوارث كانت هذه السيطرة تهتز ، ويتجه الناس مرة أخرى الى « الشعوذات » القديمة التى ربما كانت فى الواقع أقل « شعوذة » مما كانوا يظنون !

ودار الجدل بصفة خاصة حول فكرة « الزمن » ما هو الزمن ؟ أننا نستخدم الزمن عادة كوسيلة للقياس ، فنقول ان هذا الحدث استغرق كذا من الزمن ، أو اننا نتوقع شيئا ما بعد كذا من الزمن ، تماما كما نقيس الطول والعرض والحجم ، فالزمن فى الواقع مجرد أداة كالساعة أو نتيجة الحائط ، وكالمسطرة والميزان ، أى انه ليس له وجود فى حد ذاته ، ولكن هذه النظرية تتجاهل علاقاتنا النفسية الوثيقة بالزمن فى الماضى والحاضر والمستقبل ، كما تتجاهل زمنا آخر نجربه جميعا هو زمن الأحلام ، فالزمن ليس كالأبعاد الأخرى التى نعيش فى حدودها وهى الطول والعرض والعمق ، انه متصل اتصالاً وثيقا بالنمور والتطور ، فما هى طبيعة الزمن ؟ هل يمكن أن يكون له كيان قائم بذاته ؟ هل هو موجود بصفة مستقلة خارج الذهن البشرى ؟ هل هو ثابت أم متحرك ؟ هل يوجد الزمن فى ما يشبه الكبسولات التى تسمى بالماضى والحاضر والمستقبل ، أم انه لا وجود لمثل هذه الحدود الزمنية وتتواجد الأزمنة الثلاثة جنبا الى جنب ؟ هذه الفكرة بالذات هى التى تركز حولها أشد الجدل ، فقال البعض ان المستقبل موجود بالفعل ونحن نقترب من الأحداث المستقبلية كما يقترب القطار من المحطات القائمة على الخط الذى يسير فيه ، ومعنى ذلك أن أحدا لن يستطيع أن يفلت من مصيره حتى ولا بالانتحار لأن الانتحار نفسه محطة فى طريق ذلك القطار وهذا الرأى يؤيده الفيلسوف والعالم النفسانى الأمريكى ويليام جيمس فى نظريته عن « الكون المغلق » التى تصور المستقبل كصور فى شريط سينمائى نراها تباعا مع إستمرار عرض الفيلم .

ونفس هذه الفكرة استخدامها الكاتب الإنجليزى هـ . ج . ويلز فى روايته الشهيرة « آلة الزمن » وهى آلة معينة يستخدمها الإنسان فتغوص به فى أعماق الماضى أو تنطلق به فى أجواز المستقبل كما يريد .

أو بمعنى آخر لا مهرب من أحداث المستقبل المقدرة سلفا ، أى من المصير المخبوء لنا جميعا والذى يتكشف لنا عندما نصل الى محطته أو كما يقول المثل الشعبى المعروف « المكتوب على الجبين لازم تراه العين » فالإنسان مسير تماما ، لا يملك من أمره شيئا ، مجرد نقطة فى شريط الزمن !

xxx

وهناك وجهة نظر أخرى تقول بل على العكس يمكن للإنسان أن يغير من مستقبله إذا أطلع عليه ، فالمستقبل ليس محتوما وإنما هو محتمل ، ويمكن للإنسان بإرادته أن يغير من مستقبله أو يتجنب الأخطار المحدقة به ، فليس الإنسان بيدقا على رقعة الشطرنج الأزلى تلعب به الأقدار كيفما تشاء ، وإنما يمكن بتدخله فى الوقت المناسب أن يحول مجرى الأحداث ، أى أن يصنع لنفسه مستقبلا جديداً .

من هذا الرأى الباحثة الباراسيكلوجية الأمريكية الدكتورة لويزا راين التى تقول انها استطاعت بفضل حلم شاهدته ان تنقذ حياة ابنها الطفل الذى يبلغ من العمر عاما واحدا من مصير كان يبدو محتوما ، ذكرت الباحثة فى مقال نشرته « صحيفة الباراسيكلوجى » الأمريكية أنها حلمت ذات صباح انها اصطحبت ابناءها وخرجت للنزهة مع عدد من الأصدقاء حيث عسكروا فى منطقة ريفية جميلة بين تلين ، وكان الى جوارهم جدول من الماء وأشجار . فنظرت حولى معجبة بجمال المكان ، وبعد قليل قررت ـ فى الحلم ـ أن أغسل ثياب طفلى الذى يبلغ عاما واحدا فى مجرى الماء ، وكنت قد إستبقيته معى بينما خرج الأولاد الكبار يلهون ، وحملت الطفل الى مجرى الماء حيث وضعته على الأرض وعدت أدراجى الى الخيمة لأحضر الصابونة ، ولكنى عندما رجعت الى مكان الطفل ـ وكان يلهو بقذف الحصى فى الماء ـ وجدته منكفئا بوجهة فى مجرى الجدول ، وقد غرق . وفارق الحياة .

وإستيقظت لويزا من الحلم وهى « تبكى وتنشج » وظلت قلقة بسبب هذا الحلم عدة أيام ثم نسيت كل شيء عنه ، الى أن حدث فى أواخر الصيف أن خرجت للنزهة مع مجموعة من الأصدقاء ونزلوا فى مكان يشبه تماما ذلك الذى رأته فى الحلم ، جدول الماء والأشجار والتلال ، ومع ذلك فانها لم تتذكر حلمها

المزعج الى أن حملت طفلها الى مجرى النيل لتغسل ملابسه ، وهناك تركته على الأرض وذهبت لتحضر الصابونة بينما أخذ الطفل بعض الحصى وراح يلهو بإلقائه فى الماء . وأثناء عودتها الى الطفل تذكرت فجأة الحلم القديم بكل تفاصيله فكاد يغمى عليها ، ولكنها تمالكت نفسها ، وأسرعت الى الطفل وألتقطته فى اللحظة التى زلت فيها قدمه وأوشك على الغرق فعلا ، وتضيف لويزا . . وعدت بطفلى الى الأصدقاء وعندما تماسكت أبلغتهم القصة من بدايتها فضحكوا وقالوا اننى كنت أتخيل . . وهذه هى الاجابة السهلة عندما لا يكون لدينا تفسير مقنع » .

ولكن لويزا راين مقتنعة تمام بأن تدخلها فى الوقت لمناسب بفضل الحلم المزعج القديم أنقذ طفلها من موت محقق ، وهذا مثل على امكان تغيير المستقبل إذا ادركه الإنسان مقدماً .

xxx

ويحكى سير ستيفن كنج هول وهو كاتب بريطانى عمل ضابطا بحريا عدة سنين الحكاية التالية :

عندما كنت فى نوبة حراسة على ظهر البارجة « ساوثمبتون » أثناء الحرب العظمى عام ١٩١٦ انتابنى شعور قوى بأن رجلا سوف يسقط من السفينة عندما تمر السفينة أمام جزيرة صغيرة بالقرب من شاطىء اسكتلندا ، وإزداد هذا الشعور قوة كلما إقتربت القافلة البحرية التى تقودها سفينتنا من الجزيرة ، فلم أملك إلا أن أصدرت أوامرى للبحارة بالإستعداد لإنقاذ غريق مع انه لم يكن هناك ما ينبىء بأى حادث محتمل . . وبالطبع فقد أثارت هذه الأوامر قبطان السفينة الذى أقبل نحوى صائحا : ماذا تفعل بحق الشيطان ؟ وكنا فى هذه اللحظة قد تجاوزنا الجزيرة الصغيرة دون أن يحدث شىء ، وبينما كنت أحاول متلعثما أن أبحث عن رد تعالت صيحة من السفينة التى تعقبنا بأن رجلا سقط فى الماء ، وهذه السفينة التالية هى « نوتينجهام » وكانت تبعد وراءنا بمقدار ١٠٠ ياردة تقريبا وعندما وصلت بمحاذاة الجزيرة الصغيرة سقط منها

أحد البحارة فى الماء ولم يكن زملاؤه مستعدين لانقاذه ، ولكن على الفور كان بحارق المستعدون قد انزلوا قارب الانقاذ الى الماء ، وخفوا اليه سراعا حيث أنقذوا البحار الذى أوشك على الغرق ، وعندئذ استطعت أن أفسر لرئيسى المشدوه السبب الذى دعانى الى إصدار الأمر الغريب !

xxx

وهناك قصة أخرى رأى فيها صاحبها « قطعة مجسدة » من المستقبل يحكيها مارشال الجو سيرڤيكتور جودارد فيقول انه بينما كان يطير فوق اسكتلندا ذات يوم فى أوائل الثلاثينيات فاجأته عاصفة عنيفة كادت تحطم طائرته الصغيرة ذات المروحة الواحدة والجناحين المزدوجين ، فقرر أن يبحث عن مكان يهبط فيه حتى تنتهى العاصفة ، وكان يعرف انه بالقرب من مطار مهجور يسمى « دريم » فقصده على الفور ، ولكنه فوجىء عندما بدأ يهبط فوق المطار بمنظر لم يكن يتوقعه ، إذ بدلا من ان يشاهد مطارا مهجورا معتما ، وجد المكان ساطعا بضوء الشمس وهناك عدد من العمال والميكانيكيين بملابسهم الزرقاء يعكفون على اصلاح وتجهيز مجموعة من الطائرات الصفراء اللون ، ودهش مارشال الجو سيرڤيكتور جودارد لأكثر من سبب ، فهو أولا يعرف ان هذا المطار مهجور منذ سنوات ليس فيه طائرات ولا عمال ولا نشاط من أى نوع . وثانيا لأن أحدا من هؤلاء العاملين لم يلتفت الى طائرته رغم أنه هبط بها الى حوالى ٥٠ قدما فقط فوق سطح الأرض ، ولكنه اذ وجد المطار مشغولا على هذا النحو تخلى عن فكرته فى الهبوط ، وارتفع بطائرته مرة أخرى فى قلب العاصفة وواصل طيرانه الى مكان آخر .

وقع هذا الحادث فى عام ١٩٣٤ عندما كان مطار « دريم » لا يعدو أن يكون مكانا مهجورا ، ولكن فى عام ١٩٣٨ أعيد افتتاح هذا المطار وتحول الى مدرسة للتدريب على الطيران تابعة للسلاح الجوى الملكى لمواجهة خطر الحرب القادمة ، وبين هذين التاريخين تحول لون طائرات التدريب البريطانية من اللون الفضى الى اللون الأصفر ـ وهى حقيقة لم يكن يعرفها سير فيكتور عندما تعرض لتجربته المثيرة ، وهكذا فان من كان يطير فوق مطار « دريم » فى عام ١٩٣٨ كان يمكنه أن يرى نفس المنظر الذى رآه سيرڤيكتور قبل ذلك بأربع سنوات . . لقد شاهد سيرڤيكتور فى الواقع قطعة مجسدة من المستقبل .

ألف طريقة لمعرفة المستقبل

أولع الناس منذ أقدم العصور بمحاولة معرفة المستقبل واخترعوا لذلك وسائل كثيرة هى جميعا ضروب من الحدس والتخمين والخرافة ، وبالرغم من أن معظم الناس يعرفون ذلك جيدا إلا أنهم يواصلون ما جبلوا عليه من ذلك الولع ، وتلك الرغبة ، كأنهم مدفوعون بقوة قاهرة تدعوهم الى محاولة إستشفاف الغيب ومعرفة ما يخبئه لهم .

ومن أطرف الأشياء أن بعض الذين « يفبركون » أبواب « بختك هذا اليوم » فى الصحف والمجلات يسارعون هم أنفسهم الى قراءة ماكتبوه عن أبراجهم عند صدور الصحيفة فى الصباح رغم أنهم واضعو هذا الهراء بأنفسهم .

فالإنسان شديد الضعف إزاء المستقبل وما يخبئه له من وقائع ومفاجآت ، وما يحمله من أفراح وأتراح ، وما يأتى به من خير وشر ، وهو يريد أن يطمئن على مئات الأشياء التى تشغل باله كالصحة والمال والتجارة والحب والزواج والسفر والنجاح ، أو بإختصار كل أحواله ومشروعاته وعلاقاته الإنسانية .

وربما يكون فن قراءة المستقبل ، أو الرجم بالغيب ، من أقدم الفنون التى حاولها الإنسان فى تاريخه الطويل ، وقد كانت كل المجتمعات البدائية القديمة لديها « شامان » وهو الطبيب ـ الساحر الذى يتنبأ بالمستقبل ، ويرجع هذا الدور فى تقدير علماء الانثربولوجيا الى ٢٥ ألف عام فى أعماق الماضى ولا يزال موجودا حتى اليوم فى بعض المجتمعات البدائية فى آسيا وأفريقيا وأستراليا . ويستطيع الشامان أن يتنبأ بما إذا كان الشتاء القادم سيأتى قارسا أم معتدلا ،

وما إذا كانت رءوس الماشية التى تملكها القبيلة سوف تتضاعف أو تهلك ، الى غير ذلك مما يشغل بال عشيرته ، وهو يفعل ذلك عادة بعد أن يدخل فى نوبة من الغيبوبة يقال انه يترك خلالها جسده ، ويذهب إلى عالم الأرواح ، ليعرف من أرواح الأجداد ما يخبئه القدر ، والشامان ساحر طيب ، وهو غير الساحر الشرير الذى يستخدم فنون السحر الأسود فى الأذى والشر ولا يبحث إلا عن تحقيق أغراضه الشريرة .

وقد تكون شخصية « عبيط القرية » أثراً مشوهاً من شخصية « الشامان » فى العصور القديمة ، فكثير من القرى فى مختلف أنحاء العالم الآن يوجد فيها شخص أبله أو مصاب بالصرع يهذى بكلمات غامضة يفسرها الناس على أنها نبوءات بالمستقبل ، ويتصورون أن هذا الأبله من الرجال الصالحين « المكشوف عنهم الحجاب » وانه متصل بالأرواح والقوى الخفية ، ولكن الشامان الحقيقى لم يكن أبلها أو مصروعا ، وإنما هو يدخل فى حالة الغيبوبة بإرادته ، وعندما يخرج منها يعود إنسانا عاديا تماما لا يعانى أى إضطراب عصبى أو نفسى .

وإستمرار دور الشامان هذا الزمن الطويل الى درجة أن يتحول فى الوقت الحاضر الى « عبيط القرية » يدل على مدى حاجة المجتمعات البشرية الى هذا الدور ومدى ولع البشرية بقراءة المستقبل !

xxx

وقد نشرت صحيفة « الأخبار » القاهرية فى عددها الصادر يوم ٢٩ مارس ١٩٨٤ خبرا جاء فيه : إنتشرت فى الأسواق لعبة تشبه تحضير الأرواح عن طريق السلة . اللعبة تتحرك بقوة خفية بعد أن يضع الشخص سؤالا مركزا . تبدأ اللعبة فى التحرك على كرتونة ملساء عليها أحرف باللغة اللاتينية وأرقام ، وعن طريق تجميع الأحرف التى تقف أمامها اللعبة يمكن تجميع الاجابة ، وقد أدت هذه اللعبة الى إنصراف عد كبير من الطلبة عن المذاكرة . وأضافت الصحيفة ان خطورة اللعبة أنها تجيب إجابات صحيحة فى بعض الأحيان مما دفع البعض الى الاعتقاد فيها !

ومهما كانت حقيقة الأمر فى تلك اللعبة وهل هى خداع تام أم ترتكز على تأثير الاعتقاد أو الوساطة الروحية فإن إقبال الناس عليها يدل على ولع لايقاوم بقراءة المستقبل .

×××

ولا يكاد تدخل تحت حصر الطرق التى ابتكرها البشر لمحاولة التنبؤ بالغيب ، ومعرفة المستقبل .

ومن أقدم هذه الطرق قراءة الرمل . . ففى بعض المجتمعات البدائية وخاصة فى قبائل الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية يقوم رجال معينون يسمى الواحد منهم « ناڤاهو » برسم صور لأشخاص وحيوانات على الأرض بإستخدام الرمل الملون ، وعن طريق ملاحظة ما يحدث لهذه الصور الرملية من عوامل التعرية يمكنهم التنبؤ بأحداث المستقبل أو علاج المرضى .

والغجر المتجولون فى مختلف أنحاء العالم يزعمون لأنفسهم براعة خاصة فى قراءة الرمل وضرب الودع . وتسير الواحدة منهم فى شوارع القرية أو المدينة حاملة سلة بها رمل وودع وتنادى « أبين زين . . أبين » فيستدعيها الناس ويسألونها عما يشغل بالهم .

وقد تحولت قراءة الرمل الآن الى لعبة منزلية كتلك التى أشارت إليها صحيفة « الأخبار » القاهرية . إذ يأتى البعض بصينية مليئة بالرمل الناعم المصقول السطح ، وتغمى عينا أحد الأشخاص ويمسك قلما أو فرعا من الخشب ويضع يده على حافة الصينية ، ويسأله السائل سؤالا ، وبعد دقائق قليلة من التركيز فى السؤال يتحرك القلم كما لو كان من تلقاء نفسه ويخط حروفا على صفحة الرمل ، وهذه الحروف يجرى تفسيرها فمثلا الحرف « ن » يدل على « نعم » والحرف « ل » يدل على « لا » والحرف « ر » يدل على « ربما » وهكذا . وأحيانا يرسم القلم خطوطا لا حروفا ، فالخط الطويل العميق يدل على سفر ، والخط القصير يدل على توقع وصول زائر ، أو يرسم القلم أشكالا هندسية : المثلث يدل على مستقبل ناجح ، والدائرة تدل على زواج ، وحرف × يدل على قصة حب ، وهكذا ويمكن تقسيم الصينية الى أجزاء تدل على حساب الزمن وبذلك نعرف مثلا متى يتم الزواج أو تبدأ قصة الحب . . إلخ .

×××

وهناك وسيلة قديمة أخرى للتنبؤ عن طريق الزهر ، ويقال ان الزهر المرقم اخترع فى بلاد اليونان حوالى عام ١٢٥٠ ق . م . ويبدو أنه كان معروفا قبل ذلك فى مصر القديمة ، وكان يصنع من العاج أو العظام .

ولاستشارة الزهر يلقى به الشخص داخل دائرة مرسومة بالطباشير على الأرض أو المائدة ، وإذا خرجت إحدى قطع الزهر خارج الدائرة لا تؤخذ فى الحسبان ولكن هذا يدل فى حد ذاته على وقوع نزاع أو شقاق . وطريقة قراءة الزهر بسيطة وسريعة فالعدد ٣ مثلا يدل على مفاجأة سارة ، والعدد ٦ يدل على ضياع شيء له قيمة ، والعدد ٩ يدل على عرس زفاف ، والعدد ١٢ يدل على خطاب هام فى الطريق ، والعدد ١٥ يحذر من خطر ، والعدد ١٨ يكشف عن ثروة كبيرة وهكذا ، ولا ينصح بإستخدام الزهر فى أيام الأثنين والاربعاء !

ويستخدم آخرون « الدومينو » بدلا من « الزهر » فى قراءة المستقبل ، وهم أيضا يتفقون على دلالة لكل رقم ، فمثلا الرقم ١ يدل على رحلة ، و ٢ يدل على علاقة إجتماعية ، و ٣ يدل على قصة حب ، و ٤ يدل على سفر بعيد ، و ٥ يدل على العمل ، و ٦ يدل على الحظ . فإذا خرج رقمان معا وليكونا مثلا ١ و ٣ فإن هذا يدل على قصة حب أثناء رحلة ، وهكذا ، ولا ينصح بإستخدام الدومينو فى التنبؤ أكثر من مرة واحدة فى الأسبوع !

×××

وهناك من يقرأون « النار » ويحاولون الاستدلال من صور الجمر واللهب على ما يقع من الأحداث فى المستقبل !

وهذه الطريقة شخصية بحتة لأن تكوينات الجمر الملتهب والصور التى توحى ببها تختلف من عين الى عين ولذلك فإنها لا تبدو بشكل معين إلا لقارئها وحده ، وحتى يمكن الحصول على أوضح الصور وأحسن النتائج يحسن إلقاء قليل من الملح أو السكر على الجمر الملتهب فإن ذلك يطلق السنة اللهب الصافى ويترك صفحة الجمر صافية ترتسم فيها الصور بوضوح ، فإذا تراءت صورة حذاء مثلا فإن ذلك ينبيء عن أخبار سعيدة تأتى قريبا ، أما صورة الفأس أو المطرقة فتدل على كارثة وشيكة ، وإذا ظهرت صورة وردة ذات ثلاث أوراق فإنها تدل على الثراء والنجاح ، وهكذا

وقراءة النار تقترب كثيرا من قراءة الفنجان التى هى أيضا شخصية وتعتمد على رؤية القارىء وتفسيره لما يراه من الخطوط . وهذه الوسيلة لقراءة المستقبل منتشرة جدا فى الشرق العربى حيث تشرب « القهوة التركى » ، بعد أن ينتهى الشخص الذى يريد أن يعرف « بخته » من إحتساء القهوة يمسك القارىء أو القارئة عادة بالفنجان باليد اليسرى وتديره عدة مرات ثم تكفيه على حافته ، وبعد قليل ترفع الفنجان برفق وتتطلع الى الصور التى ترسمها خطوط القهوة على جدرانه وقاعه ، وتستخدم مخيلتها وحدسها فى تفسير هذه الصور والتنبؤ على أساسها ، ولكن هناك عدة قواعد موضوعية يلتزم بها الجيمع فمثلا وجود قطرات من القهوة السائلة يدل على إحتمال الدموع ، وإذا كانت هناك سحابة كثيفة سوداء فى قاع الفنجان فانها تدل على المتاعب أو الحزن ، ويجب أن تتجه أذن الفنجان دائما ناحية الجنوب وان يتذكر القارىء ان قاع الفنجان يمثل المستقبل البعيد ووسط الفنجان يمثل المستقبل القريب أما الحافة فتدل على الحاضر أو ما سوف يحدث فورا ، وفن قراءة الفنجان غالبا م ينتقل بالتعليم من جيل الى جيل ولكن من السهل ان يتعلمه أى شخص بنفسه لأن قواعده الرئيسية سهلة الفهم ، فالأشكال التى تتكون غالبا هى الثعابين والطيور والحيانات ، الثعبان يمثل الشر والاغواء ، والفأر الصغير يدل على متاعب مالية ، والفأر الكبير يدل على الخطر والحصان خاصة بالنسبة للمرأة هو رمز للحبيب أو الزوج ، والعنزة رمز للأعداء وسوء الحظ خاصة بالنسبة للبحّار ، أما العنكبوت فهو علامة الحظ الحسن وإذا كان محاطا بالنقط فإنه يعنى الثراء الواسع ، والدجاجة تدل على زيادة فى عدد أفراد الأسرة ، والببغاء يفيد زيادة الأملاك . . إلخ .

xxx

أما قراءة الكف فلها تاريخ طويل وإنتشار هائل ، وهى من أكثر وسائل استطلاع الغيب شيوعاً وثقة ، ويزاولها كثير من المتنبئين معظمهم من المبتدئين أو الأدعياء ولكن منهم من يكتسب شهرة عريضة بإعتباره صادقا ، ومثل هؤلاء يقصدهم الناس من أماكن بعيدة وأحيانا من بلاد أجنبية وقارات أخرى بحثا عن معرفة مستقبلهم ، ويكتسب قراء الكف الهنود بصفة خاصة مصداقية كبيرة ، وقد شاهدت فى أحد فنادق بومباى الكبرى كيف كان يتكالب السياح

الأوربيون والأمريكيون على أحد قارئى الكف فى أروقة الفندق . وتبدو فى أعين هؤلاء السياح والسائحات الدهشة الشديدة أو ربما تندو عنهم صيحات الاستحسان وهم يستمعون الى أدق أسرارهم وما يشغل بالهم من أفواه هؤلاء المتنبئين الشرقيين . وتعتمد هذه الوسيلة أيضا على تفسر خطوط الكف وما فيها من تقاطعات وتعرجات وإنقطاعات وإتصالات . ويقال ان خطوط الكف مثل بصمات الأصابع لا يمكن أن تتشابه فيما بينها بالرغم من أن خطوطها العريضة واحدة وقد وضعت فى فن قراءة الكف آلاف المؤلفات بمختلف اللغات .

وكما يعتقد الكثيرون فى قراءة الكف يعتقد آخرون فى قراءة الطالع أو ما تقوله النجوم والأبراج عن مصائر البشر . وهذا أيضا من قديم واسع الانتشار يزاوله الكثيرون ويضعون فيه المؤلفات ويعقدون من أجله المؤتمرات .

xxx

وهناك وسائل أخرى كثيرة لا تكاد تدخل تحت حصر للتنبؤ بالمستقبل وقراءة الغيب . .

منها التنبؤ بواسطة السكين ! وكل المطلوب فى هذه الطريقة سكين مائدة وصينية مستديرة تتسع لها ، ويكتب عبارات التنبؤ المختلفة على قصاصات صغيرة من الورق تلصق حول حافة الصينية وتثبت السكين فى منتصف الصينية ويقوم الشخص بتدويرها بسرعة وعندما تستقر فى النهاية فان سلاحها يشير الى الرسالة الصحيحة ، وهذه الطريقة أصبحت الآن لعبة منزلة ولكنها كانت لدى الهنود الحمر مهمة جادة طالما إتخذت على أساسها أخطر القرارات .

وفى القرون الوسطى كانوا يتنبأون بقراءة الأشكال التى ترسمها قطرات الشمع الساخنة بعد أن تتجمد على صفحة الماء ، كما كانوا يقرأون لغة الأشجار والأغصان والأزهار ، وربما يكون ذلك هو أصل ما يفعله المحبون الآن عندما يمسكون زهرة وينزعون وريقاتها واحدة بعد الأخرى متسائلين عما إذا كان الطرف الآخر يشعر بالحب أم لا ، وكانت الزوجة التى تشك فى إخلاص زوجها تأخذ ثمرتين من الكستناء وتضعهما متلاحقتين فوق الفحم المشتعل فإذا إحترقتا سويا تأكدت من إخلاص زوجها أما إذا أبعدتهما الحرارة يكون الزوج خائنا مهما أقسم على عكس ذلك أغلظ الأقسام !

وفى العصور القديمة كان التنبؤ بقراءة الأحشاء الحيوانية وخاصة أحشاء الماعز فنا مستقراً لا سبيل الى الشك فى صحته ، فكان الكاهن المتنبىء يذبح عنزة وينزع أحشاءها ويلقى بها فى آنيه ، وعن طريق تفسير التعرجات التى تصنعها الأمعاء الطرية اللزجة يستطيع أن يتنبأ بالمستقبل كما لو كان يقرأ فى كتاب مفتوح . وهذه الطريقة كانت شائعة بالتحديد لدى الشعوب السامية كالبابليين والعرب . كما كان العرب يتنبأون بزجر الطير وتفسير إتجاهاتها عند الطيران .

أو بإختصار هناك ما يقرب من ألف طريقة لمعرفة المستقبل إذا إستطاع أحد أن يحصرها أو يعدها . .

نوستراداموس

نوستراداموس . . هو أشهر عراف متنبىء فى التاريخ . . ترجع شهرته الى ما يقال عن أن نبوءاته متجددة على مدى القرون ولا تقتصر على أحداث عصره أو أحداث الأيام والسنين القريبة من عصره . بل يقال ان بعض نبوءاته تتحقق حتى فى عصرنا الحالى رغم مضى أربعة قرون على القول بها . .

عاش نوستراداموس ، واسمه الأصلى ميشيل دى نوتردام ، فى فرنسا خلال القرن السادس عشر ، وكان عرافا فلكيا ومستشارا للملكة كاترين دى ميديتشى ملكة فرنسا من ١٥٤٧ الى ١٥٨٩ ، فلم تكن الملكة تفعل شيئا قبل أن تستشيره لفرط إيمانها بصحة نبوءاته .

وقد جمع نوستراداموس نبوءاته فى كتاب ضخم أسماه « القرون » صدر فى مارس عام ١٥٥٥ فى مدينة ليون الفرنسية ، ولا يزال يطبع حتى الآن بمختلف اللغات رغم مضى أكثر من أربعة قرون على صندوره ورغم ان الكنيسة حرمت تداوله ووضعته فى قائمة الكتب الممنوعة شطرا طويلا من الزمن .

كان نوستراداموس يعكف على التنبؤ كل يوم إبتداء من منتصف الليل حتى طلوع الفجر ، فيعتكف فى قبو بأعلى منزله ولا يسمح بدخول أى إنسان عليه أثناء إعتكافه ، وكانت طريقته فى التنبؤ هى التركيز فى إناء ملىء بالماء موضوع على مائدة صغيرة ذات ثلاثة أرجل ، وبعد قليل يشعر بحالة من « المس المقدس » ويتلبد الماء الذى أمامه بالغيوم ويبدأ فى مشاهدة رؤى عن المستقبل . . صور للحروب والمجاعات والزلازل والحرائق والكوارث ، ثم يدخل فى غيبوبة تسافر خلالها روحه الى المستقبل حيث يشاهد تفاصيل الصور التى رآها فى الإناء أو يسمع أصوات تأتيه من الغيب ، وعندما يفيق من

غيبوبته يكتب ماراه أو سمعه فى كشكول ضخم لا يفارقه ، ويستمر على ذلك حتى ظهور الشعاع الأول من الفجر فلا يعود يرى أو يسمع شيئا .

وكان نوستراداموس يكتب نبوءاته فى شكل مقطوعات شعرية رمزية ، فبالرغم من ان الرؤى التى يشاهدها تأتى واضحة إلا أنه آثر أن يكون التعبير عنها بالرموز والاشارات حتى لا يغضب الكنيسة ولا يثير الذعر بين الناس ، ولذلك جاءت كل نبوءة فى شكل مقطوعة شعرية من أربعة سطور مصاغة بلغة رمزية غامضة .

وأحيانا كان يلجأ عن عمد الى تغيير الأسماء التى يتحدث عنها أو إبدالها وقلبها ، فمثلا « باريس » يسميها « ريباس » أو يطلق أوصاف الطيور والحيوانات على الملوك والزعماء الذين يتحدث معهم ، وتبدو المقطوعة فى ظاهرها خيالية ، ولكنها تنطوى على مغزى عميق .

وبالرغم من أن العصر الذى كان يعيش فيه نوستراداموس كان مغرقا فى فن التنجيم الذى يدعيه الكثيرون إلا نوستراداموس اتهم بأنه متحالف مع الشيطان وكادت توجه إليه تهمة السحر وعقوبتها الموت حرقا لولا ما كان يتمتع به من حماية البلاط الملكى . والواقع ان نوستراداموس كان مؤمنا طيبا يخاف الله وكان يحرق ما يقع فى يده من كتب السحر المعادية للكنيسة ، ويقتبس من الإنجيل ما يؤكد ان المؤمنين يكشف عنهم أحيانا الحجاب فيمكنهم التنبؤ بالمستقبل ، وكان يقول ان « طبيعته مقدسة » تتعامل مع الأرواح الخيرة ، ولا تتعامل مع الشياطين والأرواح الشريرة .

وكان نوستراداموس يركز فى نبوءاته على « الحقائق » وليس على « التواريخ » فهو لا يتنبأ بأن حدثا معينا سيقع فى تاريخ معين وإنما يتنبأ بالحدث فى حد ذاته دون ذكر لتاريخه ، وهذا مما جعل نبوءاته صالحة لكل العصور ، فيمكن أن تفسر نبوءة معينة بأحداث تقع فى القرن ١٧ أو ١٨ أو ٢٠ ولكن دارسى كتاب « القرون » يستطيعون ترتيب النبوءات ومعرفة العصر الذى تقع فيه والدولة التى تتحدث عنها ، بل ان فشل نواستراداموس فى معرفة التواريخ ينطبق على تنبؤه بموته هو نفسه ، فقد تنبأ بأنه سيموت فى نوفمبر ١٥٦٧ ، ولكنه مات قبل ذلك فى يونيو ١٥٦٦ ، ومع ذلك لم يؤثر هذا الفشل فى

مصداقية نبوءاته ومكانة كتاب « القرون » الذى ظل يطبع بصفة مستمرة منذ أكثر من ٤٠٠ عام .

ويقال ان نوسترادادموس إستمد طريقته فى التنبؤ من كتاب قديم يسمى « الأسرار المصرية » وضعه فيلسوف اغريقى عاش فى القرن الرابع الميلادى يدعى « بامبليكوس » وقد صدرت طبعة من هذا الكتاب فى مدينة ليونز عام ١٥٤٧ . وفيه يؤكد مؤلفة أهمية إرتداء أرواب ذات صفات معينة وإستخدام إناء من الماء « وترابيزة » ذات ثلاثة أرجل كأدوات للتنبؤ . وقد ظل تلاميذ نوسترادادموس يستخدمون هذه الأدوات فيما بعده .

أمثلة من نبوءاته

تنبأ نوسترادادموس بالثورة الفرنسية التى حدثت عام ١٧٨٩ وأسمى الملكيين بالبيض والثوار بالحمر ، والمعروف ان شعار دولة البوربون كان العلم الأبيض وشعار الثوار « العلم الأحمر » وتحدث نوسترادادموس بوضوح عن عصر الارهاب الذى نشره روبسبيير ، والمقصلة التى أطاحت بكثير من الرءوس وفى مقدمتها الملك لويس السادس عشر والملكة مارى انطوانيت ، ولكنه ذكر ان هذه الأحداث ستقع فى عام ١٧٩٢ فى حين انها وقعت قبل ذلك بثلاثة أعوام .

وتنبأ نوسترادادموس بمذبحة نانتس عام ١٧٩٣ حين عارض سكان المدينة الثورة فقتل الثوريون ١٠٠٠ من سكان المدينة تحت المقصلة أو بإلقائهم فى نهر اللوار . وكلمات نوسترادادموس عن هذه المذبحة هى « صيحات أهل نانتس وأناتهم تفطر القلوب » كما تنبأ بمقدم نابليون فى أكثر من مقطوعة ، منها « إمبراطور سيولد بالقرب من إيطاليا سيكلف الامبراطورية ثمناً غالياً » وتنبأ بانسحاب نابليون من روسيا بعد أن يحرق مدينة موسكو « شراذم الجيش سوف تتراجع . . بعد أن يحرق المدمر المدينة القديمة التى فى أقصى الشرق » كما تنبأ بهزيمة نابليون فى واترلو عام ١٨١٥ عندما تضافر النمر (انجلترا) مع الخنزير البرى (بروسيا) على سحق النسر (نابليون) !

ويقال ان بعض نبوءات كتاب القرون تشمل الولايات المتحدة وسكانها وزعماءها رغم ان العالم الجديد كان غير معروف فى زمن نوستراداموس ، فقد جاء فى الكتاب العاشر والأخير من « القرون » ما يفيد التنبؤ بإغتيال الرئيس جون كنيرى وأخيه روبرت ، ومايفيد دمار مدينة نيويورك التى يصفها بالمدينة الجديدة العظيمة .

كما تنبأ نوستراداموس بالحربين العالميتين اللتين وقعتا فى القرن العشرين ، وبحرب عالمية ثالثة مدمرة تبدأها الصين وتمتلىء خلالها السماء « بالأسلحة والصواريخ » وينجم عنها ضرر بالغ فى الشرق والغرب ومما يجعل نبوءته بهذه الحرب مخيفة حقا أنه تنبأ قبل ذلك فورا بالهجومين الذريين على هيروشيما وناجازاكى فى عام ١٩٤٥ إذ قال « بالقرب من الميناء الشرقى فى مدينتين سيقع حريقان هائلان لم تشهد البشرية مثيلا لهما من قبل وسوف يضرب الجوع والوباء سكانهما الذين يسقطون بالسيف طالبين العون من الخالق الخالد العظيم » .

وتأتى هذه النبوءة فى الترتيب بعد نبوءة أخرى يقول فيها ان « النار سوف تشتعل فى سفن الغرب » وقد فسرت هذه النبوءة بأنها تعنى الهجوم اليابانى على الاسطول الأمريكى فى ميناء بيرل هاربر وهو الحادث الذى أدى الى دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية فى ديسمبر ١٩٤١ .

وفيما يتعلق بانجلترا يقال ان نبوءات نوستراداموس تشمل التنبؤ بثورة كرمويل وإعدام الملك شارلس الأول : « يقوم رجل من عامة الشعب ويستولى على الامبراطورية بالقوة ويأمر بإعدام الملك » كما تشمل تنازل الملك ادوارد الثامن عن العرش ليتزوج من ليدى سيمبسون وهى إمرأة أمريكية مطلقة مرتين .

ويقال كذلك ان نبوءات نوستراداموس عن العصر الحديث تشمل تولى اجنرال ديجول الحكم فى فرنسا ، وثورة المجر عام ١٩٥٦ ، وموت هتلر فى مخبئة ببرلين ، وإنهيار خط ماجينوا الفرنسى فى الحرب العالمية الأولى ، ووباء الانفلونزا الذى اجتاح العالم فى عامى ١٩١٨ - ١٩١٩ ، وقيام الثورة البلشفية .

سلاح فى الحرب

أثناء الحرب العالمية الثانية ـ وهى من الأحداث التى تنبأ بها نوستراداموس ـ وقعت نسخة من كتاب « القرون » فى يد جوبلز وزير الدعاية النازى فرأى فيه سلاحا مؤثرا يمكن أن يستخدم فى الحرب ، فكلف جوبلز مع رئيس الجستابو على اختيار بعض نبوءات نوستراداموس واعطائها تفسيرا خاصا يوحى بأنتصار النازية وهزيمة معارضيها ، وقامت الطائرات الألمانية فى مايو ١٩٤٠ بالقاء نسخ من هذه التفسيرات فوق فرنسا للتأثير فى الروح المعنوية للفرنسيين ، ورد الحلفاء بالمثل فكانوا يختارون الفقرات التى توحى بهزيمة الألمان فى كتاب القرون ويقومون بإلقائها بواسطة الطائرات على المدن الألمانية !

ومفهوم ان نبوءات نوستراداموس بسبب رمزيتها وغموضها تقبل العديد من التفسيرات ، ومن السهل تشكيلها بحيث تناسب الحقائق المعروفة فى التاريخ ، ويقال كذلك أنها تخضع لنظرية الاحتمالات أو تحقق الصدفة ، فما دامت هذه النبوءات كثيرة العدد جدا وواسعة المجال فمن المحتوم أن يأتى بعضها صحيحاً . فالملاحظ أن معظم النبوءات « الصحيحة » التى قال بها نوستراداموس تحققت « صحتها » بعد أن وقعت فعلا ، ومثل ذلك ما يقال الآن عن أن نوستراداموس تنبأ بسقوط شاه إيران وقيام ثورة الخمينى فلم يكن أحد يتوقع تحقق النبوءة على هذا النحو قبل أن يقع الحدث فعلا .

ولكن هناك نبوءة لنوستراداموس لم تتحقق بعد قد تكون الفيصل فى مدى صحة النبوءات « المتحققة » الأخرى بالرغم من أن تحققها سيدمر البشرية ألا وهى نبوءته بالحرب العالمية الثالثة فى نهاية القرن العشرين . .

وطبقاً لهذه النبوءة حسب تعبيرات نوستراداموس الرمزية سوف يظهر الشيطان فى هيئة آدمية ويسيطر على مقادير البشر ، وسوف تنهار البابوية وتمحق من الوجود روما وباريس ولندن ونيويورك ، ويستخدم « ملك الرعب » قواه « الجوية » فى ابادة اعدائه ، وتطير الأسلحة فى الأجواء من قارة الى قارة وتنفجر

« رءوس النيران » فى المدن وتسقط أحجار ملتهبة من السماء ثم يحدث فيضان عالمى يغرق أجزاء كبيرة من القارات ويحيا البشر فى ألم وبؤس لمدة ٢٧ عاما ، ثم تهدأ بعد ذلك الأحوال ، ويعود الإنسان الى رشده ، ويشرق عصر جديد من الرخاء والاخاء الإنسانى سيكون بحق « العصر الذهبى » للبشرية !

وهى نبوءة نتمنى على أية حال ألا تتحقق . . رغم أن البوادر تؤيدها بكل أسف !

□ عالم الاحلام

- ○ لقاء فوق جسر لندن
- ○ دلالات الرموز
- ○ الاحلام فى معامل العلماء
- ○ ألوان من الاحلام
- ○ الاحلام وعالم الروح

لقاء فوق جسر لندن

استيقظت الفتاة فجأة من حلم مخيف رأت فيه ذئبا مفترساً فى قبو المنزل يعوى ويزمجر بلا توقف . ولكن تيقظها من هذا الحلم لم يهدىء مخاوفها ، وإنما إزدادت رعبا ، إذ احست أن هناك أحدا ينام الى جانبها فى السرير ، فمدت يدها لترى من يكون هذا الضيف غير المرغوب فيه ، وعندئذ لمست كتفا أملس لامرأة عارية ، وإلتفتت نحوها المرأة قائلة : « انني لم أنم فى سرير منذ مائة عام » !

ومضت المرأة الغريبة تشرح قصتها فى صوت لطيف هادىء فقالت أنها كانت إمرأة منذ مائة عام وفى ذلك الوقت اعتادت ان تنزلق من جانب زوجها أثناء الليل وتجرى فى الغابات فى هيئة ذئب لتقتل الحملان والدجاج وأمسكت المرأة بيد الفتاة وجعلتها تمر على ظهرها لتلمس آثار الجروح والعضات التى أحدثتها فيها الذئاب الأخرى أثناء اللعب !

وأضافت المرأة أن زوجها حاول كل ما فى استطاعته ليبقيها الى جانبه أثناء الليل ، وعندما فشل مرارا قتلها فى النهاية ، ومنذ ذلك الحين لم تشعر بالراحة الإنسانية ولم تتمكن من الاستحواذ على أى نفس بشرية . ثم قالت فى نبرات عذبة « ولكن الآن . . ها أنا قد حصلت عليك » !

وأمسكت المرأة بيد الفتاة وراحت تدنيها يبطء نحو صدرها ، وشعرت الفتاة أنها إذا لمست قلب المرأة سوف تتحول الى ذئبة هى أيضا ، فأشلها الرعب ، ولكنها فجأة انتقضت انتفاضة قوية فاستيقظت للمرة الثانية وهى ترتجف ويتصبب منها العرق . وعندئذ شعرت براحة كبيرة حين أدركت أن يقظتها الأولى كانت جزءا من الكابوس الرهيب الذى تعرضت له .

هذا الحلم الذى حدث للرسامة الانجليزية جوان راڤيرات أثناء المراهقة ، وسجلته فى كتابها « قطعة من الزمن » يحوى كل خصائص الكابوس التى يعرفها كل من يتعرض لهذه التجربة المزعجة ، إذ أن أحلام الكوابيس تبدو درامية ، ذات منطق كما لو كان يحكيها روائى ماهر ، وتبدو بالنسبة للحالم حية كالحقيقة نفسها ومشحونة بالعواطف التى يندر أن يكون لها مثيل فى حياة اليقظة نفسها .

وحتى الأحلام الخفيفة والسعيدة قد تؤثر فى حواس اللمس والسمع والنظر والشم ، وتخلق شعورا لدى الحالم بأنه فى تجربة حية واقعية لا يمكن الحصول عليها من مشاهدة أى فيلم مشوق مثير ، فالذهن الحالم يقبل عالم الأحلام تماما كما يقبل الذهن المتيقظ العالم المادى الحقيقى ، ومن النادر جدا أن يعرف الحالم أنه فى حلم ، كما أن الذهن الحالم أكثر خيالا ودهاء وتعقيدا .

وتجربة الحلم من الغرابة والشيوع بحيث حيرت البشرية منذ فجر التاريخ المكتوب الى الأن ، فالناس فى كل العصور حتى العصر الحاضر لا يتوقفون عن التكهنات حول الأحلام ، لماذا تحدث ، وكيف ، ومن أين تأتى ، وما تفسيرها !

وكل عصر ، وكل ثقافة ، حاول تقديم إجابات لمثل هذه الأسئلة . .

والنظرية السائدة عن الأحلام فى الغرب فى القرن العشرين ترى أن الأحلام هى لغة الذهن غير الواعى ، أو اللاشعور ، وان كل شىء يخاف منه الفرد أو يحاول أن يكبته أو كل رغبة خفية لديه تظهر فى تجربة الحلم ، كل ما فى الأمر أن الذهن الحالم يحاول أن يخفى أفكاره بتقديمها فى شكل رمزى ، ولكن هذه الرموز يمكن فكها بالتحليل النفسى ، فالحلم الذى ذكرته الرسامة الانجليزية جوان راڤيرات يمكن أن يكون مصدر إبتهاج شديد لأى محلل نفسانى حديث خاصة إذا كان من أنصار مدرسة فرويد ، فالمحلل الفرويدى يرى فى هذا الحلم حالة واضحة للخوف من المشاعر الجنسية ومحاولة كبتها : القبو يمثل لا شعور الفتاة أو عقلها الباطن ، والذئب الذى يعوى ويزمجر يمثل الطبيعة الحيوانية لدى الفتاة الحالمة ، وصراعها مع المرأة الذئبة يدل على صراعها الداخلى للسيطرة على مشاعرها الجنسية .

ولكن إذا كانت هذه الرسامة التى عاشت فى العصر الفيكتورى فى القرن الماضى قد حكت هذا الحلم لوالديها لقالا لها « هذا كلام فارغ » أو ربما نصحاها بعدم تناول عشاء ثقيل قبل النوم أو أن تتوقف عن قراءة القصص المرعبة .

والواقع ان الكثيرين من الناس مازالوا مؤمنين بنظرية « العشاء الثقيل » فى تفسير الأحلام حتى الآن ، ولكن عددهم فى تناقص مستمر . إذ تنتشر نظرية « الحلم كلغة للاشعور » وتكسب أنصارا يوما بعد يوم .

ولكن نظرية الحلم كلغة للشعور تبدو قاصرة أحيانا عن تفسير بعض الأحلام . ويؤكد الباحثون المحدثون والتراث القديم على السواء أن ظاهرة الأحلام أشد غرابة وتعقيدا مما يتصور المحللون النفسانيون فى العصر الحديث .

فهناك أحلام تمتزج بالحقيقة الواقعية على نحو يثير الدهشة . . خذ مثلا قصة البقال الانجليزى جون تشابمان الذى كان يعيش فى قرية « سوافهام » بإنجلترا فى القرن الخامس عشر ، ومثل هذه الحكاية الاسطورية لا يمكن أن تكون دليلا يقنع المتشككين ، ومع ذلك فانها تستحق أن تروى بإعتبارها صورة لحلم خارق علاوة على كونها قصة مسلية . .

ان من يزور قرية سوافهام اليوم يسمع هذه القصة من أبناء القرية ، ويرى فى كنيسة القرية صورا مصنوعة من الخشب المحفور والزجاج الملون لجون تشابمان وأسرته تخليدا لذكرى كرمه وعطفه على كنيسة قريته .

كان جون تشابمان بقالا فقيرا فى سوق القرية وذات يوم رأى فى المنام من يأمره بالذهاب الى لندن والانتظار فوق جسر لندن وهناك سوف يقابل رجلا يعطيه أنباء عن ثروة هائلة يمكنه أن يحصل عليها .

وكان الحلم من قوة الاقناع بحيث لم يسع تشابمان إلا الأمتثال لأمره ، فخرج على الفور قاصدا لندن مشيا على الأقدام قاطعا المسافة وطولها ١٠٠ ميل فى ثلاثة أيام وهناك انتظر فوق جسر لندن لمدة ثلاثة أيام أخرى وكان جسر لندن فى تلك الأيام تقوم عليه الدكاكين والبيوت ، ولكن أحدا من المارة

الكثيرين لم يتوقف للحديث معه ، حتى شعر باليأس وكاد يهم بالعودة الى « سوافهام » حيث تنتظره بالتأكيد توبيخات أسرته وجيرانه وسخريتهم منه ، وفى هذه اللحظة اقترب منه رجل من أصحاب الدكاكين المجاورة كان قد لاحظ وجوده القلق الغريب خلال هذه الأيام الثلاثة ، وسأله عما ينتظر .

وتمضى القصة فتقول ان تشابمان دون أن يذكر للرجل اسمه أو من أين جاء أبلغه بأمر الحلم ، وعندئذ انفجر الرجل ضاحكا وقال له « يالك من غر أبله ! لو كنت أنا قد أطعت حلما مماثلا لكنت قد أصبحت مغفلا مثلك . . فقد حلمت منذ مدة أن هناك مكانا يدعى سوق سوافهام فى مقاطعة نورفولك يعيش فيه بقال يدعى جون تشابمان ـ على ما أذكر وأن هذا البقال له شجرة فى حديقة منزله الخلفية ـ هكذا حلمت ـ وتحت هذه الشجرة توجد جرة كبيرة مليئة بالنقود . . والآن لنفترض انى ذهبت كل هذا السفر الطويل لأبحث عن هذا الكنز المزعوم تنفيذا للحلم . . يالى من غبى أحمق حينئذ » !

ولا تذكر القصة ماذا كانت إجابة جون تشابمان للرجل صاحب هذا الفضل الكبير ، ولكنه لم يتوان عن العودة الى « سوافهام » بأسرع مايمكن ، وهناك أخذ يحفر تحت شجرة الكمثرى فى حديقته الخلفية فأخرج جرة كبيرة مليئة بالقطع الذهبية والفضية !

ولا شك أن هذه القصة قد دخلتها تحويرات كثيرة وهى تحكى عبر القرون ، ومن السهل رفضها كمجرد حكاية فولكلورية لا أساس لها من الصحة ، ومع ذلك فان تجارب مشابهة ليست معدومة فى عالم اليوم بل وخضعت للتحقيق والبحث العلمى ، وتروى العالمة الباراسيكلوجية لويزا راين فى كتابها « أساليب الذهن الخفية » أمثلة كثيرة عن هذه الأحلام التى تمتزج بالواقع ، منها هذا الحلم الذى حدث لجيولوجى هاو شاب :

يقول انه حلم بوجود حجر ثمين فى أحجار « الجاد » يقع فى المياه الضحلة فى مكان معين بالقرب من شاطىء النهر الذى يجرى خارج المدينة على مسافة حوالى ١٥ ميلا ، وعندما استيقظ أبلغ زوجته بحلمه واقترح عليها أن يخرجا بعد تناول طعام الافطار الى المكان الذى رآه فى الحلم . وقد كانا غريبين عن المدينة فظلا يسألان عن الطريق حتى وصلا بالسيارة الى نفس المكان الذى

تراءى له ، وهناك تركا سيارتها وأخذا يتمشيان على الشاطىء ، وخلال نصف ساعة عثرا على حجر « الجاد » الثمين الذى رآه الزوج فى الحلم . . وقد عرض على الجيولومى الشاب فيها بعد ثمنا كبيرا مقابل هذا الحجر ، ولكنه رفض أن يبيعه وإحتفظ به ، وأراه للعالمة الباراسيكلوجية لويزا راين .

xxx

هذه القصة التى روتها الباحثة لويزا راين عن حلم الشاب الجيولوجى لا تختلف فى نوعها وغرابتها عن قصة حلم البقال تشابمان ، فالقصتان ترويان حلما به قطعة من الواقع الذى ليس لدى الحالم علم مسبق به . والاختلاف بينهما يكمن فى ان تشابمان كشف عن هذا الواقع عن طريق التنبؤ بالمستقبل ، أما الجيولوجى الشاب فقد كشفه عن طريق الاستشفاف أو الاستبصار أو الرؤية عن بعد كما يقول الباراسيكلوجيون .

والمشكلة أن هذا التفسير لا يقنع غالبية الناس فى هذا العصر المادى ، فالناس قد درجوا على إعتبار أنه من غير الممكن الحصول على معلومات من ذهن آخر أو معرفة أى حدث أو أى شىء مادى إلا عن طريق الحواس الخمس مما يستبعد ملكتى « التليباثى » و « الاستبصار » كما اننا درجنا على إعتبار أنه من المستحيل أن ينتج أى حدث آثاره قبل أن يقع مما سيتبعد إحتمال التنبؤ بالمستقبل ، وهذه الحدود التى لا يتجاوزها الذهن البشرى فى هذا العصر العلمى هى مايسميها الناس بالفطرة السليمة ، أو البديهة ، فإذا سألتهم أن يثبتوا هذه المبادىء التى يسمونها بديهية حاروا فى الأمر وقالوا « أنها مسألة هكذا بالعقل » ! أما التخاطر والاستبصار والتنبؤ وما أشبه فأشياء ليست ، بالعقل ، بل أنها فى الواقع ضد العقل تماما ، العقل الذى يفرض على نفسه حدود الادراك الحواسى ويرى ابتداء أن مثل هذه الظواهر لا يمكن أن تحدث ومع ذلك فإن الشواهد المتراكمة تدل على أن هذه الأحداث الخارقة تقع بالفعل ، ومعظم هذه الشواهد تأتى من دراسة الأحلام .

xxx

والأحلام أنواع متعددة ، بل لاتكاد تدخل تحت حصر ، فمنها أحلام الهلوسة أو التخريف التى لا معنى لها ، والأحلام الخيالية ، والأحلام الدرامية ، والأحلام المؤلمة ، والأحلام الرمزية ، والأحلام المعبرة عن مشاكل

عاطفية ، والأحلام الخلاقة الموحيه بإكتشاف فى العلم أو الفن ، وأحلام التخاطر مع ذهن آخر ، وأحلام الاستبصار أو الرؤية عن بعد ، وأحلام التنبؤ بأحداث مقبلة ، وغير ذلك من الخصائص والأنواع .

ولا توجد نظرية واحدة يمكنها أن تفسر كل أنواع الأحلام ، ولكن من المؤكد أن أقل النظريات اقناعا هى نظرية « العشاء الثقيل » التى تحاول أن تجرد ظاهرة للأحلام من أى معنى وتجعلها مجرد عرض من أعراض سوء الهضم ، وعندما نشر فرويد كتابة الثورى المثير « تفسير الأحلام » فى عام ١٩٠٠ ساعد بذلك كثيرا من الناس على أن يأخذوا أحلامهم بجدية وأن يفهموا بعض معناها الرمزى ، ولكن نظرية فرويد ثبت أنها متعسفة وغير كافية ، فالتفسيرات الفرويدية الجامدة تحاول أن تشوه كثيرا من الأحلام وتجردها من قيمتها من أجل أن تجعلها تناسب النظرية .

والحقيقة أن فرويد رغم أفكاره الثورية فى علم النفس كان جزءا من الحضارة الغربية العلمية المادية التى أنتجته ، وهذه الحضارة تركز على أهمية الوعى والحياة العملية وتميل الى إعتبار اللاوعى أو اللاشعور أو العقل الباطن مجرد مخزن للأفكار الاليمة أو غير المقبولة ، وهذا ليس صحيحا ، فاللاوعى لا يقل أهمية ونشاطا وإيجابية عن العقل الواعى ، بل لعله أكثر ذكاء وموهبة منه ، وقد بدأ علماء النفس فى الآونة الأخيرة ينظرون بإحترام أكبر الى اللاوعى وقواه الاحاسة .

اما الحضارات الأخرى التى تنجو من هذه اللوثة المادية والتى يعتبرها الغرب متخلفة ، فإنها تقف موقفا مختلفا إزاء الأحلام ، فهى ترى فى الأحلام نوافذ مفتوحة على عوالم غير مرئية ، عوالم متصلة بالسلف الصالح أى الماضى كما هى متصلة بالأحداث المقبلة أى المستقبل الذى لا يزال فى علم الغيب .

ومن أشهر الأحلام فى تراثنا الإسلامى ، مثلا ، الحلم الذى راه النبى يوسف طفلا حين رأى الشمس والقمر والنجوم ساجدات له ، وحلم فرعون بالبقرات السمان والعجاف وسنابل القمح . وفى الزمن الحديث يقال أن زعيم قبيلة الماساى الافريقية المحاربة رأى فى المنام قبل أن يموت بقليل كأن ثعبانا ضخما يزحف عبر أرض الماساى وطيورا ضخمة تطير فى السماء وتلقى بظلها

على الأرض وأن هذه الأشياء سوف يحضرها « الرجل الأبيض » ، فجمع أفراد قبيلته ، وأبلغهم بالحلم وحذرهم من سفك دم الرجل الأبيض لأنه إذا حدث ذلك فإن نصف أفراد القبيلة وكل الماشية تقريبا سوف تموت ، وبعد ذلك بسنوات عندما شرع الانجليز فى مد الخط الحديدى عبر أوغندا فوجئوا بأن رجال قبيلة الماساى لايتعرضون لهم ، مع أن الانجليز كانوا يتوقعون منهم مقاومة شديدة ، وذلك لأن رجال الماساى رأوا فى الخط الحديدى ذلك « الثعبان الضخم » الذى شاهده زعيمهم فى المنام قبل موته وحذرهم من التعرض له ، ولكنهم بعد ذلك حين نسوا تحذير زعيمهم وأقدموا على قتل رجل أبيض فى عام ١٨٩٨ رد الإنجليز بمذبحة ضد قبائل الماساى انتشرت على أثرها الأمراض والطواعين التى فتكت بمعظم الماشية وكثير من الناس ، وبذلك تحققت رؤيا الزعيم ، أما « الطيور الضخمة » التى تلقى بظلها على الأرض فقد فسرها رجال الماساى بأنها تعنى الطائرات الكبيرة فى الأزمنة الحديثة !

xxx

ما هو الحلم بالضبط ؟

أننا نعتبر الحلم صورة ذهنية لا إرادية نجربها أثناء النوم . . وهذا التعبير يتسع لمعظم الأحلام العادية بالفعل حتى تلك التى بها عناصر غير مألوفة ، ولكن هل جميع الأحلام عادية ؟ وهل جميع الأحلام تحدث فى حالة نوم طبيعى ؟ ألا يمكن أن تكون بعض الأحلام وسيلة باراسيكلوجية للاتصال بين الأذهان أو بين الذهن والعالم المادى أو الروحى الخارجى ؟ ان كثيرا من الأحلام التى سجلها التاريخ كان لها تأثير فعال على أصحابها ، بل أن بعضها قد غير العالم بالفعل ، وكلما مضينا فى دراسة الأحلام إزدادت حيرتنا إزاء الذهن البشرى ومدى تعقيده ودهائه وغموضه . .

فلنمض إذن فى قراءتنا لهذه الظاهرة . .

دلالات الرموز

فى كل عصور التاريخ ، وفى كل الحضارات والمجتمعات ، ظهر مفسرو الأحلام ، فهذه الظاهرة ـ ظاهرة الأحلام ـ تلعب فى حياة الإنسان وتاريخه دورا أهم من أن يهمل ، ومن هنا ظهر فن تفسير الأحلام ابتداء من الكهنة القدامى ويوسف الصديق الى ابن سيرين وغيره من مفسرى الأجيال التالية .

ويعتبر العالم النفسانى سيجموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) ابن سيرين العصر الحديث ، فهو الذى ألقى بظله على فن تحليل الأحلام فى هذا العصر ، ونقله من مجال الحدس والخرافة الى مجال البحث العلمى ، وقد تأثر بمنهج فرويد فى تحليل الأحلام كل علماء النفس اللاحقين رغم عدم موافقتهم على كثير من نظرياته ، فكل هؤلاء وعلى رأسهم كارل يانج هم من تلاميذ فرويد الثائرين عليه .

وقد نشر فرويد فى عام ١٩٠٠ كتابه الهام « تفسير الأحلام » الذى أحدث ثورة هائلة فى الفكر ، واعتبر فيه الأحلام هى لغة اللاشعور أو المفاتيح التى تفتح للمحلل النفسانى مجاهل اللاوعى والعقل الباطن . واللاشعور كما يقول فرويد هو مخزن الأفكار والرغبات والتجارب والمشاعر المكبوته ، فأية فكرة أو رغبة أو تجربة مؤلمة يريد ان يخفيها الفرد لا تتبدد هباء حتى إذا نسيها بالفعل ، وإنما تهبط الى اللاشعور وتغوص فيه ، لتظهر فيما بعد فى صوره متاعب نفسية أو جسمية . ولما كان أقوى دافع لدى الإنسان فى رأى فرويد هو الدافع الجنسى لذلك فإن طبيعة مخزونات اللاشعور جنسية أساساً ، وما الأحلام إلا رموز جنسية تنطلق من اللاشعور أثناء النوم ، ويمكن بتحليلها أن يضع المحلل النفسانى يده على مكمن الداء ، ولكن ينبغى على محلل الأحلام أن لا يأخذ

بشكلها الظاهرى بل عليه أن يتعمق فى مغزاها الرمزى حتى يصل الى محتواها الحقيقى ، وحتى يمكنه أن يفعل ذلك عليه أن يفهم « ميكانيزم » اللاشعور وكيف يتحايل على إخفاء التجارب الأليمة ومشاعر الاحباط التى تؤرق الوعى ، وهى التى تظهر فى شكل رمزى فى الحلم .

وقد انتقدت نظريات فرويد بشدة فيما بعد ، ووصفت بأنها جامدة وضيقة تغلب دافعا واحدا هو الدافع الجنسى على غيره من الدوافع المختلفة لدى الإنسان والتى لا تقل عنه قوة وتأثيرا .

وكان أول الثائرين على فرويد تلميذه وصديقه كارل جوستاف يونج الذى ولد عام ١٨٧٥ ولازم فرويد كتلميذ مخلص فى القترة بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٣ ثم إختلفا وإفترقا بعد ذلك ، فقد كان فرويد لا يثق فى إهتمامات يونج بالظواهر الروحية الخارقة ، وكان يونج يشعر أن نظريات أستاذه قاصرة لأنها تركز على الناحية الجنسية وحدها .

ومع ذلك فقد إلتزم يونج بمنهج فرويد فى تفسير الأحلام بإعتبارها لغة اللاشعور والطريق الى إستكشاف الجانب الخفى فى الحياة الذهنية ، ولكنه لم يتفق معه فى كثير من نظرياته حول اللاشعور وهو أنه ملىء أساسا بالمشاعر والاحباطات الجنسية والمخاوف والرغبات المكبوتة ، حقا هناك أحلام كثيرة تعبر عن هذا الذى أشار إليه فرويد ولكن توجد الى جانبها أحلام كثيرة أخرى لها طبيعة مختلفة تماما ، فقد تعبر عن حقائق علمية ، أو قضايا فلسفية ، أو تجارب فى الحياة ، أو رؤى تليباثية ، الى غير ذلك فى المجالات .

وأضاف يونج ان اللاشعور ليس مخزنا للأفكار والرغبات والتجارب والمشاعر المكبوتة لدى الفرد فحسب ، وإنما يحوى إيضا عناصر مشتقة من التجارب والذكريات الجماعية للمجتمع الذى ينتمى إليه الفرد ، وهو ما يعبر عنه باللاشعور الجماعى .

وفكرة « اللاشعور الجماعى » من أبرز إضافات يونج فى علم النفس وعلم الاجتماع على السواء ، فهو يرى كما أن الأفراد يتوارثون خصائص تشريحية وفسيولوجية معينة تميز الجنس بأكمله مثل لون البشرة وملامح الوجه وتركيب العظام . . الخ . كذلك فإنهم يتوارثون خصائص ذهنيه ونفسية تعود

الى المنابع البدائية الأولى وهى كامنة فى شكل عواطف ونبضات خفية فى اللاشعور الجماعى الذى يتوارثه الفرد ، وأحيانا تنفجر هذه الموروثات البدائية فى شكل أفعال لا معقولة تنبو عن المنطق والواقع وتهز توازن الفرد أو الجماعة أو الأمة بأسرها .

وهذا « اللاشعور الجماعى » هو الذى تتولد فيه الأساطير والرموز التى تعتقد بها الجماعة بأسرها ، وهو المسئول عن تكرار ظهور بعض المواقف أو الأحداث أو الشخصيات المتشابهة داخل جماعة معينة عبر فترات متباعدة فى تاريخها .

ويرى يونج ان اللاشعور الجماعى الكامن فى ذهن كل فرد هو مخزن هائل لرموز الأحلام التى تتراءى للفرد أثناء النوم حتى لو لم تكن لديه أية معرفة واعية بالأساطير والرموز الكامنة فى لاشعوره ، فالطفل مثلا الذى لم ير ثعبانا فى حياته قد يراه فى منامه ويشعر أنه مخلوق شرير ، أو قد يشاهد فى منامه إحتفالا به رقصات وثنية كان يؤديها أجداد منذ آلاف السنين ، أو قد يشاهد رمزا يدل على اسطورة قديمة ، وكل هذه عناصر فى لاشعوره الجماعى توارثها دون أن يدرى بها .

ولكن اللاشعور بقسميه الفردى والجماعى ليس مخزنا للماضى فحسب وإنما هو أيضا ملىء ببذور الأفكار والمواقف النفسية فى المستقبل كما أنه أكثر حكمة وأبعد نظرا من الذهن الواعى ، وعلى ذلك فإن الأحلام ـ التى هى لغة اللاشعور ـ لا تتطلع الى الخلف فقط ولا تعبر عن الرغبة فى تحقيق رغبات مكبوتة فحسب ، وإنما هى أيضا تتطلع الى الامام ، أنها رسالة من اللاشعور الحكيم البعيد النظر المسلح بكل خبرة وتجارب وثقافة الجماعة تهدف الى تحقيق النظام فى حياة الحالم وترشده الى الإتجاه الذى يحسن به أن يسلكه .

وهكذا وسع يونج مجال الحلم توسيعا كبيرا ولم يجعله قاصرا على المجال الجنسى والرغبات المكبوتة كما فعل فرويد . . وقد إختلف الرجلان وإفترقا حول هذه النقطة بالذات ، ومع ذلك فقد ترك كل منهما مئات الصفحات حول ظاهرة الأحلام وتشكل آراءهما وجهة نظر العلم الحديث فى هذه الظاهرة .

xxx

فالأحلام ـ حسب المدرسة الحديثة سواء طبقا لفرويد أو يونج ـ تنبع من الداخل ، من اللاشعور أو العقل الباطن ، فى حين أن القدماء كانوا يتصورون ان الأحلام تأتى من الخارج ، فالحلم أشبه برسالة تبعث بها الآلهة أو الشياطين الى الحالم عن طريق أشباح تشترك فى تمثيل أحداث الحلم . وإذا استطاع الانسان أن يفسر رموز هذه التمثيلية فإنه يحصل على فحوى الرسالة أو المعلومات التى أرادت القوى الخارجية إرسالها اليه .

الإغريق ، مثلا ، كانوا يتصورون أن آلهتهم لاهم لها سوى مراقبة البشر والعبث بهم ، وكثيرا ما كانت هذه الآلهة تستخدم الأحلام للتدخل فى شئون البشر سواء بالخير أو الشر . فنقرأ فى « الألياذة » التى وضعها الشاعر هوميروس ان زيوس كبير الآلهة أراد أن يعاقب الملك أغاممنون على أخطاء إرتكبها فأرسل إليه حلما زائفا يحرضه على غزو طروادة ويؤكد له ان الوقت قد حان لهذا الغزو لأن كل الآلهة متحدون فى جانبه ويمكنه أن يثق فى النصر .

وإستيقظ أغاممنون وهو أشد ما يكون ثقة فى امكان الاستيلاء على طروادة بيسر ، وجمع مجلسه الحربى حيث أطلع مستشاريه على الحلم ، فأيدوه جميعا ، وهكذا بدأت حرب طروادة التى ثبت أنها على عكس ما يوحى به الحلم كانت حربا طويلة مدمرة تدخلت فيها الآلهة ـ حسب ما تقول الملحمة ـ مرارا الى هذا الجانب أو ذاك لتزيد من إشتعال الحرب ومرارة العدوان .

ومنذ البدايات الأولى للحضارة البشرية اعتبرت الأحلام عظيمة الأهمية فنجد مثلا ملحمة جلجاميش التى وضعت فى بابل منذ ٤٠٠٠ سنة مليئة بالأحلام والكوابيس التى تؤثر على سير الأحداث وتتراءى فى هذه الأحلام الشخصيات الأسطورية والحيوانات الخرافية التى لا تتوقف عن بعث الرسائل الى جلجاميش وصديقه أنكيدو .

فالقدماء كالمحدثين أدركوا أهمية الأحلام واعتبروا أنها تحمل معلومات أو رسالة ما بالرغم من إختلاف مصدر هذه الرسالة بين الفريقين ، وزاد القدماء على ذلك أن الأحلام تحمل تنبؤا بالمستقبل وان التفسير الصحيح للحلم يمكن أن يؤثر فى مجرى التاريخ .

وأبرز مثال علي ذلك حلم يوسف الصديق الذى تنبأ له بطريقة رمزية بإرتفاع شأوه ارتفاعاً عظيما ، حيث شاهد الشمس والقمر والنجوم ساجدات له ، وقد تحقق ذلك بالفعل بالرغم من الظروف العصيبة التى تعرض لها . كما برع يوسف فى تفسير الأحلام داخل السجن مما لفت إليه انتباه الملك فدعاه الى تفسير حلمه الغريب المخيف الذى فشل فى تفسيره مستشارو الملك وسحرته ، وفى هذا الحلم شاهد الملك سبع بقرات سمان تفتك بهن سبع بقرات عجاف ، كما شاهد سبع سنابل عجفاء من القمح تحل محل سبع سنابل مليئة نضرة ، وفسر يوسف الحلم بأن البلاد ستشهد سبع سنوات من الرخاء تعقبها سبع سنوات من المجاعة ، وأوصى بأن يخزن القمح فى سنوات الرخاء ليكون زادا فى سنوات الشدة والقحط ، وبذلك استطاع المصريون أن يتجنبوا المجاعة التى حدثت كما تنبأ يوسف بالضبط .

ومعظم سجلات الأحلام فى العالم القديم تتكون أساساً من أحلام حدثت للملوك ، ربما إعتقادا من القدماء بأن الآلهة أكثر استعدادا للاتصال بالملوك لا البشر العاديين ، فنقرأ مثلا عن حلم رآه الملك خوفو ـ أحد ملوك الأسرة الرابعة فى مصر ـ دعاه الى بناء الهرم الأكبر . وحلم رآه الملك نبوخذ نصر ـ أحد ملوك بابل فى القرن السادس قبل الميلاد ـ تنبأ بزوال ملك نبوخذ نصر وجنونه فى أواخر حياته . وأحلام كثيرة لملوك آخرين أوحت إليهم بأن ملكهم مهدد بالخطر نتيجة لميلاد طفل معين فحاولوا عبثا قتل جميع الأطفال من هذا المصير .

xxx

وإذا كنا نعزو الى فرويد فضل إكتشاف وحود علاقة بين الأحلام وبين الصحة النفسية والجسدية للإنسان ، فإن هذا الفضل ليس جديدا إذ إكتشف القدماء هذه العلاقة منذ الحضارات الأولى لمصر وبابل وبلاد الاغريق ، فكانت تقوم فى شتى أنحاء العالم القديم معابد للشفاء عن طريق الأحلام ، ففى مصر كانت معابد امحوتب وفى بلاد الاغريق معابد اسكلبيوس مخصصة لهذا الغرض ، إذ يقيم فيها المريض عدة أيام يمتنع خلالها عن أكل اللحوم والخمر والاتصال الجنسى مع اداء صلوات معينة والخضوع لنظام صارم تحت اشراف الكهنة . وفى النهاية يحلم المريض بإلة الشفاء يتراءى له فى المنام فيبرئه

من مرضه على الفور أو يصف له دواء معينا . وكانت مثل هذه المعابد منتشرة بالمئات فى مختلف الأنحاء وهى أشبه بالعيادات الطبية الآن ، إذ كان الطب يزاول خلالها ممتزجاً بالايحاء النفسى الشديد .

ويقال ان الطبيب الاغريقى جالينوس الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى تلقى نصيحة فى الجراحة أثناء الحلم ، إذ حلم مرتين أنه إذا قطع الشريان الواصل بين السبابة والابهام فإن ذلك يشفى الألم فى منطقة الكبد ، وأجرى جالينوس هذه الجراحة بنجاح على مرضى الكبد فشفوا من آلامهم ، وكان جالينوس يقول انه لا فضل له فى إختراع هذه الطريقة وإنما أوحت بها إليه الآلهة فى الحلم ، وإذا كان جالينوس قد عاش فى العصر الحديث لعلم ان هذه المعلومة أوحى بها إليه عقله الباطن أثناء الحلم كما حدث لكثيرين من العلماء والأدباء والأطباء المحدثين الذين توصلوا الى إكتشافاتهم الباهرة أثناء النوم حيث يعمل العقل الباطن بنشاط فى حل المعضلات التى يعجز عنها العقل الواعى أثناء اليقظة ، وستكون لنا عودة الى هذه النقطة فيما بعد .

xxx

أما الفيلسوف الاغريقى أرسطو الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد فقد رفض نظرية أن الأحلام لها أية دلالة دينية أو فلكية أو خارقة للمألوف وقبل فقط ان الأحلام قد تكون لها علاقة بالحالة الصحية ، وذلك لإعتقاده أن الذهن فى حالة النوم لا يتأثر بالمؤثرات الخارجية ويكون أكثر تركيزا عل الأحاسيس الداخلية ، وسخر من فكرة أن الأحلام ذات طبيعة مقدسة لأنها من وحى الآلهة مشيرا الى أن الحيوانات أيضا تعرف الأحلام أثناء النوم ، ويعد أرسطو هو واضع الأساس الفكرى للحضارة العقلية العلمانية للغرب الحديث ، أما أستاذه أفلاطون فقد إختلف معه حول نظرته الى الأحلام ، وقال ان بعض الأحلام على الأقل ذات طبيعة مقدسة ، ومع ذلك فقد وضع افلاطون نظرية أن بعض الجوانب المكبوتة فى الشخصية تظهر فى الأحلام ، وبذلك سبق فرويد فى هذا لقول بأكثر من ٢٣٠٠ سنة . وهناك عبارة شهيرة كتبها أفلاطون فى محاورته ، « الجمهورية » تقول أنه حتى أحسن الرجال توجد فى أعماقهم طبيعة متوحشة خارجة على القانون وهى تظهر أثناء النوم . . هذه العبارة يمكن أن نتصور وجودها بنصها فى كتاب فرويد « تفسير الأحلام . » .

وهناك متنبىء رومانى يدعى ارتميدورس عاش فى القرن الثانى الميلادى قام بسفريات واسعة زار خلالها معابد العلاج بالأحلام ، وإلتقى بمفسرى الأحلام ، وجمع المخطوطات القديمة التى تتحدث عن تفسير الأحلام وكل المعلومات المتعلقة بالموضوع فى زمنه ، ووضع من كل ذلك كتابا ضخما أسماه « أونيركريتيكا » أى « تفسير الأحلام » قدم فيه تبويبا وتفسيرا للأحلام يتفق الى حد كبير مع الأفكار الحديثة ، فقد قسم ارتميدورس الأحلام الى خمسة أنواع : الرمزية (مثل حلم فرعون بالبقرات وسنابل القمح) و التنبؤية (إلهام مقدس) والخيالية (تحقيق رغبات) والكوابيس والأحلام العادية المتأثرة بأحداث اليوم . كما فرق بين الأحلام التى توحى بها ظروف فسيولوجية أو تكون نتيجة لمشاغل الحياة ، وبين الرؤى ذات الطبيعة الرمزية العميقة والتى توحى بأحداث المستقبل . وقد وضع يونج فيما بعد تفرقة مشابهة بين الأحلام العادية والأحلام العظيمة .

وكان تفسير الأحلام قبل ارتميدورس يعتمد على تفسير رموز معينة تفسيرا آليا ، فكل رمز له معنى محدد بغض النظر عن شخصية الحالم أو ظروفه ، ولكن ارتميدورس قال ان هذا التفسير الآلى لا قيمة له ويجب أن يفسر الحلم فى ضوء شخصية الحالم وظروفه فى الحياة . وهذا المدخل يقترب كثيرا من طريقة التحليل النفسى الحديثة فى تفسير الأحلام .

×××

ومن المبادىء القديمة فى تفسير الأحلام التى قال بها ارتميدورس ان الحلم يفسر بعكسه ، فالحلم بوفاة أخ يعنى إختفاء عدو أو التغلب على ظروف صعبة ، والحلم بالمرض يعنى الصحة والحياة الطويلة ، والحلم بالكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات يفسر بتغير الظروف الى الأحسن .

وهذا الاعتقاد فى أن الحلم يعنى عكسه لا نجده فى معظم الكتب القديمة فحسب وانما هو شائع الى الآن فى الدراسات الانثربولوجية الحديثة ، وفى عام ١٩٢٦ قام الباحثان الأنثربولوجيان هدجسون وروز بدراسة عن تفسير الأحلام فى إحدى القبائل الأفريقية فى نياسالاند ووجدا أن فكرة المعنى العكسى للحلم ليست سوى واحدة من المشابهات الكثيرة بين أفكار هذه القبيلة وأفكار

ارتميدورس حول رموز الأحلام . فمثلا يقول ارتميدورس ان الحلم بنار فى السماء معناه المجاعة أو الحرب وكذلك الأفريقيون يعتقدون ان النار فى الحلم تعنى الحرب ، ويقول ارتميدورس ان الحلم بفقد سن معناه موت أحد أعضاء الأسرة وكذلك يفسر الأفريقيون نفس الحلم بفقدان زوجة أو ولد ، والحلم بالفيضان لدى ارتميدورس يدل على خسارة قضية أو سوء معاملة الرؤساء وله إيضا نفس المعنى لدى الأفريقيين .

ان مثل هذه المشابهات تدل على أن الذهن البشرى فى مختلف العصور والثقافات يفرز تلقائيا نفس الرموز والأفكار تعبيرا عن نفس التجارب العميقة ونفس المخاوف والرغبات . ان كتب تفسير الأحلام القديمة لدى الهنود والعرب والصينيين واليابانيين تؤيد هذه النتيجة ، كما تدل على أن شعوب مختلف الحضارات قدرت تجربة الأحلام تقديرا كبيرا ، وحارت فى أمرها كثيرا ، وإعتبرتها مفتاحاً لحقائق عميقة فى الحياة البشرية .

الأحلام فى معامل العلماء

أثبتت الأبحاث الحديثة على النوم ان الإنسان فى حاجة الى قدر معين من الأحلام كل يوم كى يحتفظ بتوازنه الصحى والنفسى . وان كل انسان بلا استثناء يحلم بانتظام ، والذين يقولون انهم لا يحلمون مخطئون ، كل ما فى الأمر أنهم لا يتذكرون أحلامهم .

وقد دخلت الأبحاث على الأحلام مجال التجارب المعملية حديثا ، ففى عام ١٩٥٣ لاحظ بعض العلماء فى جامعة شيكاغو الأمريكية أن النائم يحرك أثناء الحلم عينيه حركة سريعة تحت جفونه ، فإخترعوا جهازا إكترونيا دقيقا يسجل هذه الحركة السريعة التى تقوم بها العينان أثناء الحلم ، ويترجمها الى ذبذبات على الورق على النحو المتبع فى تسجيل ضربات القلب . وهذا الجهاز يتصل بأسلاك تثبت فى رأس النائم وتنقل النبضات الكهربائية للمخ ، وقد لوحظ ان هذه النضبات تختلف أثناء حركة العينين ـ أى أثناء الحلم ـ عنها أثناء النوم العادى .

ودلت الأبحاث على أن هناك مالا يقل عن أربع مراحل للنوم تتدرج ما بين النوم العميق والنوم الخفيف ، فالمرحلة الأولى هى أخف مرحلة وهى التى تجاور اليقظة مباشرة سواء فى بداية النوم أو عند نهايته ، وتليها المرحلة الثانية وهى أكثر عمقا منها ، ثم المرحلة الثالثة وهى أعمق بدورها من الثانية وأخيرا المرحلة الرابعة وهى أعمق مراحل النوم .

وعادة ما يصل النائم الى المرحلة الرابعة ـ أى النوم الشديد العمق ـ بعد ١٥ دقيقة من إغلاق عينيه ، ويستمر فى هذه المرحلة مدة ٨٠ أو ٩٠ دقيقة ، ثم يبدأ العودة خلال المراحل الثلاث الأخرى ٣ ثم ٢ ثم ١ ، وفى هذه المرحلة

الأولى ـ رقم ١ ـ تحدث الأحلام إذ تدل عليها حركة العينين تحت الجفون ، وتستمر هذه المرحلة مدة ١٠ دقائق ثم يأخذ النائم يغوص فى أعماق النوم مرة أخرى حتى يبلغ المرحلة الرابعة . وعادة ما تتكرر عملية الهبوط والصعود عبر هذه المرحلة أربع أو خمس مرات أثناء الليل أى خلال مدة نوم تستمر سبع ساعات ، وفى كل مرة تأخذ فترة النوم العميق ـ المرحلة ٤ ـ تقل وفترات النوم الخفيف تزداد الى أن يقترب الصباح ، فتطول المرحلة رقم ١ التى تسبق اليقظة وهى التى يتذكر النائم احلامها بوضوح . أما أحلام المراحل الأولى السابقة فعادة ما ينساها النائم بسبب فترات النوم العميق التى تتلوها .

هذه بالتبسيط هى خريطة النوم والاحلام كما سجلتها الأجهزة المعملية الحديثة التى تقيس نبضات المخ أثناء النوم .

فائدة الأحلام

لاحظ الباحثون أنه إذا أوقظ النائم أثناء إختلاج العينين ـ أى خلال المرحلة الأولى فإنه يتذكر حتما انه كان يحلم . فإذا حرم النائم من الأحلام خلال عدة ليال متعاقبة بأن يتم إيقاظه كلما بدأ إختلاج العينين أو كلما سجل جهاز نبضات المخ ذبذبات المرحلة الأولى ، فإن هذا الشخص يحاول أن يعوض ما فاته من الأحلام بأن يبقى فى المرحلة الأولى أو الثانية أكبر مدة ممكنة ولا يغوص الى المرحلة الرابعة التى تمتنع فيها الأحلام ، ومثل هذا الشخص إذا ظل يحرم من فرصة الحلم نهائيا عدة أيام متعاقبة فإن سلوكه أثناء اليقظة يتأثر بشدة ، فيبدو عليه أثناء اليوم التعب والتوتر وفقدان الذاكرة وعدم القدرة على التركيز مما يوضح أن الأحلام تلعب دورا أساسيا فى الصحة النفسية والبدنية للإنسان . والنوم وحده ـ بدون أحلام ـ غير كاف للحصول على الراحة التامة .

قبل أن يدخل النائم مرحلة إختلاج العينين يميل الى التقلب فى فراشه ، فإذا دخل هذه المرحلة سكنت حركة جسمه وتراخت عضلاته ، كما لو كان قد إستقر فى كرسى مريح داخل المسرح لمشاهدة العرض ، ولكن بالرغم من استرخاء الحالم عل هذا النحو فقد لوحظ أن بعض العضلات تبدى نشاطا خفيفا ، وهذا النشاط غالبا ما يكون متصلا بأحداث الحلم ، ففى أحدى الحالات ، مثلا ، سجلت الأجهزة نبضات كهربية فى الذراع اليمنى للشخص محل التجربة ، ثم فى الذراع اليسرى ، وأخيرا فى الرجلين . وعندما أوقظ هذا الشخص قال أنه كان يحلم بأنه رفع دلوا بيده اليمنى ثم نقله الى يده اليسرى ثم بدأ فى المشى ، وفى حالات أخرى قال الأشخاص محل التجربة أنهم كانوا يسمعون شيئا أثناء الحلم ، وسجلت الأجهزة بالفعل نشاطا كهربيا فى عضلات الأذن الداخلية أثناء نومهم .

وفى سلسلة أخرى من التجارب تبين أن حركات عين النائم تتأثر بالصور التى يراها فى الحلم ، فإذا كانت حركات العين أفقية فإن الحالم يكون فى ذلك الوقت ينقل ناظريه بين شخصين يراهما فى الحلم فإذا كانت حركة العين رأسية يكون الحالم مثلا يحلم بأنه يصعد أو ينزل على سلم ، وهذا يدل على أن المخ لا يفرق بين الصور المتخيلة فى الأحلام والصورة الحقيقية التى يراها فى اليقظة ، فنحن (نرى) أحداث الحلم تماما كما نرى أحداث اليقظة بإستخدام حاسة النظر الداخلية ، وكذلك فإننا نستخدم الحواس الداخلية الأخرى فى السمع واللمس وأحيانا الذوق أثناء أحلامنا ، ولكن بالرغم من أن المخ يستجيب للمعلومات القادمة من الأحلام كما يستجيب لتلك القادمة من العالم الحقيقى إلا أن رد فعله لا يكون واحدا فى الحالين ، فهو فى الأحلام لا يأمر الأعضاء بالتصرف كما لو كان هناك جهاز داخلى فيه يقول له « هذا مجرد حلم فلا داعى لإتخاذ إجراء » ولكن هذا الجهاز لا يعمل بإنتظام دائما ، انه يفشل أحيانا فى منع ردود الأفعال ، وفى مثل هذه الحالات يتقلب الحالم ويحرك أعضاءه بل وأحيانا يتكلم ويمشى أثناء النوم .

الأحلام الشفافة

أن تجربة الأحلام غالبا ما تدعو الناس ذوى الأذهان الفلسفية الى التساؤل : ما هى الحقيقة ؟ ألا يحتمل أن يكون العالم الذى نسميه حقيقيا هو نوع من الحلم ؟ ألا يبدو حقيقيا فقط لأن أغلبية الناس تتفق على ذلك ؟ !

كتب فيلسوف صينى يدعى شوانج ـ تزو عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد يقول : « ذات ليلة حلمت انى فراشة تطير هنا وتخفق هناك سعيدة لكونها فراشة . . ثم إستيقظت وعدت مرة أخرى شوانج ـ تزو ، ولكن من أنا فى الحقيقة ؟ فراشة تحلم أنها شوانج ـ تزو ، أم شوانج ـ تزو يحلم أنه فراشة ؟

هذا التساؤل من الفيلسوف الصينى يلفت الأذهان الى نوع معين من الأحلام أدهش بعض الباحثين المحدثين وأسموه بالأحلام الشفافة ، فى مثل هذه الأحلام يشعر الشخص أنه يحلم بالفعل ، ويبدو له الحلم حيا دقيقا كما لو كان فى عالم اليقظة كل ما فى الأمر أنه يحوى عنصرا غريبا يجعل الحالم يتحقق من أنه يحلم ، كأن يشاهد فى حلمه مثلا طائرا يخترق حائط ، فيقول فى نفسه هذا لا يحدث فى الحياة الواقعية لا بد أننى أحلم .

والصورة العكسية موجودة فى الحياة أيضا ، فكثيرا ما تصدمنا أو تدهشنا أشياء حالة يقظتنا فنقول فى أنفسنا « هل هذا حلم أم علم » وأحيانا يقرص الإنسان نفسه ليتأكد من أنه لا يحلم .

وقد تخصصت الباحثة البريطانية سيليا جرين من معهد الأبحاث النفسية بجامعة اوكسفورد بإنجلترا فى دراسة هذا النوع من الأحلام ، ووضعت كتابا اسمته ، « الأحلام الشفافة » وهذه الأحلام ـ كما تقول الباحثة ـ تختلف عن الأحلام العادية فى أنها واقعية الى حد كبير وليست رمزية أولا معقولة ، وفى « الحلم الشفاف » يشعر الحالم أنه يحلم بالفعل ويستطيع أن يسيطر الى حد معين على تطور الحلم بل وأن يضعه موضع التجربة ، كما قد يحتفظ أثناء الحلم بكل ذكرياته وتصرفاته التى يملكها فى حالة اليقظة العادية .

وكثيرا ما يسبق « الحلم الشفاف » يقظة زائفة تؤدى الى الخلط بين عالمى الحلم والحقيقة ، وفى المثال التالى أبدى الحلم شجاعة فائقة فى إختبار إعتقاده أنه يحلم ، قال صاحب التجربة - التى أوردتها الباحثة سيليا جرين - أنه حلم انه إستيقظ هو وزوجته من النوم وإرتديا ملابسهما وأخذا يباشران حياتهما الواقعية كالمعتاد ولكن عندما فتحا شباك غرفة النوم إكتشفا شيئا غريبا . . إذ إختفى صفان من المنازل أمام منزلهما ، وظهرت مكانهما حقول خضراء ، فقال لزوجته : هذا يعنى أننا نحلم رغم أن كل شيء حولنا يبدو حقيقيا كاليقظة تماما ، فإن هذه البيوت لا يمكن أن تختفى فى ليلة واحدة وتظهر مكانها حقول مزروعة ! » وبالرغم من أن زوجتى أبدت دهشتها الشديدة إلا اننى لم أستطع أن أقنعها بأن ما نشاهده ما هو إلا حلم فقلت لها : حسنا سوف أثبت لك أنه حلم . . اننى سأقفز من الشباك وسوف ترين أننى لن أصاب بسوء ! وبالرغم من إعتراضات زوجتى وتوسلاتها لى بأن لا أفعل ، فتحت الشباك على مصراعيه ووقفت على افريزه ثم قفزت منه حيث هبطت بهدوء وبطء الى الشارع ، وعندما لامست قدمى الرصيف إستيقظت من النوم !

ومن المهم هنا أن نلاحظ ان المنظر خارج الشباك بدا للحالم غريبا لأنه يحتفظ من حالة اليقظة بذكرى ما يجب أن يكون عليه هذا المنظر فى الواقع كما أن حواسه تعمل كما لو كانت فى حالة اليقظة تماما ، فالحلم الشفاف يبدو واقعيا إلا فى جانب واحد منه ، وهذا الجانب يفطن له الحالم فيعرف أنه يحلم .

تجديد خلايا المخ

ان دورات النوم ذات الأحلام أى التى تصحبها حركة العين وغير ذات الأحلام أى العميقة التى تنتمى الى الدرجة الرابعة أو الثالثة تمر أيضا بالحيوان كالإنسان ، الأمر الذى دعا علماء النفس وعلماء الفسيولوجيا بل وعلماء الكومبيوتر الى الإجتهاد فى تقديم تفسيرات لطبيعة هذه الدورات ووظيفتها .

ومن أشهر النظريات فى هذا الصدد ان دورات النوم الخالية من الأحلام تساعد على نمو وتجديد خلايا الجسم فى حين أن دورات النوم ذات الأحلام تقوم بتجديد خلايا المخ بقول دكتور ايان أوزوالد من جامعة ادنبرة أنه أثناء

النوم الخالى من الأحلام أى فى المرحلتين الثالثة والرابعة تفرز غدد الجسم هرمونات النمو فى الدم وهى التى تقوم باصلاح وتجديد أنسجة الجسم . وقد لوحظ أن هذه العملية تتوقف فجأة بمجرد أن تبدأ دورة الأحلام ، وأكثر من ذلك فإن دورات الأحلام تزيد فى حالة المرضى الذين يتماثلون للشفاء بعد تناول كميات زائدة من العقاقير أو المخدرات وأيضا فى حالة الأطفال الذين يولدون قبل موعد الولادة الطبيعية وبالذات خلال الأسابيع التى تمر قبل هذا الموعد ، وهذا يوحى بأن عملية إصلاح المخ بالنسبة لمرضى المخدرات وعملية نمو المخ بالنسبة للأطفال المولودين قبل الميعاد تتمان خلال دورات النوم ذات الأحلام . ويؤكد ذلك مالوحظ من أن المرضى العقليين والمتقدمين فى السن الى درجة خرف الشيخوخة تقل لديهم جدا أو تنقطع دورات النوم ذات الأحلام وذلك نتيجة توقف الحاجة الى إصلاح خلايا المخ لديهم .

وهكذا فإن الأحلام تلعب دورا لا غنى عنه فى حفظ التوازن النفسى والذهنى ، ومن هنا كانت الامنيات بالأحلام السعيدة من أغلى الأمنيات التى يتمناها المرء لنفسه وأحبائه .

ولكن ماذا عن الأحلام الأخرى التى تمكن الحالم من تخطى حدود المكان أو الزمان ، أو تلك التى يحصل خلالها الحالم على معلومات لاتتاح له بالطرق العادية الأخرى ؟

أن لها حديثا آخر . . !

ألوان من الأحلام

عندما مات الشاعر الإيطالى الشهير دانتى تبين أن تحفته الشعرية الكبرى « الكوميديا الإلهية » ينقصها ١٣ نشيدا ختاميا فى الجزء الثالث والأخير « الفردوس » وبحث أصدقاؤه وأسرته عدة شهور عن الأناشيد الضائعة فى كل مكان دون أن يعثروا عليها ، فاعتقدوا أنه ربما يكون الشاعر قد مات قبل إتمام هذه الأناشيد الختامية وبذلك ترك تحفته الرائعة بلا خاتمة .

وكان لدانتى ابنان هما جاكوبو وبييرو ، وكانا إيضا شاعرين ولكن من طراز متواضع لا يقارن بمكانة أبيهما الرفيعة فطلب منهما الأصدقاء أن يحاولا إتمام هذه الأجزاء الناقصة ، فليس هناك بد من ذلك حتى إذا جاءت المحاولة قاصرة ، فالكوميديا يجب أن تتم .

وذات ليلة بينما كان جاكوبو نائما جاءه فى المنام الشاعر بوكاشيو وحذره من أن يرتكب مثل هذه الحماقة ، فمن هو حتى يتم عمل أبيه العظيم ؟ وعلاوة على ذلك فإن هذه الأناشيد الثلاثة عشر قد كتبها دانتى بالفعل ، وانه سيريه مكانها .

وهب جاكابو من النوم وإندفع من فوره فى منتصف الليل الى منزل صديق قديم لإبيه يدعى بيير جاردينو وأبلغه أنه رأى فى المنام آن الأجزاء الناقصة موجودة فى حائط غرفة فى منزل قديم ، وإرتدى جاردينو ملابسه على الفور وقصد الأثنان الى المنزل المذكور فأيقظا صاحبه ـ وكان الوقت لايزال قبل الفجر ـ واصطحبهما الرجل الى الغرفة التى كان يقيم فيها دانتى أحيانا وهناك شاهد جاكوبو حصيرة على الحائط المشار إليه فى الحلم فأبعدها عن مكانها ،

وكان وراءها فجوة شباك صغير عثرا فى داخلها على مجموعة من الأوراق التى كادت تتآكل بفعل الرطوبة وعندما نظفت الأوراق تبين أنها الأناشيد الثلاثة عشرة الناقصة من الكوميديا الإلهية .

هذه الحادثة المعروفة فى التاريخ الأدبى تشير الى نوعية من الأحلام يمكن تسميتها بأحلام « الإستبصار » أو « الرؤية عن بعد » وفيها يحصل الحالم على معلومات كان من المستحيل أن يحصل عليها بطريقة أخرى . والمعروف ان الاستبصار نوع من « الإدراك خارج نطاق الحواس » أو ما يطلق عليه الحاسة السادسة ، وهو كما يحدث فى اليقظة يمكن أن يحدث أثناء النوم .

تليباثى الأحلام

وهناك خاصية أخرى من الإدراك خارج نطاق الحواس هى التخاطر بين ذهنين أو مايسمى « التليباثى » وهى قد تحدث أيضا أثناء النوم ، فيحلم شخصان نفس الحلم فى نفس الوقت ، كما لو كانا يشاركان فى حلم واحد ، ومثل هذه الأحلام « التليباثية » تحدث فى حالة وجود علاقة وثيقة بين الشخصين كالمحبة والقربى والصداقة القوية ، وإذا استطعنا تذكر الأحلام التى نرى فيها أشخاصا نعرفهم وسألنا هؤلاء الأشخاص عن أحلامهم سوف نجد كثيرا من هذه « الأحلام التليباثية » ولكن المشكلة أننا لا نتذكر معظم أحلامنا ، وإذا تذكرنا فإن الطرف الآخر لا يتذكر ، علاوة على أننا لا نجشم أنفسنا عناء سؤال الآخرين عن أحلامهم وهكذا تمضى الأحلام التليباثية أو اللقاءات فى الأحلام دون أن نفطن إليها .

وقد فطن بعض المحللين النفسانيين بصفة خاصة الى هذا النوع من الأحلام بطريق الصدفة ، إذ يحدث أن يحكى المريض لمحلله النفسانى حلما رآه فيه فيتذكر المحلل أنه رأى نفس الحلم أو شارك فيه .

وهناك قصة تحكى عن القديس المسيحى « أوجستين » تقول ان رجلا سأله حل بعض شكوكه الفلسفية ، فاستمهله أوجستين ورفض أن يجيبه على الفور ، وفى الليلة التالية بينما كان الرجل فى حالة يقظة تامة تراءى له أوجستين كأنه يدخل عليه ويجيبه على ما يحيره ثم إنصرف على الفور ، وفى اليوم التالى

ذهب الرجل الى الفيلسوف القديس ليشكره على مجيئه إليه ورده على أسئلته . فقال أوجستين : انني لم أحضر إليك كما تقول ولكنني فى الواقع حلمت أنني أؤدى لك هذه الخدمة !

ففى هذه الحالة هناك نوع من التخاطر المتبادل بين الفيلسوف الذى شعر أثناء الحلم أنه يذهب الى الرجل ، وبين الرجل الذى كان متيقظاً وحدثت له « رؤية تليباثية » خيل له فيها أنه يرى الفيلسوف وأنه يحدثه .

الأحلام والالهام

وكثيرا ما تكون الأحلام مصدر إلهام للعلماء والأدباء والمفكرين . وكم من المعضلات العلمية والفلسفية والرياضية حلت عن طريق الإلهام فى الأحلام .

فقد كان الروائى الإنجليزى تشارلس ديكنز يحلم بشخصيات وعقد رواياته الشهيرة ، ولا يكون عليه فى الصباح سوى أن يكتب الحلم الذى رآه فإذا هو فصل من فصول الرواية التى يضطلع بتأليفها .

ويخبرنا العالم الرياضى العظيم اينشتاين بأنه كان يعتمد على الحدس فى معادلاته الرياضية وأنه توصل الى كثير من هذه المعادلات اثناء نومه عن طريق الأحلام .

ويقول سير فريدريك جرانت بانتنج مكتشف الانسولين أنه فشل مرارا فى تجاربه على إستخلاص الانسولين اللازم لعلاج مرض السكر ، وأخيرا سمع هاتفا فى المنام يبلغه أن يستخلص الانسولين بطريقة معينة ، فدون هذه الطريقة على الفور وهو بين اليقظة والنوم ، وفى الصباح قرأ ما كتبه فى المذكرة الى جانب فراشه فإذا هو نصه « اربط قناة البنكرياس فى الكلب ثم انتظر ستة أسابيع الى ثمانية حتى تضمر ثم استأصل باقيها واصنع منه خلاصته » وأجرى سير بانتنج تجاربه على هذا الأساس حتى نجح فى إستخلاص الانسولين ، وحصل على جائزة نوبل على هذا الإكتشاف الهام .

هذه الإلهامات التى تأتى فى الأحلام مصدرها العقل الباطن أو اللاشعور . فهذه المنطقة الهامة من ذهننا التى توصف بأنها تشبه الجزء المغمور من جبل

الجليد الطافى وتبلغ تسعة أعشار الجبل بأكمله بينما العقل الواعى هو العشر الظاهر فقط . . هذه المنطقة تضج بالذكاء والعمل وليست لا واعية أو لا شعورية كما نسميها عادة ، انها كذلك بالنسبة للعقل الواعى فقط ، ولكنها فى الواقع أكثر وعيا منه وأكثر حضورا وذكاء ، وفيها أرشيف الذاكرة وخلاصة التجارب التى مرت بنا بل وبالجنس البشرى كله ، انها أشبه بجهاز كومبيوتر هائل قادر على حل أعقد المسائل والمعضلات فى لحظات ، وهذه الحلول يبعث بها العقل الباطن الى منطقة الشعور أثناء الأحلام وأحيانا فى لحظات التأمل الصافى ، وهى ما نسميها بالحدس أو الإلهام .

الحلم بالمستقبل

إذا كانت بعض الأحلام التى تبدو الهامية أو تنبؤية عبارة عن رسائل يبعث بها العقل الباطن ، فإن هناك أحلاما أخرى تتنبأ بأحداث تقع فى المستقبل ولا علاقة لها بذكريات العقل الباطن وعملياته الحسابية .

من هذا النوع ما يحدثنا به القرآن الكريم عن صاحبى يوسف فى السجن . . **« ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين » [يوسف : ٣٦]**

وجاء تفسير يوسف للحلمين . . **« ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » [يوسف : ٤١]**

ويدخل فى هذا الباب أيضا حلم الملك عن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات وهو الحلم الذى فسره يوسف الصديق بمقدم المجاعة وكيف يمكن مواجهتها .

وتنبأ الرئيس الأمريكى ابراهام لنكولن بمصرعه فى حلم أنه قبل الحادث بأيام ، إذ حلم أنه دخل الغرفة الشرقية فى البيت الأبيض فشاهد نعشا قد ثوى فيه جسد فسأل عما يكون الميت فأخبروه أنه ابراهام لنكولن وأنه أصيب فى صدره بالرصاص . وقد قص لنكولن هذا الحلم على المقربين منه عند يقظته ،

وبعد أيام أغتيل لنكولن بالرصاص ووضع جسده فى نعش داخل الغرفة الشرقية بالبيض الأبيض !

وشاهد الكاتب الأمريكى مارك توين حلماً مشابهاً عن أخيه . إذا حلم أن أخاه الذى يعمل على سفينة قد مات فى حادث بحر ووضع جسده فى تابوت حمل على كرسيين داخل غرفة خالية وكان على صدره اكليل من الزهر الأصفر فى وسطه وردة حمراء ، وفى اليوم التالى غرقت سفينة أخيه وعلم مارك توين لارتياحه أن أخاه ليس بين الغرقى وإنما أصيب فقط ونقل الى المستشفى وقصد مارك توين الى المستشفى حيث لازم أخاه الجريح ستة أيام ليلا ونهاراً حتى هده التعب ولكن أخاه مات فى اليوم السابع ونام مارك توين من شدة التعب عدة ساعات متوالية وعندما إستيقظ اصطحبوه الى غرفة خالية فى المستشفى حيث شاهد نعش أخيه محمولا عل كرسيين ، نفس المنظر الذى رآه فى الحلم فيما عدا الورد ، وبينما هو يفكر فى ذلك أقبلت ممرضة تحمل باقة من الزهور الصفراء فى وسطها وردة حمراء كبيرة ووضعتها فوق النعش ، وبذلك تحقق الحلم بكل تفاصيله !

وأغلب أحلام التنبؤ بالمستقبل تدور حول الموت والكوارث ولكن ربما كان ذلك بسبب انها تعلق فى الذهن أكثر من غيرها ، فالاحلام تدل على أشياء كثيرة أخرى تحدث فى المستقبل ، وهذه الحقيقة لم يعد من الممكن رفضها لفرط تكرارها وشمولها ، حتى إذا حار العلم فى تفسيرها .

ومن الطريف أنه انشىء فى لندن عام ١٩٦٧ ما يسمى بمكتب التنبؤات البريطانى ، وانشىء نظير له فى نيويورك فى العام التالى ، ومهمة هذين الجهازين تحليل الأحلام التى يحلم بها المواطنون عن وقوع كوارث عامة لمحاولة تجنبها ان أمكن . وكان السبب فى ذلك ما تبينه علماء النفس فى بريطانيا من أن كثيرين جدا حلموا بكارثة ايبرڤان قبل وقوعها ، وايبرڤان قرية تعدين فى ويلز تقع عند سفح جبل يستخرج منه الفحم ، وحدث يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٦ ان إنهار جبل من الفحم يقدر بنصف مليون طن فوق القرية فدفن عدة منازل ومدرسة أطفال ومات فى الحادث ١٤٠ شخصا معظمهم من الأطفال ، وقد حلم كثيرون قبل الحادث داخل ايبرڤان وخارجها بهذا الإنهيار الذى رآه

البعض فى أحلامهم فى صورة خيول سوداء تكتسح القرية ، قادمة من الجبل ، ورآه آخرون فى صورة سحابة سوداء تظلل القرية ، بل ان إحدى الأطفال التى ماتت فى الحادث أبلغت أمها قبل ذهابها الى المدرسة المشئومة فى الصباح بأنها حلمت أن جبل الفحم قد إنهار على المدرسة وأنها ماتت نتيجة لذلك !

ان عالم الأحلام أكثر أهمية وغرابة مما نتصور ، ولم يعد من المقبول أن تفسر ظاهرة الأحلام على أساس علم النفس وحده ، بل يفسرها فى الغالب علم الروح .

فماذا يقول علم الروح والأبحاث النفسانية الروحية الحديثة (الباراسيكلوجى) عن ظاهرة الأحلام ؟

الأحلام وعالم الروح

قرر عالم نفسى أمريكى يدعى كالفين هول أن يقوم بدراسة حديثة شاملة عن الأحلام لا يعتمد فيها على أى من النظريات السائدة وإنما ينطلق فقط من استقراء الظاهرة وتحليلها . . أى أن يستقصى أو يحصى مختلف أنواع الأحلام التى يمكن أن تطوف فى أذهان الحالمين ثم يحللها ويستنبط منها المبادىء العامة التى تحكم مختلف أنواع الأحلام وتفسرها .

وكما لم يقيد كالفين هول نفسه بالنظريات المعروفة عن الأحلام فى علم النفس التقليدى كذلك لم يشأ أن يعتمد على نماذج الأحلام التى ترد فى كتب علم النفس وأبحاث المحللين النفسانيين ، لأن هذه النماذج فى رأيه مختارة بدقة ، وأحيانا مشوهة عمدا ، كى تناسب النظرية التى يريد أن يثبتها عالم النفس أو المحلل النفسانى ، ولذلك قرر كالفين هول أن يقوم بنفسه بجمع وتحليل عينات من أحلام الناس العاديين وليس المرضى النفسانيين فقط .

وخلال عشر سنوات تجمع لدى كالفين هول ١٠ آلاف حلم قام بتبويبها ، وتحليلها ، وأورد نتائج أبحاثه فى كتاب جعل عنوانه « معنى الأحلام » وقد صدر هذا الكتاب فى عام ١٩٥٣ ، ويعد أكبر وأحدث مرجع علمى فى موضوعه منذ صدور كتاب فرويد « تفسير الأحلام » فى عام ١٩٠٠

فما هى خلاصة أبحاث هول حول ظاهرة الأحلام ؟

وجد كالفين هول أن معظم الأحلام تتعلق بالحياة اليومية للشخص الحالم وما فيها من مواقف ومشاكل ورغبات ، وهذا النوع من الأحلام لا يتطلب نظرية خاصة لتفسيره بل يمكن لأى إنسان أن يفسر أحلامه بنفسه ، أو فى الواقع لا يمكن لغير الحالم نفسه أن يفسر أحلامه ، فالحلم كما يقول هول « عبارة عن وثيقة شخصية أو خطاب يرسله الحالم لنفسه ومعنى الحلم لا يوجد فى أى نظرية عن الأحلام وإنما يوجد فى الحلم ذاته » .

ويعتقد هول أن الأحلام تمدنا بمعلومات مفيدة عن أنفسنا وعن الآخرين وتساعدنا على إدراك موقفنا فى الحياة وهذه المعلومات الثمينة لا نستطيع أن نستمدها من العقل الواعى الذى يعمل أثناء اليقظة لأننا حال يقظتنا نكون مشغولين جداً عن أنفسنا كما أننا نفكر عن طريق قوالب مجردة نسميها باللغة ، وهذه الطريقة فى التفكير تشوه « الحقيقة » أو تخفيها بدلا من أن تجلوها ، أما الأحلام وهى لغة العقل الباطن فهى صور أصيلة لحالة الذهن . وكما يستطيع أى إنسان أن ينظر الى لوحة ما ويقول ماذا تعنى ، فانه يستطيع ايضا ان ينظر الى صور احلامه ويقول ماذا تعنى ولكن كما أن القدره على فهم اللوحة تتطلب قدرا من المعرفة بالمبادىء التى تحكم التكوين والمهارة واللون والهارمونى والرمز ، كذلك فإن القدرة على تفسير الحلم تتطلب المعرفة ببعض المبادىء التى تحكم ظاهرة الأحلام ، وهذه المبادىء إرشادية فحسب وليست من قبيل النظريات الجامدة التى نجدها فى كتب علم النفس وتفسير الأحلام ، إنها مجرد خطة عمل أو مرشد يساعدنا على تلمس طريقنا وسط هذه الغابة من فوضى المعلومات .

ولكن دراسة كولين هول على حداثتها وشمولها تقف عاجزة عن تفسير معنى أحلام أخرى تبدو مختلفة تماما عن هذا النوع العادى . فهى أحلام أو رؤى لا تتعلق بأحداث الحياة اليومية وليست صورة ذهنية للحالم ، وإنما هى تتعلق بقدرات خاصة كالتخاطر والجلاء البصرى والطرح الروحى أى النفاذ من حيز المكان والزمان وما يتصل بذلك من تجارب ومشاهدات وتنبؤ بالمستقبل

هذا النوع من الأحلام الذى يعجز علم النفس التقليدى (السيكلوجى) عن تفسيره يجد تفسيره المنطقى فى علم الروح الحديث .

× × ×

يقول علم الروح الحديث ان الانسان يتكون من روح وجسد ، أو من جسم كوكبى أو أثيرى وجسم مادى أو فيزيقى ، وبين هذين الجسدين يمتد ما يعرف بالحبل الأثيرى الذى يربط بينهما فى وحدة واحدة . . وفى حالة النوم - كما فى بعض الحالات الأخرى - ينطلق الجسم الأثيرى خارج الجسد المادى

ويقوم بسياحاته الخاصة ولكنه يظل مرتبطا بالجسم المادى عن طريق الحبل الأثيرى . أما إذا انقطع هذا الحبل الأثيرى فلا يعود الجسدان الى الإتحاد ، بل ينطلق الجسم الأثيرى الى عالمه الخاص وتبدأ عوامل البلى تدب فى الجسم المادى أو الفيزيقى ، وهذه هى ظاهرة الموت .

ويرى العالم الروحانى الفرنسى دكتور جان فيليب كروزيه أن من الأحلام ما يعد بمثابة رؤى يراها الجسم الأثيرى أو الكوكبى فى جولاته فى العالم الأثيرى الذى ينتمى إليه ، فقد يلتقى خلال هذه الجولات مع أرواح أخرى تعرف عليها فى العالم المادى أو فى عالم الروح ، أو يرى مشاهد حقيقية قد تنتمى الى أحد العالمين ، أو يطلع على رؤية صحيحة عن المستقبل . . كما قد يستقبل الحالم أجساما أثيرية تنفذ إليه من الوسط الكوكبى سواء كانت أرواحا طيبة أو أرواحا شريرة تعبث به أو تسبب له الكوابيس .

وهناك أيضا من يعتقدون فى تناسخ الأرواح أو العودة الى التجسد مرة أخرى بعد الموت فى هيئة إنسان جديد ، وهى عقيدة واسعة الانتشار فى الشرق الأقصى والهند وبدأت تكسب أنصارا كثيرين لها فى أوروبا وأمريكا فى الوقت الحاضر . ويعتقد هؤلاء ان بعض الأحلام هى عبارة عن أحداث يتذكرها المرء من حيواته السابقة ، كأن يحلم بأنه شخص ذو نفوذ وسلطان ، ثم إذا به متسول يقف على باب دار ، أو مغامر يجتاز الأدغال ، أو بحار يجوب البحار ، وكل هذه صور نفذت الى عقله الباطن من حيواته السابقة . ويقال ان بعض الناس يتذكرون أحداث حيواتهم السابقة حتى أثناء اليقظة ولكن هذه الأحداث تكون أكثر وضوحا أثناء النوم حين يتخلص اللاشعور من قيود العقل الواعى .

xxx

ان مثل هذه التفسيرات لا يقرها بالطبع علم النفس التقليدى الذى يرى فى الإحلام مجرد تعبير عن الرغبات المكبوتة فى اللاشعور ، ولكن هذا الموقف الجامد بدأ يتداعى الآن أمام تقدم علوم الروح والباراسيكلوجى التى تفتح مجالات جديدة أمام العقل البشرى فى فهم حقائق الكون الغريب الذى نعيش فيه .

وليست هذه الحقائق مهما بلغت من غرابة بمثابة خوارق لقوانين الطبيعة ، فإنه لا يمكن خرق قوانين الطبيعة بأى حال ، كل ما فى الأمر - كما يقول الدكتور رءوف عبيد - ان بعض هذه القوانين يكمل بعضها البعض وأحيانا قد يعطل بعضها البعض ويبطل مفعوله متى توافرت الشروط المطلوبة لذلك فقانون الجاذبية مثلا قد يؤدى الى سقوط الطائرة على الأرض ولكن محرك الطائرة يعطل مفعول هذا القانون الى حين فيجعلها ترتفع فوق السحاب .

□ اسرار التنجيم :

- □ تأثير الكون
- □ أقدم العلوم واغمض العلوم
- □ كذب المنجمون وان صدقوا

تأثير الكون

فتن الإنسان من قديم الزمان بنجوم السماء . هذه النجوم اللامعة . . بلا عدد . . التى تعتلى قبة السماء كل ليلة ، وتلقى بسهامها الماسية من عليائها الى الأرض حيث تتلقاها عيون الإنسان . . إنسان الكهوف والحضارات الأولى ، فتخطف بصرة إليها ، وترغمه على التفكير فيها . . ترى ما هى هذه النجوم الغامضة الجميلة التى تتلألأ فى ظلال زرقاء وحمراء وصفراء وماسية ، من الذى صنعها ووضعها فى هذا المكان . . كيف ولماذا تتحرك وتتبادل مواقعها ، وماعلاقتها بالإنسان أو ماعلاقته بها ؟

وكما أدت مراقبة النجوم والافتتان بها الى نشأة الوجدان الدينى لدى الإنسان القديم ، فقد أدت كذلك الى نشأة التنجيم . . ذلك الفن الذى يبحث فى تأثير النجوم فى الإنسان والذى تطور فى العصور الحديثة الى علم الفلك . آمن هذا الإنسان بفطرته بأن النجوم تحدد مصائر البشر ، فما دامت أن هذه النجوم آلهة ، أو أرواح آلهة ، فلابد أن تؤثر فى مصير العباد ، وانه يستطيع بقراءة صفحة السماء أن يتنبأ بمصيره ومستقبله . . هل يمكن ذلك حقا ؟ انها مسألة لم يحسمها التاريخ ، فعلى طول العصور لم يخفض الانسان عينه من السماء وبلغ فن التنجيم شأوا رفيعا لدى الحضارات الأولى ، وبالذات فى أيام البابليين الذين علموا العالم كله فنون العرافة والتنجيم ، ولم يزل التنجيم يكتسب الأنصار حتى اليوم ، بل ربما يكون أنصاره اليوم أكثر بما لا يقاس من أنصاره فى أى وقت مضى .

فهل يمكن أن يكون للتنجيم مكان فى عالمنا العقلانى المعاصر ؟ ما هى حقيقة علاقتنا بالنجوم ؟ وهل التنجيم أصلا حقيقة أم زيف ؟

أنصـــار جـــدد

ان هذا الفن الذى إزدهر فى الماضى ، وحورب بشدة من العلم الحديث وألقى به فى دائرة الخرافة والدجل عاد فى القرن العشرين يفرض وجوده وسيطرته ، ان لم يكن على الدوائر العلمية بعد ، فعلى بلايين البشر فى الشرق والغرب !

وهناك حكومات ودول فى آسيا لا تزال تعترف رسميا بالتنجيم حتى الآن ، ومنها نيبال وبورما وسريلانكا وسيكيم ، ولا تزال حكومات هذه الدول تلجأ للمنجمين فى تحديد المناسبات الهامة كأيام التتويج ، وزواج الأمراء ، وتوقيع الاتفاقيات .

وقد كان جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند من أشد المؤمنين بالتنجيم رغم عقليته العلمية وأفقه الواسع ، ويقال أنه أصر عند مولد حفيده الأول عام ١٩٤٤ على إستدعاء المنجمين لقراءة طالع الوليد ، وأبلغه المنجمون بالحقيقة المرة . . ان الطفل سيموت فى شبابه فى حادث ، وكان أن مات سانجاى ابن أنديرا غاندى فى حادث طائرة !

وكان هتلر أيضا ، وهو زعيم واحدة من أرقى الدول الأوربية ، شديد الإيمان بالعرافة والتنجيم والتطير ، وسمح لهذه الخزعبلات التى يرفضها روح العصر ، أن تلعب دورا هاما فى كثير من القرارات الخطيرة فى السياسة والحرب .

وليس التنجيم فقط هو الذى يثير إهتمام الناس ، وإنما قراءة الطالع بوجه عام . يحكى عن العقاد أن قارىء كف هنديا شهيرا كان يزور مصر وذهب لزيارة العقاد فى بيته ، وهناك إلتف حوله ضيوف العقاد وتلاميذه وطلبوا منه قراءة خطوط أكفهم ، وأخذ قارىء الكف الهندى يقلب فى كفوف الحاضرين ويقول لكل منهم نبوءة أو كلاما ، حتى تقدم إليه شاب رياضى فى عنفوان صحته وشبابه وبسط أمامه راحة يدة ، ودقق العراف طويلا فى كف الرياضى الشاب ثم ارتج عليه القول وإمتنع عن الكلام ، ودهش الحاضرون وعلى

رأسهم الرياضى الشاب الذى قال يبدو أن كفى عسير عليك يامولانا ، ولولا انى على موعد عاجل يحتم علىّ الإنصراف فورا لاصررت على البقاء حتى تقرأ كفى .

وخرج الرياضى الشاب مهرولا . . وهنا قال المنجم للحاضرين : عجيب أمر كف هذا الشاب . . ان خطوطه تؤكد انه ميت الآن . . أنه كف ميت بالفعل !

ولم يكد الرجل ينتهى من كلامه حتى جاء الخبر المفجع بأن هذا الشاب لقى مصرعه حالا تحت عجلات سيارة أمام منزل العقاد !

وليس الشرقيون فقط الذين يؤمنون بالتنجيم وقراءة الطالع وغير ذلك من فنون استشراف الغيب ، بل ان الغربيين أصبحوا أشد إهتماماً بذلك الآن ، ولم يشهد العالم الغربى منذ القرن السابع عشر إهتماماً بالتنجيم والعرافة كالذى يشهده اليوم . وفى كل مدينة أو قرية أوربية أو أمريكية ينتشر المنجمون المحترفون بالعشرات والمئات بالاضافة الى آلاف غيرهم من الهواة ، وتنشر مئات الصحف والمجلات تنبؤات فلكية كل يوم يتابعها ملايين الناس حتى من لا يأخذ منهم إرشاداتها مأخذا جديا ، وأصبحت اسماء البروج والأفلاك من الكلمات الشائعة على كل لسان ، بل لاتجد أحدا ذكرا كان أو أنثى لا يعرف اسم برجه والصفات العامة للشخصية التى تندرج تحت ذلك البرج .

حقيقة أم خرافـــة

يعتمد التنجيم على الاعتقاد بوجود علاقة بين الأجسام السماوية والأجسام البشرية ، وان هذه العلاقة يمكن فهمها وتفسيرها فأوضاع النجوم فى السماء ساعة ميلاد الطفل تحدد شخصيته ومصيره والنجوم تؤثر فى وقع الحياة الإنسانية ، فكل شىء فى الأرض يتأثر بالظروف الكونية التى تدل عليها النجوم ، بما فى ذلك الحروب والمجاعات والكوارث والأحداث السعيدة على السواء .

فهل يمكن أن يقبل العلم الحديث فكرة تأثير الكون فى الشئون البشرية ؟

فيدخل التنجيم بذلك دائرة العلوم الحديثة ، أم ان هذا الاهتمام المفاجىء بتأثير النجوم فى الإنسان مجرد انعكاس للأزمنة المضطربة التى نعيشها اليوم ؟ وسوف يخفت مرة أخرى إذا أصبح مستقبل البشرية أكثر إستقرارا ؟

البعض يؤكد أن التنجيم لا مكان له فى الحياة الحديثة وأنه مجرد إحياء لبدعة خرافية ماتت وينبغى أن تظل ميتة ، ولكن آخرين ومنهم بعض أشد المتشككين فى التنجيم ـ وهم العلماء المحدثون ـ يقدمون شواهد لا تنقطع توحى بأن التنجيم قد يكون معتمدا فى النهاية على أساس حقيقى .

فقد أثبت مهندس لاسلكى أمريكى يدعى جون نيلسون بعد تجارب علمية قام بها أن هناك تأثيرا لحركة الكواكب فى موجات اللاسلكى على الأرض .

وهناك عالم آخر يدعى دكتور ليونارد راڤيتز أثبت صحة الاعتقاد القديم فى وجود علاقة بين اكتمال القمر وزيادة الاضطرابات الذهنية ،

وأكد عالم رياضى فرنسى يدعى مايكل جاكلين أن الطرق التى يستخدمها المنجمون فى إجراء حساباتهم الفلكية تستطيع أن تصمد أمام أصعب الاختبارات الاحصائية .

وتوجد الآن رابطة تسمى « الجمعية الدولية لأبحاث التنجيم » مقرها فى ولاية أوهايو الأمريكية ، وقد تأسست فى عام ١٩٦٨ للعمل على أن يستعيد التنجيم احترامه فى هذا العصر العلمى ، وإدخاله فى المجال الاكاديمى والعلمى ، وتضم الجمعية بين أعضائها عددا من أشهر المنجمين فى العالم وأكثرهم جدية ، وهم يستخدمون فى أبحاثهم وحساباتهم الكومبيوتر وغيره من الأجهزة العلمية الحديثة وتتشعب أبحاثهم تشعبا كبيرا ابتداء من امكان التنبؤ بالزلازل بواسطة العلامات الكونية الى مدى تأثر الأجسام السماوية فى قدرات الناس وأقدارهم .

يقول المؤلف والعالم ليال وطسون صاحب كتاب « ما فوق الطبيعة » وهو من أوسع الكتب إنتشارا ان ما بين العلم والتنجيم أقوى مما يتوقع المتشككون

والمؤيدون على السواء ، فإن الكون كله عبارة عن موجات متفاعلة يتداخل بعضها فى بعض . . ان بعض هذه الموجات التى ضربت الأرض أدت الى نشأة الحياة فيها ، فمن ذا الذى يستطيع أن ينفى بثقة أن الموجة التى كونت الحياة الانسانية لا علاقة لها بالموجات الأخرى فى هذا الكون ؟ ان العكس هو الصحيح ، لا بد أن تكون هناك علاقة وثيقة بين هذه الموجات جميعا ، وخير وسيلة متاحة لنا الآن لفهم هذه العلاقة هى التنجيم . فكأن التنجيم يمكن أن يساهم فى تقدم فهمنا العلمى للكون !

ولكن التنجيم الحقيقى لا علاقة له بالتنبؤات العامة التى تنشرها الصحف فى أبواب « بختك هذا اليوم » انه وسيلة لمساعدة الناس على إكتشاف المزيد من صفات شخصياتهم الأساسية وفهم العلاقة بينهم وبين الكون . وفى هذا العصر الملىء بالتغييرات والانهيارات ، الملىء بالحروب والثورات الاجتماعية والسياسية ، الملىء بالأمراض النفسية والإضطرابات العصبية ، تبدو الحاجة أقوى من أى وقت مضى الى فهم علاقة الإنسان بالكون ، وهذه هى وظيفة التنجيم الذى اجتذب كثيرا من مفكرى الماضى العظام أمثال افلاطون وبطلميوس وجوهانز كبلر واسحق نيوتن ، ولايزال يثير مخيلات الناس حتى اليوم . . والغد .

أقدم العلوم وأغمض العلوم

ربما يكون التنجيم هو أقدم « علم » فى التاريخ ، منذ فجر البشرية أخذ الإنسان يتطلع الى السماء اعتقادا منه بأن النجوم آلهة أو أرواح آلهة لها تأثير على البشر ، وقد إكتشف الاثريون مؤخرا قطعة من العظم عمرها أكثر من ٣٠ ألف سنة تحمل علامات يبدو أنها تشير الى منازل القمر .

وأقام أبناء الحضارات القديمة فى آسيا وأوروبا وأمريكا أبراجا عالية يستخدمها الكهنة كمراصد لمتابعة حركة النجوم والتنقيب فى السماء عن مفاتيح المصير البشرى .

ولكن التنجيم بلغ شأوا كبيرا فى بلاد مابين النهرين حيث السماء صافية بلا سحب تبدو فيها ملايين النجوم بوضوح ، ومنذ خمسة آلاف سنة كان كهنة بابل يدرسون النجوم ويطلقون عليها الأسماء ، وما أن حل القرن السابع قبل الميلاد حتى كان الكهنة أو المنجمون البابليون قد إكتشفوا بالفعل ١٢ برجا فى السماء هى نفسها التى نعرفها الآن وسموها بأسمائها وعزوا إليها خصائص طيبة أو شريرة .

وإنتشر التنجيم من بابل الى مصر وبلاد الإغريق . . ولكن مصر القديمة لم تبد إهتماما كبيرا بالتنجيم أى بمعرفة أثر النجوم فى الحياة البشرية ، وكانت أكثر إهتماما بالفلك ، أى برصد حركة النجوم لاستخدامها فى بناء المنشآت الهندسية والمعمارية ووضع التقويم . . وهكذا كانت مصر مهدا لعلم الفلك كما كانت بابل مهذا لفن التنجيم .

أما فى بلاد الإغريق فقد تطور التنجيم كما نعرفه الآن ، فقد زاوج الاغريق بين الأجرام السماوية وآلهتهم . كوكب الزهرة مثلا يرمز الى افروديث

ربة الحب والجمال ، والمشترى يرمز الى زيوس كبير الآلهة ويدل على الخير ، بينما المريخ يرمز الى مارس اله الحرب ويدل على القتال والشر والنكبات . وصنع الاغريق اسطرلابات شخصية ، واعتمدوا فى فن التنجيم على خبرة البابليين حتى أنهم استقدموا منجما بابليا أقام مدرسة للتنجيم فى جزيرة « كوس » اليونانية عام ٢٨٠ ق . م . تتلمذ فيها عدد كبير من شباب المنجمين الاغريق ، وإبتداء من عام ٢٠٠ ق . م أخذت تظهر مؤلفات اغريقية فى التنجيم ثم بلغ هذا العلم ذروته على يدى العالم الاغريقى السكندرى كلوديوس بطلميوس فى القرن الثانى الميلادى ويعتبر بطلميوس أعظم فلكى فى العصور القديمة .

وقد طلت خرائط بطلميوس وجداوله عن النجوم والكواكب وحركتها فى قبة السماء لا تضاهى من حيث الدقة حتى القرن السابع عشر الميلادى ، وظل كتابه فى التنجيم أهم كتب الفلك على الاطلاق فى العصور القديمة ، وفى هذا الكتاب بعض الأساسيات التى قام عليها علم الفلك الحديث .

وفى زمن بطلميوس لفت التنجيم إهتمام الرومان ، أغنياء وفقراء وأحرار وعبيد فاعترفوا به وآمنوا بقدرة النجوم على التأثير فى مصائرهم ، وكان الامبراطور أغسطس أول أباطرة الدولة الرومانية يؤمن بالتنجيم إيمانا كاملا ، ويبدو ان السبب فى ذلك أن أحد المنجمين تنبأ ساعة مولده بأنه سيصبح « سيد العالم » . وكان اغسطس يضع علامة برجه « الجدى » على العملة التى يصدرها .

وكان أشد معارضى التنجيم فى العصور القديمة هم المسيحيون الأوائل الذين رأوا فيه وثنية وقدرية يرفضها الدين ، فإن مصير الإنسان حسب ما يقوله المنجمون محدد ساعة مولده وعلى ذلك لايستطيع أن يغيره ويخلص نفسه بالعبادة ، وفى البداية لم تكن لمعارضة المسيحيين أهمية كبيرة لأنهم كانوا قلة مطاردة ، ولكن فى القرن الرابع الميلادى حين اشتد ساعد المسيحيين وأصبحت المسيحية هى الدين الرسمى للدولة طورد المنجمون بشدة وحرمت فنونهم وممارساتهم ، وعند سقوط روما فى أيدى البرابرة عام ٤١٠ م لم يكن فى النصف الغربى من الامبراطورية أحد يعرف هذا العلم القديم .

عند العرب والأوربيين

ولكن التنجيم عاش فى النصف الشرقى ، أى الامبراطورية البيزنطية ، حيث حفظت كتابات ووسائل هذا الفن القديم ، وانتقلت من هناك الى أيدى العرب ، وقام علماء العرب بدراسات جادة فى التنجيم وطوروه كما فعل المصريون القدماء فى علم الفلك ، وأضافوا الكثير الى أعمال الاغريق القدامى فى هذا الشأن ، واهتموا بشكل خاص بمنازل القمر لأن التقويم الاسلامى تقويم قمرى يعتمد على دورة القمر لمعرفة الشهور وتحديد المناسبات الدينية الهامة ، وصنع العرب اسطرلابات دقيقة لحساب حركة النجوم فى السماء ، وقد ترجمت النصوص الفلكية العربية الى اللاتينية بواسطة العلماء الأوربيين فى القرن الثانى عشر الميلادى فأعيد إكتشاف فن التنجيم القديم ، وما أن حل القرن السادس عشر الميلادى حتى عاد التنجيم فى أوربا الى سطوته القديمة وأصبح جزءا لا يتجزأ من الثقافة العامة لدى كل متعلم ، وكان الفلكيون العظام فى أوروبا خلال القرنين ١٦ ، ١٧ من أمثال جوهانز كبلر يمارسون التنجيم أيضا ويقرأون الطالع للملوك والنبلاء ، وكان كل ملك أو نبيل لديه فلكى أو منجم فى بلاطه يعطيه النصائح فى شئون الحكم . لقد أصبح التنجيم فى هذا الفترة هو « ملك العلوم » .

ولعب المنجمون دورا بارزا فى الحروب الأوربية خلال القرن السابع عشر ، كانوا أشبه بخبراء الحرب النفسية فى الوقت الحاضر ، يطلقون النبوءات لرفع معنويات الجانب الذى يناصرونه والهبوط بمعنويات الجانب الآخر .

ولكن اخضاع التنجيم للسياسة على هذا النحو أضر بسمعة هذا الفن الغامض ، وبدأ العقلاء يفكرون أنه إذا كان المنجمون يصلون الى نتائج متناقضة إنطلاقا من نفس المعلومات ـ أى أوضاع الشمس والقمر والكواكب فى قبة السماء ـ فلابد أن يكون ما يقولونه ليس علما جديرا بالإحترام .

ومع ذلك ظل بعض المنجمين الأوربيين يقولون نبوءات تثبت صحتها ، مثل المنجم الانجليزى ويليام ليلى الذى تنبأ بالطاعون الذى اجتاح أوروبا فى عام ١٦٦٥ ، وحريق لندن الكبير عام ١٦٦٦ ، وذلك قبل وقوع هذه

الأحداث بأكثر من عشر سنوات الى حد أنه إتهم بالاشتراك فى مؤامرة لاشعال الحريق الكبير عمدا ، واستدعى أمام لجنة برلمانية للتحقيق معه فى كيف أنه عرف بالحريق مقدما ، ولحسن حظه استطاع إقناع النواب بأن تنبؤاته مؤسسة على معلومات فلكية خالصة !

وإستطاع النجاح الذى كان يحرزه منجمون من أمثال ويليام ليلى ونوستراداموس الابقاء على فن التنجيم حيا ، ولكنه لم يستطع منعه من التدهور ، فما أن حل القرن الثامن عشر حتى بدأ التنجيم يتحول من علم قراءة النجوم الى الشعوذة والخرافة ، فصار المنجمون الأوربيون ـ كما يفعل نظائرهم فى الشرق ـ يطلقون البخور ويقرأون الطالع عن طريق ورق الكوتشينة وعمل الأحجبة والطلاسم التى تجلب حسن الحظ . . لقد إنهار العلم القديم ليحل محله علم الفلك الجديد .

وبالرغم من ذلك ظل التنجيم خلال القرنين ١٨ . ١٩ يحوز إهتمام كثير من الناس فى أوروبا وأمريكا ، ثم انتعش مرة أخرى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر على يد مدام بلافتسكى والجمعية « الثيوصوفية » التى أنشأتها عام ١٨٧٥ وإجتذبت كثيرا من المتنبئين والروحيين والمنجمين الهنود الذين غزوا العقل الغربى « بحكمة الشرق القديمة » ومازالوا يفعلون .

التنجيم فى القرن العشرين

وفى أوائل القرن العشرين ظهر فى بريطانيا منجم يدعى الان ليو استطاع أن يبث دفعة جديدة فى علم التنجيم . فأصدر مجلة شعبية تهتم بشئون التنجيم ، ووضع عددا من الكتب تبسط إجراءات التنجيم المعقدة بحيث يستطيع أن يتعلمها ويمارسها أى شخص متوسط الذكاء خلال عام أو عامين من الدراسة المنتظمة ، وإنتشرت كتب الان ليو فى أمريكا وبريطانيا وترجمت الى الألمانية وغيرها من اللغات الأوربية ، وفى مدرسة ليو ومن قراءة كتبه نشأ جيل جديد من المنجمين فى الغرب .

وربما يكون من أشهر هؤلاء المنجمين الجدد المنجمة الامريكية ايڤانجلين آدمز ، التى ولدت عام ١٨٦٥ ، وهى حفيدة جون كوينسى آدمز سادس

رئيس للولايات المتحدة الأمريكية ، وكانت فى شبابها تهوى قراءة النجوم ومقتنعة بموهبتها فى هذا الفن فقررت أن تغادر موطنها بوسطن الى نيويورك لتعرض مهارتها فى تلك المدينة العالمية الكبيرة . وما أن وصلت الى هناك فى عام ١٨٩٩ حتى أثارت إهتماما فوريا ففى اول ليلة لها بالفندق طلب منها صاحب الفندق ان تقرأ له طالعه ، وأجرت هى حساباتها ثم حذرت صاحب الفندق بأنه يواجه « كارثة مخيفة عاجلة » وفى اليوم التالى احترق الفندق عن آخره وفقدت هى معظم حوائجها فى الحريق ، ولكن الفائدة التى عادت عليها كانت أكبر ، إذ حكى صاحب الفندق قصة النبوءة لمندوبى الصحف ، وظهرت صحف نيويورك فى صباح اليوم التالى تحمل اسم ايڤانجلين آدمز فى عناوينها الرئيسية ، وبذلك حققت المنجمة القادمة من بوسطن شهرة واسعة بين يوم وليلة مكنتها من إحتراف قراءة النجوم فى نيويورك وسرعان ما أصبحت أشهر منجمة فى الولايات المتحدة .

وبالرغم من نجاحها ، أو ربما بسبب نجاحها ، القى القبض على إيڤانجلين آدمز فى عام ١٩١٤ بتهمة « العرافة والشعوذة » وكان فى إمكانها أن تدفع غرامة بسيطة ويطلق سراحها ، ولكنها رفضت أن تفعل ذلك واختارت أن تقدم للمحاكمة للدفاع عن نفسها وفى المحكمة قدمت ايڤانجلين أكواما من المراجع والمستندات والأدلة دفاعا عن فن التنجيم ، وعرضت أن تقرأ طالع أى شخص لا تعرفه لإثبات صحة مزاعمها ، وإختار القاضى أن تقرأ طالع ابنه ، وإقتنع فى النهاية بصحة أقوالها فحكم ببراءتها وجاء فى حيثيات الحكم ان « المدعى عليها استطاعت أن ترفع التنجيم الى مصاف العلوم الدقيقة المحترمة » وكان هذا الحكم دفعة جديدة أضافت الى نجاحها الساحق .

وتدافع مشاهير المجتمع الأمريكى على « استديو » ايڤانجلين آدمز الذى افتتحته فى قاعة كارنيجى بمدينة نيويورك وكان منهم سياسيون بارزون ونجوم هوليود وأمراء أجانب ورجال أعمال وأصحاب ملايين ، وكان من زبائنها الدائمين دوق وندسور ومارى بيكفورد والمغنى الشهير كاروزو والمليونير مورجان الذى كان يستشيرها دائما قبل عقد صفقاته المالية ، وكان هؤلاء الزبائن يأخذون نصائحها بجدية ويدفعون لها مبالغ كبيرة مما جعلها من أغنى النساء فى أمريكا خلال عشرينات هذا القرن .

ووسعت ايڤانجلين آدمز من دائرة نشاطها ، فصارت تقدم نبوءات منتظمة بالراديو يتابعها الملايين ، وترد على آلاف الخطابات التى تصل اليها من مستمعين يطلبون معرفة طالعهم ، ووضعت كتابا بعنوان « التنجيم .. مكانك بين النجوم » أصبح من أوسع الكتب إنتشارا ، وتتلمذ على يدها عدد من أشهر المنجمين العالميين المعاصرين .

وقد تنبأت ايڤانجلين آدمز بموعد وفاتها بالضبط عام ١٩٣٢ ، كما تنبأت فى عام ١٩٣١ بقيام الحرب العالمية الثانية واشتراك الولايات المتحدة فيها عام ١٩٤٢ .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ارتفع شأو التنجيم إرتفاعا كبيرا ، وتنتشر الآن فى مختلف أنحاء العالم معاهد تتيح درسات جادة فى فن التنجيم ، حتى أن جامعة هارڤارد قبلت فى عام ١٩٦٠ رسالة دكتوراه تقدم بها طالب فى موضوع التنجيم ، وتكوّن اتحاد للمنجمين الامريكيين ، وآخر للمنجمين العالميين ، وكلية للدراسات التنجيمية فى بريطانيا يتخرج منها المئات كل عام ، وتصدر الآن بإنتظام آلاف الصحف والمجلات والكتب حول كيفية الاستفادة من التنجيم فى مسائل المال والأعمال والسفر والزواج والعلاقات الإنسانية بوجه عام .

ومن أشهر المنجمات المعاصرات امرأة بريطانية من أصل يونانى تدعى كاتينا ثيودوسيو ، وهى متخصصة فى مجال المال والأعمال وتستشيرها اكثر من ٥٠ شركة ومؤسسة فى امريكا وبريطانيا ، فى مسائل هامة تتعلق بالاستثمار والاندماج والانفصال والتوظيف كما تستشار قبل تكوين الشركات الجديدة والموعد المناسب لتكوينها ، وكاتينا ثيودوسيو هى التى أدخلت التنجيم عصر الكمبيوتر ، إذ أنها أول من إستخدم الكمبيوتر فى حسابات التنجيم ، ولم تكتف بذلك بل أكبت خلال ١٥ شهراً على تغذية الذاكرة الالكترونية بـ ٤٠ ألف معلومة مستقلة عن التنجيم لإنتاج أجهزة من كومبيوتر التنجيم يستطيع أن يستخدمها الجمهور بدون معرفة لحسابات التنجيم المعقدة .

وبالرغم من هذه الصحوة المفاجئة لهذا الفن القديم فى العصر الحديث فان التنجيم لا يعدم المهاجمين والنقاد ، فالكثيرون من الناس اليوم لا يترددون فى رفضه بإعتباره خرافة مضحكة لا تناسب سوى العقول الساذجة أو المحبة للشعوذة . والمنجمون الجادون أنفسهم يعترفون بأن فنهم ملىء بالثغرات والمتناقضات والافتراضات الغامضة ، ومع ذلك فإنهم مقتنعون بأن التنجيم يقوم على أساس حقيقى ويمكن أن يلعب دورا قيما فى مساعدة الناس على معرفة أنفسهم ومكانهم فى الكون .

ولكن بعض العلماء الجادين بدأوا اليوم يميلون الى وجهة النظر هذه ويقدمون أدلة متزايدة على أن فن التنجيم القديم ربما يكون قائما حقا على أساس علمى سليم . . فما موقف العلم الحديث من هذه الظاهرة ؟ وكيف أصاب رسولنا الكريم كبد الحقيقة عندما قال : كذب المنجمون وان صدقوا ؟

كذب المنجمون وان صدقوا

نحن نعيش فى عصر الشك . . وما كان يؤخذ فى الماضى كمسلمات يجب أن تقوم عليه اليوم أدلة جديدة قاطعة تثبت صحته وإذا كان التنجيم قد قبلته البشرية بوجه عام منذ القدم كشىء مسلم به ويمكن الاعتماد عليه ، فإن عليه الآن أن يثبت صحته فى ساحة العلم إذا أراد أن يؤخذ مأخذا جديا . . فهل يمكن أن يصمد التنجيم أمام هذا الإمتحان ؟

ان كثيرا من العلماء المحدثين بدأوا يعتقدون فى صحة الدعوى القديمة بوجود تأثير للنجوم على مملكة الأرض بكل ما فيها من قوى طبيعية وحياة إنسانية وحيوانية ونباتية . وإذا ثبت هذا التأثير بالفعل تكون قد ثبتت صحة الدعوى الأساسية للتنجيم .

من ذلك أن المهندس الإلكترونى الأمريكى جون نيلسون أثبت فى عام ١٩٥١ وجود صلة ظاهرة بين صعوبة أو سهولة إستخدام موجات الراديو القصيرة وبين أوضاع الكواكب المحيطة بالأرض ، فقد وجد نيلسون ان العواصف المغناطيسية ، التى هى سبب إضطراب الإرسال اللاسلكى ـ تحدث عندما يقترب من الأرض كوكبان أو أكثر فى زوايا قائمة ، وبناء على ذلك اسطاع نيلسون أن يتنبأ بالإضطرابات المغناطيسية المقبلة بنسبة نجاح بلغت ٩٣٪ .

وهكذا يتوافر لدينا أول دليل علمى على صحة الاعتقاد القديم بأن حركة النجوم فى السماء تؤثر فى الحياة على الأرض ، وهو الاعتقاد الذى يقوم عليه التنجيم .

ولم تكن أبحاث جون نيلسون هى الوحيدة من نوعها ، فقد أثبت علماء كثيرون فى السنوات الأخيرة وجود تأثير للشمس والقمر والكواكب على أحدث الأرض والبشر أنفسهم .

فمثلا قام العالم الطبيعى دكتور رودلف توماشيك الرئيس السابق لمجلس الطبيعة الجغرافية العالمى بدراسة وتحليل ١٣٤ زلزالا كبيرا ، ووجد أن أوضاع النجوم من حيث المكان والزمان لها علاقة بظاهرة الزلازل ، إذ غالبا ما يحدث الزلزال عندما تقترب من الأرض ثلاثة كواكب بالتحديد وهى المشترى واورانوس ونبتون .

وعالم روسى يدعى دكتور بودشيبا يكين إكتشف وجود علاقة قوية بين ظاهرة الكلف الشمسى ـ التى تحدث نتيجة للعواصف المغناطيسية على سطح الشمس ـ وبين زيادة حوادث الطرق على الأرض وفسر بودشيبا يكين ذلك بأن الكلف الشمسى ينتج كميات هائلة من الاشعاعات فوق البنفسجية وهذه بدورها تؤثر على الجسم البشرى وتجعله أكثر بطئا فى الاستجابة للمؤثرات الخارجية مما يتسبب فى سوء القيادة وإحتمال كثرة الحوادث فى الطرق . وتأيدت هذه النظرية أيضا فى أبحاث أخرى أجريت فى ألمانيا الغربية .

ومن أهم الأبحاث التى أجريت حول تأثير الشمس والقمر فى الحياة الأرضية تلك التى قام بها دكتور فرانك براون أستاذ علم الأحياء (البيولوجيا) بجامعة نورث وسترن الأمريكية ، إذ أجرى مع فريق من مساعديه أبحاثا إستغرقت ٢٥ عاما على ما أسموه « بالساعة البيولوجية » أى الإيقاع الطبيعى المنتظم لكل أنواع الحياة على الأرض ، وهذا الإيقاع يبدو فى مظاهر كثيرة مثل نوبات النوم واليقظة ، وحركة النبات أثناء الليل ، وانفتاح وإنغلاق أصداف المحار ، وتغير ألوان بعض الحشرات والأحياء المائية ، وتوصل دكتور براون الى نظرية أدهشت الأوساط العلمية وهى أن كل هذه الظواهر وأمثالها تتبع نمطا من الإيقاع لا ينبع من « ساعة داخلية » فى الحيوان أو النبات وإنما من تأثيرات

كونية وبالذات تلك المتصلة بالشمس والقمر ، فمثلا ، الفئران التى تحيا داخل أقفاص مظلمة مدادا طويلة وجد أنها تكون أكثر نشاطا عندما يرتفع القمر فوق الأفق منها فى غياب القمر ، كما لو كانت تعرف بغريزتها متى يرتفع القمر فتنشط تبعا لذلك تماما كما كانت تفعل وهى طليقة ، ولكنها الآن لا تراه .

ومثل ذلك أيضا حركة انفتاح وإنغلاق المحار . . إذ كان من المعتقد أن هذه الحركة تحدث تبعا لحالة المد والجذر فعند المد تفتح المحارة كى تتغذى ، وفى الجذر تغلق صدفتها كى تحمى نفسها ، ولكن دكتور براون أثبت أن هذه الحركة تتعلق بالشمس والقمر مباشرة وليس بظاهرة المد والجذر فى حد ذاتها ، إذ أخذ دكتور براون محارات من شاطىء المحيط الهادى ونقلها الى معمله بالقرب من شاطىء المحيط الأطلنطى حيث وضعها فى صناديق مظلمة تحوى كمية ثابتة من الماء ، وخلال أسبوعين فقدت هذه المحارات عادتها القديمة فى الإنفتاح والإنغلاق طبق لحركة المد والجذر فى المحيط الهادى واكتسبت عادة جديدة طبقا لحركة المد والجذر فى المحيط الأطلنطى رغم أنها لم تغمر فى مياهه .

تأثير الكون فى الإنسان

ولكن ، ماذا عن الإنسان ؟ هل يمكن أن يكون للشمس والقمر والكواكب تأثير عليه كما يدعى المنجمون ؟

دلت دراسات نشرت عام ١٩٦٠ قام بها عالم أمريكى يدعى دكتور ليونارد رافيتز من جامعة ديوك على وجود علاقة مباشرة بين سلوك البشر وبين القمر ، وتتفق هذه النتيجة مع الاعتقاد القديم فى الإرتباط بين القمر والجنون .

فقد قام دكتور رافيتز خلال مدة طويلة بقياس الشحنات الكهربية الضعيفة التى يطلقها الجسم البشرى بصفته مستمرة فوجد أن هذه الشحنات تتغير بإستمرار طبقا لمنازل القمر وتبلغ قمتها عندما يكون القمر بدرا ، وفى

هذه الحالة تكون أكثر ظهورا لدى المرضى العقليين وغير أسوياء الشخصية منها لدى الأشخاص العاديين ، وعادة ما تكثر الجرائم الناتجة عن السلوك السيكوباتى كجرائم الحريق العمد والسرقة وجنون السرعة فى الليالى القمرية

كما إتضح أن القمر قد يكون له تأثير على الولادة إذ قام عالم يابانى فى عام ١٩٣٨ بدراسة على ٣٣ ألف حالة ولادة . فوجد أن معظم الولادات تحدث عندما يكون القمر كاملا وأقلها أثناء المحاق ، ثم أيد عالم أمريكى فى الطب النسائى هذه النتيجة فى تقرير نشره عام ١٩٦٧ بعد دراسة شملت حوالى نصف مليون حالة ولادة .

والمعروف أن موعد ولادة الشخص يعتمد على زمن الحمل ، وهذا بدوره يعتمد على دورة الطمث وبالتحديد تكوين البويضة فى الرحم ، وقد إكتشف العالم التشيكى ايوجين جوناس علاقة واضحة بين الطمث والقمر ، إذ دلت دراساته على ان المرأة تنتج البوضة خلال دورة معينة مرتبطة بالمنزل الذى كان فيه القمر عند مولدها ، وقد إستخدم دكتور جوناس طريقته المكتشفة فى وضع جداول تستخدمها المرأة لتحديد الحمل بدون استخدام موانع ، وأثبتت هذه الجداول كفاءتها بنسبة ٩٨٪ وهى نفس نسبة كفاءة أحسن أنواع حبوب منع الحمل .

والمعتقد منذ زن طويل ان الدورة الشهرية لدى السيدة والتى يبلغ طولها ٢٨ يوما أى المدة بين إكتمالين للقمر مرتبطة على نحوما بدورة القمر ، وتوجد الآن شواهد علمية تؤيد ذلك ، ففى أوائل هذا القرن قام الكيمائى السويسرى دكتور ساڤنت ايرنيبوس بدراسة شملت ١١ ألف سيدة فوجد أن ذروة الطمث فى معظم هذه الحالات تحدث عند إكتمال القمر الجديد وفى عام ١٩٦٠ أكد باحثان إلمانيان نفس النتيجة بناء على جداول سجلت ذروة الدورات الشهرية لدى ١٠ آلاف سيدة قاما بها خلال ١٤ سنة .

وهناك دليل على وجود إرتباط بين النزيف بوجه عام وبين مراحل القمر ، وقد وجد الجراح الأمريكى دكتور اديسون اندروز بعد فحص ١٠٠٠ حالة لنزيف غير معتاد عقب عمليات استئصال اللوز أن ٨٢٪ من هذه الحالات تحدث بين المرحلتين الأولى والثالثة من دورة القمر ، ولذلك كان هذا الطبيب

يختار أن يجرى عملياته الجراحية فى ليالى المحاق ، ومعظم أطباء جراحة اللوز فى كل أنحاء العالم الآن يتجنبون الجراحة فى الليالى القمرية .

هذه عينة بسيطة من الاكتشافات العلمية حول تأثير الأحداث الكونية فى الحياة على الأرض ، وقد أجريت تجارب كثيرة أوضحت كذلك ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرا عميقا علينا وعلى الوسط المحيط بنا ، وبهذا يكون الإعتقاد الأساسى للمنجمين ليس بعيدا عن الإثبات العلمى .

نظرية يونج فى التزامن

ولكن هل هذا كاف لإقناع العلماء بصحة التنجيم ؟

ان عددا قليلا من العلماء أعلنوا اعتقادهم فى صحة التنجيم ولكن منهم بعض الكبار والمشاهير أمثال العالم النفسانى كارل يونج الذى دعا الى الإعتراف بالتنجيم كعلم قائم بذاته ، وكان يونج فى أواخر أيامه يصر على الحصول على خريطة بطالع مرضاه لأن ذلك يساعده فى فهم شخصية المريض وصفاته النفسية مما يفيده فى علاج المريض .

وقام عدد من العلماء بإحصاءات لإختبار بعض مزاعم المنجمين مثل إرتباط طول العمر أو قصره بأبراج معينة وقد ثبت عدم صحة هذا الزعم فى بحث قام به الرياضى والفيلسوف البريطانى جون ايدى على مجموعة كبيرة من الأشخاص الذين وصلوا الى سن التسعين ، ولكن بحث ايدى أثبت من ناحية أخرى أن ظاهرة طول العمر مرتبطة الى حد ما بوجود الكواكب التى تحكم طالع الفرد فى حالة إنتشار لا تجمع ، ثم قام العالم الرياضى الفرنسى مايكل جاكلين فى الخمسينات ببحث تأثير النجوم فى وظيفة الشخص وتوصل الى نتائج مثيرة إذ وجد أنه فى حالات كثيرة جدا يكون المريخ هو الغالب فى طالع الأطباء ، والزهرة تغلب فى طالع الفنانين ، وعطارد يغلب فى طالع الممثلين والكتاب .

ولكن السؤال هو ! إذا كان التنجيم قائما على أساس ما . . فكيف يعمل ؟ كيف يمكن أن تؤثر النجوم فى الإنسان ؟ ان أفضل نظرية تفسر ذلك حتى الآن هى نظرية العالم النفسانى كارل يونج . .

ان يونج يقول بنظرية « التزامن » أو التوافق بين الأحداث ، ويعتقد يونج ان التزامن هو الوجه الآخر لعلاقة السببية ، وبعبارة أخرى إذا وقع حدثان فى نفس الوقت أو تبع أحدهما الآخر بوقت قليل فمن المحتمل أن لا تكون بينهما علاقة سببية مباشرة بمعنى أن أحدهما تسبب فى الآخر ، ومع ذلك فقد تكون بينهما علاقة ما لاندرك كنهها ، وفى حالة التنجيم لا تتسبب أوضاع الشمس والقمر والنجوم والأبراج فى وقوع أحداث معينة ولكنها « تتزامن » مع هذه الأحداث فمثلا ليست هناك ظاهرة فلكية معينة « تتسبب » فى طول العمر أو قصر العمر ولكن هذه الظاهرة قد « تتزامن » ساعة الميلاد مع طول عمر المولود أو قصره .

ولتوضيح ذلك لنفرض أن رجلا يشعر بالجوع ويتناول عشاءه فى وقت معين كل ليلة وفى كل ليلة عندما يجلس للعشاء تكون عقارب الساعة المعلقة على الحائط تشير الى السابعة مساء ، ليس معنى ذلك أن وضع عقارب الساعة هو الذى تسبب فى الجوع ولا الجوع هو الذى تسبب فى وضع عقارب الساعة ، فليست هناك علاقة سببية بين الحدثين ولكن تظل بينهما علاقة تزامنية ، فإن كلا من الشعور بالجوع ووضع عقارب الساعة يعكسان حقيقة الدورة الأرضية التى تستغرق يوما كاملا .

وإذا أردنا تطبيق هذا المثال على التنجيم نقول ان أوضاع النجوم هى « عقارب الساعة » ومصير المولود وصفاته الأساسية هى « مشاعر الجوع » وليس أحدهما هو السبب فى الآخر ولكن كلا منهما يعكس نفس دورة كونية واسعة لا نعرف عنها شيئا .

ومن الغريب أن نظرية « التزامن » هذه قديمة قدم التنجيم نفسه بالرغم من أن يونج كان يعتقد خطأ انه اخترعها ، فمنذ قرون بعيدة اعتنق المنجمون هذه النظرية نفسها ولكنهم كانوا يعبرون عنها بطريقة مختلفة فيقولون ان الكواكب وعلامات السماء هى رموز لقوى كونية وان هذه القوى هى التى تؤثر فى أحداث الأرض ، ولذلك فإن الرموز تتوافق مع الأحداث لأنهما ينبعان من مصدر واحد .

وإذا صحت هذه النظرية فإنها تفسر لماذا يصيب المنجمون ويخطئون فى نفس الوقت . فالمنجمون مهما بلغوا من المهارة فى قراءة علامات السماء أنما يعملون فى هامش صغير من الحقيقة لأنهم لا يعرفون حقيقة القوى الخفية التى تقف وراء أوضاع النجوم وأحداث الأرض على السواء ، ولذلك يظل علمهم محدودا مهما كان ، وفنهم قاصرا مهما بلغ ، وحتى لو تحقق بعض ما يقولونه أو يتنبأون به فإن ذلك ليس دليلا على صدقهم المطلق إذ يظل الغيب محجوبا عنهم لا يعلمه إلا الله .

ومن هنا نفهم قول الرسول الكريم : كذب المنجمون وان صدقوا . .

□ غرائب وألغاز :

- ○ السقوط فى البعد الخامس
- ○ بحر الشيطان
- ○ السعد والنحس
- ○ معجزات الشقاء
- ○ القادمون من لا مكان

السقوط فى البعد الخامس

نحن نعيش فى عصر العلم . . ما فى هذا من شك . . ولكن هل فسر العلم كل شيء ؟ هل يستطيع العلم تقديم اجابات شافية لكثير من الألغاز والغرائب والأسرار فى هذا العالم ؟ أم أن علينا أن نرفض كل الظواهر الغريبة المحيطة بنا مادام علمنا الحالى لا يستطيع أن يقدم تفسيرا مقنعاً لها ؟

ان القول بذلك ينطوى على غرور ليس له ما يبرره . . فالعلم نفسه لم يقل كلمته الأخيرة وإنما هو يتقدم يوما بعد يوم ، ومالا يستطيع أن يفسره اليوم قد يقدر على تفسيره غدا ، وهذا ماتكرر فى تاريخ العلم بالفعل ، فكم من الأشياء التى رفضناها بالأمس بإعتبارها خرافات لا أساس لها إكتشفنا اليوم صحتها وحقيقتها ، وكم من الظواهر التى كانت تبدو لنا خارقة لا يمكن فهمها أو تفسيرها استطعنا فيها بعد أن نفهم سرها .

وكم من الأمانى والأحلام التى راودت البشرية قديما وكانت تظن أن تحقيقها من قبيل المعجزات إستطاع العلم اليوم أن يحققها ، فإذا هى أبسط مما كان متصورا أو متخيلا .

فالطيران فى الجو الذى داعب أحلام البشر فى تاريخهم الطويل ، وتخيلوا تحقيقه بالبساط السحرى أو رخ السندباد أو الحصان المسحور . . هذا الحلم الذى أدى الى مقتل مغامرنا العربى عباس بن فرناس عندما صنع لنفسه أجنحة من الريش وحاول تقليد الطيور . . أصبح الآن حقيقة واقعة ، وصارت

الطائرات العملاقة تملأ السماء بالآلاف وتنقل الناس بالملايين عبر القارات ، فلا تثير دهشة ولا تتوقف لديها عين إنسان .

وحدث نفس الشيء بالنسبة لعشرات المستحيلات الأخرى . . التخاطب عبر القارات بالتليفون واللاسلكى . . نقل الصورة فى الاثير بواسطة التليفزيون . . النزول على سطح القمر والدوران حول كوكب الأرض والإستعداد للسفر بين الكواكب . . محق مدن بأكملها خلال دقائق معدودات بالقنابل النووية . . الى آخر هذه المخترعات والحقائق التى نعرفها جيدا ولم تعد تثير لدينا أية دهشة لأنها أصبحت من حقائق الحياة اليومية .

واليوم لا يزال العلم يقف عاجزا عن تفسير كثير من الغرائب والألغاز فى هذا الكون . . سواء بالنسبة لقوانين الطبيعة أو القضاء الخارجى أو النفس البشرية ، وتبدو لنا هذه الغرائب والألغاز محيرة أو مستحيلة أو مرفوضة عقلا ، وعادة يسارع انصاف العلماء الى تجاهلها أو رفضها لسبب بسيط هو أنهم لا يملكون لها تفسيرا ، أما العلماء الأكثر احاطة ونضجا فإنهم قد يصمتون حيالها ، ولكنهم لا يجرأون على رفضها ببساطة فهم أكثر من يعلم أن الكون لا يزال مليئا بالأسرار ، وان مالديهم من العلم ليس الكلمة النهائية ، وان الطريق لا يزال طويلا وشاقا ومليئا بالمفاجآت . . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . .

xxx

فالعلماء يدركون الآن مثلا أن مفهومهم عن الزمان والمكان لا يزال قاصرا ومتخلفا ، وبالرغم من الخطوة الجبارة التى قطعها اينشتاين مؤخرا عندما ربط بين الزمان والمكان فى معادلة نسبية واحدة أدت الى نسف كل الأفكار السابقة عن هذين البعدين إلا أن اللغز لا يزال قائما بل تجلت أغواره السحيقة أكثر .

فالمعروف أننا نعيش فى عالم رباعى الأبعاد . . الطول والعرض والعمق والزمن ، ولكن هل هذا هو كل شيء ، ألا يحتمل أن تكون هناك أبعاداً أخرى فى هذا الكون لا نعرفها ، ولا نستطيع أن نفكر فيها ، ولا تخطر لنا على بال ؟

مثل هذه الأسئلة أصبحت تحير العلم الحديث نفسه ، وأصبح يسعى جاهدا للاجابة عليها بما يقدمه من أفكار أو نظريات تبدو أحيانا ثورية وغير تقليدية لأنها تخالف مألوف ما إستقرت عليه الأذهان حتى الآن .

من هذه الظواهر المحيرة مثلا . . إختفاء بعض الأشخاص فجأة ، كما لو كانوا قد تبخروا أو أن الأرض قد إنشقت وإبتلعتهم !

وقد حدث ذلك مرات عديدة ، وفى أماكن متعددة وأزمنة مختلفة ، ولكن مهما تكررت هذه الظاهرة المحيرة فإن أحدا لا يتوقف أمامها طويلا لأن التفسير « الجاهز » ـ حتى لو لم يكن مقنعا فى بعض الحالات ـ هو أن هذا الإختفاء حدث بفعل فاعل ، رغم أننا لا نعرفه ولا نستطيع الاهتداء إليه . . وحسنا جدا هذا التفسير فى الواقع ، لأننا إذا لم نأخذ به فإننا نفتح بذلك الباب على مصراعيه أمام جرائم خطف الأشخاص أو قتلهم وإخفاء جثثهم بدعوى أن قد حدث لهم « إختفاء غامض » !

ولكن « الإختفاء الغامض » مع ذلك حقيقة واقعة ، بل ومتكرر فى الزمان والمكان ، و « الفاعل » فيه يظل مجهولا مهما بذلت من جهود للكشف عنه .

ومن الأمثلة الأخيرة لهذا « الإختفاء الغامض » ما حدث فى مدينة الاسكندرية منذ سنوات ، إذ كانت إحدى السيدات تسير مع زوجها فى الطريق العام ، وفجأة إختفت من جانبه ، قيل أنها سقطت فى حفرة فى الأرض ، ولكن عندما فتشت هذه الحفرة لم يعثر على السيدة ، وإهتمت السلطات بالأمر ، وقامت بإجراء تفتيش دقيق فى المكان شمل شبكات المجارى والصرف فى المدينة والانفاق القديمة التى تخلفت عن الاسكندرية البطلمية ، بلا جدوى ، وأخيرا ألقى القبض على الزوج ووجهت إليه تهمة قتل زوجته وإخفاء جثتها ، فكانت بلواه بذلك مضاعفة !

وقد إهتمت الصحف حينئذ بالحادث إهتماما كبيرا ، وكانت تفرد الصفحات بمتابعة أخبار البحث عن السيدة ، ثم توقفت فجأة عن الحديث عن « السيدة المختفية » ولا أدرى ماذا تم فى الحادث أو ماذا جرى للزوج المسكين .

xxx

وهناك حادث آخر مشهور وقع فى أمريكا فى القرن الماضى وهو يذكر عادة كمثال نمطى لحالات الإختفاء المفاجىء . .

فقد حدث بعد ظهر يوم ٢٣ سبتمبر ١٨٨٠ فى مدينة « جالاتين » بولاية تنيسى الأمريكية ، ان ركب القاضى أوجست بيك عربته التى تجرها الجياد ، وخرج من المدينة فى ذلك اليوم الدافىء اللطيف ، بقصد قضاء الأمسية مع صديقه داڤيد لانج الذى كان يملك مزرعة صغيرة تبعد ١٢ ميلا عن « جالاتين » وكان القاضى يقود العربة بنفسه ، ويصحب معه شقيق زوجة داڤيد لانج الذى جاء لاصطحابه .

وعندما أصبح القاضى أوجست بيك على بعد ربع ميل من منزل صديقه ، إنعطف بالعربة فى حارة ضيقة الى جانب مزرعة صديقة التى تبلغ مساحتها ٤٠ فدانا ، وبعد دقائق شاهد القاضى صديقه داڤيد لانج يسير بمفرده عبر الحقول ، وشاهده لانج أيضا ولوح له بيده ثم عاد على عقبيه نحو المنزل الريفى الذى يبعد عدة مئات من الياردات عن المكان الذى كان يقف فيه .

ولكن لانج لم يصل أبدا الى المنزل ، ففجأة إختفى عن أعين كل المشاهدين ، وصرخت زوجة لانج التى كانت تقف فى شرفة المنزل الريفى عندما شاهدت زوجها يختفى من أمام ناظريها ، وكذلك شاهد المنظر مع الزوجة والقاضى ورفيقه طفلا لانج وهما جورج (٨ سنوات) وسارة (١١ سنة) وكانا ينظران عبر الحقول يتابعان عربة القاضى القادمة . وبعد دقائق كان الأشخاص الخمسة يهرولون داخل الحقل نحو البقعة التى إختفى فيها دافيد لانج .

فى أول الأمر ، ظن القاضى ورفيقه ان لانج قد سقط فى حفرة بالأرض ، ولكنهما لم يعثرا على أية حفرة ، لم تكن هناك سوى الأرض الجافة التى خلفها صيف مشمس حار ، وبعد فترة من البحث إنهارت زوجة لانج فى نوبة هستيرية ، فحملاها الى المنزل ، ثم دقا جرس الانذار فى المزرعة ، فخرج القرويون من منازلهم ، وجاءوا يستطلعون الأمر ويشاركون فى البحث عن السيد لانج ، وعندما أرخى الليل سدوله كانوا قد فتشوا كل شبر فى المزرعة والطرق المؤدية لها دون أن يجدوا أثرا واحدا يدل على مكان المختفى .

أثار لغز إختفاء داڤيد لانج إهتماما محليا كبيرا ، فنشرته الصحف بتوسع ، وأخذ الناس المحبون للاستطلاع يأتون الى الحقل ويحدقون فى البقعة التى شوهد فيها لانج لآخر مرة ، وأصيبت زوجة لانج بإنهيار عصبى ، وغادر الخدم المنزل خوفا من الليالى الموحشة ، وتعطفت السلطات المحلية فوضعت حرسا على منزل لانج لإبعاد المتطفلين عن الأسرة الصغيرة الخائفة ، كما قامت السلطات بحفريات واسعة فى الحقل عل مظنة وجود كهوف تحت الأرض ولكنها لم تجد سوى الحجر الجيرى الصلد . . ولم يعد داڤيد لانج الى الظهور بعد ذلك أبدا . . تماما كما حدث للسيدة المصرية فى مدينة الاسكندرية !

xxx

فى عام ١٨٩٦ ، بعد ستة عشرة سنة على إختفاء لانج ، نشر الكاتب البريطانى الشاب هـ . جـ . ويلز ـ الذى يعد من رواد فن الخيال العلمى رواية قصيرة بعنوان « قصة بلاثبر » وهى تدور حول مدرس كيمياء يدعى المستر بلاثبر ، كان يقوم بتجارب على مسحوق غريب أخضر اللون فحدث إنفجار فى المعمل ، ونسف السيد بلاثبر فى « البعد الخامس » ووجد بلاثبر نفسه فى عالم غريب من الظلال تنيره شمس خضراء ، هذا العالم يبدو أنه متقاطع مع عالمنا الأرضى على نحو ما ، وتعيش فيه كائنات غريبة مهمتها مراقبة الأحياء على هذه الأرض التى نعيش فيها ، فهى تقضى كل وقتها فى مشاهدة عالمنا ومحاولة التأثير فيه خيرا وشراً . ومن حسن حظ السيد بلاثبر ـ بعد مغامرات كثيرة تعرض لها ـ أنه كان يحتفظ معه بالزجاجة التى تحوى المسحوق السحرى ، فإستطاع أن يحدث إنفجارا آخر عاد به مرة أخرى الى إنجلترا القرن التاسع عشر التى ينتمى إليها !

xxx

وقصته ويلز هذه ، محض خيال بالطبع ، ولكنها جديرة بالذكر لانها أول اشارة فى الفن الروائى الى مايسمى « بالبعد الخامس » وهى فكرة ظل العلماء والرياضيون يبحثونها عشرات السنين ، فمثلا كان الرياضى الروسى العظيم « لو باتشفسكى » الذى مات عام ١٨٥٦ أول من أشار الى أن الهندسة التى ندرسها فى المدارس والمعروفة باسم هندسة اقليدس ليست هى الهندسة

الصالحة للتعامل مع الكون ، لأنها تقتصر على قياس الأبعاد الثلاثة للمسطحات ولا تصلح للأشكال الكروية . فمثلا نجد أن مجموع زوايا المثلث المرسوم على سطح كرة أكثر من ١٨٠ درجة . وجاء بعد ذلك العالم الألماني برنارد ، وهو عبقري رياضي آخر ، فقال بأن الفضاء الكوني نفسه ملتو ، واخترع هندسة خاصة بهذا الفضاء المنحني ، وكذلك عندما وضع العالم الطبيعي الشهير ماكس بلانك « النظرية الكمية » التي تقول بأن الضوء والحرارة ليستا موجات وإنما دقائق أو جزيئات ـ وجد من اللازم بالنسبة له أيضا أن يخترع هندسة يكون فيها الفضاء ذا أبعاد كثيرة أخرى غير الأبعاد الثلاثة المعروفة .

وبالطبع ، ليس في إمكاننا مجرد أن نتخيل عالما له عشرات الأبعاد ، تماما كما أنه ليس في إمكاننا أن نتخيل ألوانا أخرى غير ألوان الطيف المحددة التي يتحلل إليها شعاع الضوء خلال منشور زجاجي ونستطيع رؤيتها بأعيننا المجردة ، وهي : الأحمر فالبرتقالي فالأصفر فالأخضر فالأزرق فالنيلي فالبنفسجي . فهذه الألوان السبعة هي التي نستطيع إلتقاط موجاتها ، ولكن إذا كانت أعيننا من القوة والحساسية بحيث يمكنها أن تلتقط ما تحت الأشعة الحمراء أو ما فوق الأشعة البنفسجية لامكننا أن نرى ألوانا أخرى لا تخطر لنا على بال ، ومن المستحيل علينا أن نتصورها كما يستحيل على الأعمى إبتداء أن يدرك معنى الألوان ، ولكن مثل هذه الموجات الضوئية موجودة بالفعل ومستخدمة في الطب وغيره ، فإذا كانت مثل هذه الألوان الجديدة ممكنة علميا ، فلماذا لا تكون « الأبعاد الجديدة » ممكنة أيضا ؟

اننا نعيش بحكم طبيعتنا المادية في مدى محدود من الذبذبات لا نستطيع إدراك ما هو أدنى منها وما هو أعلى وهذا ما يحدد لنا الأبعاد المكانية الثلاثة التي يحيط بها إدراكنا ، ولكن ذلك لا ينفي إحتمال وجود أبعاد أخرى في هذا الكون لا تخطر لنا على بال وإذا حدث فينا التغيير المناسب فإننا ندرك حينئذ هذه الأبعاد الجديدة ونشاهد عوالم مختلفة تماما .

فهل يكون داڤيد لانج ، مثل بلاتنر في قصة ويلز ، والسيدة المصرية في مدينة الاسكندرية ، قد إختفوا في البعد الخامس ؟ هذا مالا سبيل الى التحقق منه ، أنه مجرد فرض نظري بالطبع ، أما الذين شاهدوا الحادث فقد وصفوا

إختفاء لانج بأنه يشبه إنفجار فقاعة الصابون !

وهناك حادث شهير مماثل وقع فى صيف ١٩٠٦ ، هذه المرة فى جلو شستر بجنوب غربى إنجلترا ، إذ خرج ثلاثة أخوة أطفال من أسرة فوغان يتمشون فى حقل مجاور لمنزلهم ، وفجأة إختفوا عن الأنظار ، وهم صبى فى العاشرة من عمره وشقيقتاه الصغيرتان ، وخرج سكان القرية للبحث عنهم ، وإستمر البحث ثلاثة أيام تم خلالها مسح القرية بأكملها وكل المنطقة المحيطة بها شبرا شبرا دون أن يعثروا للأطفال على أثر . وفى فجر اليوم الرابع بينما كان أحد الفلاحين يسوق محراثه فى طريق الى العمل ، ألقى نظرة الى الحقل فشاهد الأطفال الثلاثة نائمين فى حفرة قليلة الغور وفى مكان ظاهر تماما للأعين ، وعندما أوقظ الأطفال وسئلوا عما حدث لهم قالوا إنهم لا يذكرون إطلاقا أى شىء حدث لهم منذ دخلوا الى الحقل الى أن أوقظوا فى الحفرة .

وفى أواخر الاربعينات استجوب باحث مهتم بالظواهر الغريبة* الصبى فوجان ، وكان قد أصبح عندئذ رجلا فى الخمسينات من العمر ، فقال أنه لا يذكر شيئا مطلقا عما حدث

كانت وجهة نظر البوليس وقت الحادث ان الأطفال الثلاثة قد إختطفوا ثم أعيدوا خوفا من إنكشاف الجريمة ، بل وقد وجه هذا الإتهام بالفعل الى الفلاح الذى أرشد عنهم ، ولكن الإختطاف لا يفسر لماذا فقد الأطفال ذاكرتهم ، كما أن عائلة فوغان كانت أسرة فقيرة لا يمكنها دفع أية فدية مهما كانت بسيطة ، ثم لماذا يتجشم الخاطف عناء خطف ثلاثة أطفال معاً بدلا من واحد فقط يؤدى الغرض المطلوب ؟ لم يجد البوليس بالطبع إجابة عن مثل هذه الأسئلة ، وظل الحادث غامضا .

xxx

وقد قيلت نظريات مختلفة فى تفسير مثل هذه الحوادث ولكنها تظل فروضا نظرية لا يقوم عليها دليل .

قديما ، قالوا مثلا ان حوادث الإختطاف المفاجىء من فعل الجن أو العفاريت ، ولكن هذه الكائنات فوق البشرية أحيلت الى التقاعد فى العصر الحديث ولم تعد صالحة لتفسير شيء من الظواهر التى كانت تعزى إليها فى الماضى !

وقال باحث حديث يدعى هارولد ويلكنز فى كتاب له بعنوان « ألغاز . . حلت ولم تحل » ان هناك نقطا معينة على سطح الأرض كانت مرتبطة فى الماضى بأعمال السحر والمراسم الوثنية القديمة ، ولاتزال فى الوقت الحاضر تغشاها قوى غريبة مجهولة ، وإذا كان الأمر كذلك يمكن أن تكون الأبعاد العادية المعروفة فى عالمنا الطبيعى مثنية أو ملتوية فى هذه النقط ، وعندئذ يكون من الممكن تصور سقوط إنسان أو حيوان فى بعد آخر وإختفائه من عالم الأبعاد الثلاثة مع إستمراره على قيد الحياة ، وربما يكون هذا ما حدث للمزارع لانج وللاخوة فوغان ، ولحسن حظ الأطفال فقد سقطوا من البعد الجديد مرة أخرى أما لانج فلم يتمكن وظل محاصرا فى البعد الخامس !

وقال باحث بريطانى آخر يدعى جون ميتشيل فى كتاب بعنوان « وجهة نظر حول اطلانطس » صدر عام ١٩٦٩ ان الصينيين القدامى كانوا يعتقدون أن الأرض مغطاة بشبكة من خطوط القوى المغناطيسية يسمونها « لونج - مى » أى طرق التنين ، وان هذه الطرق تمتد لتشمل العالم كله ، وان النقط التى تلتقى عندها عدة طرق من هذا النوع تعتبر « مراكز مقدسة » مشحونة بقوى غريبة ، أن هذه القوى يمكن أن تكون مسئولة عن الإختفاء المفاجىء للأشخاص والأشياء .

وقد يمكننا تصور أن البقع التى يختفى فيها الأشخاص والأشياء فوق سطح الأرض تشبه ما إكتشفه العلماء مؤخرا وأسموه « بالثقوب السوداء » فى السماء ، إذ يحدث أحيانا أن يختل التوازن بين قوة الجاذبية المركزية وقوة الطرد المركزية داخل النجم أو المجرة ، وتتغلب الأولى ، فتأخذ مكونات الجسم السماوى فى الانضغاط ويتصاغر الجسم فى الحجم والمساحة الى أن يصبح خلال لحظات قليلة أشبه ببذرة صغيرة لا تلبث أن تتلاشى هى أيضا ، وهكذا يختفى النجم الكبير أو المجرة العملاقة من الوجود ، ولكنه يترك مكانه ما يشبه الثقب فى

السماء وتكون قوى الجاذبية داخل هذا الثقب قوية للغاية بحيث إذا إرتطم أى شيء بهذا الثقب سواء كان نجما أو شهابا أو سفينة فضاء ، فإنه يختفى فى الحال ، ويتحول الى عدم ، وحتى شعاع الضوء نفسه لا يمكنه إختراق هذا الثقب الذى يبدو كأنه يبتلع كل شيء ، ومن هنا جاءت تسميته .

فلماذا لا يكون على الأرض ما يشبه هذه البقع السوداء التى تمتص كل شيء ؟ أو أن مثل هذه البقع تتحقق فجأة تحت شروط معينة أو ظروف معينة لا نعلم عنها شيئا فإذا مست شيئا عندئذ أخفته من الوجود ؟

أننا لا نعلم شيئا على وجه اليقين سوى أن هذه الظاهرة على غرابتها وندرتها محتملة علميا ، وقد تحققت عمليا فى عشرات الحالات ، وتركتنا حيارى ، بين مؤيد ومكذب ، لنزداد حيرة إزاء عجائب هذا الكون الذى هو أعجب مليون مرة مما قد يتصور أذكى العلماء !

بحر الشيطان

ليس من المناسب أن نسمى كوكبنا الذى نعيش فيه « الأرض » . . قد يناسبه أكثر أن نسميه كوكب « البحر » . . فثلاثة أرباع الكرة الأرضية مغطاة بالماء ، وإذا ذاب الجليد الموجود فى القطبين فإن نصف الربع الباقى سوف يختفى هو أيضا تحت الماء ، ونحن بنو البشر أشبه ببحارة نجوا من الغرق وتعلقوا بجزر صغيرة فوق صفحة هذا الأوقيانوس العظيم من الماء ، ان المحيط الهادى وحده أكبر من كل المناطق اليابسة مجتمعة وهو أيضا من العمق بحيث يتسع لكتلة فى حجم القمر ، وهناك نظرية بالفعل تقول ان القمر إنفصل عن الأرض مخلفا مكانه المحيط الهادى . .

ونحن نعتقد أننا نعرف كل شيء عن البحار والمحيطات لمجرد اننا أبحرنا فوقها ، وهذا وهم كبير ، فنحن لا نعرف مثلا سوى ٢٪ من قاع المحيطات ، ولا يمكن أن نتصور عمق هذه المحيطات ، فالمحيط الهادى يصل عمقه فى بعض الأجزاء الى سبعة أميال أو أكثر ، ولا أحد نجح فى الوصول الى قاعه على الاطلاق ، فالبحر كما يقول المستكشف الغواص جاك كوستو أشبه بإناء مملوء بالصابون السائل ، تجده أكثر كثافة وسمكا كلما تعمقت فيه ، ونحن لا نتصور امكان وجود كائنات حية فى مثل هذا العمق الكبير ولكن إستخدام أنواع معينة من الغواصات المصممة للأغوار العميقة والتى وصل بعضها فعلا الى عمق سبعة أميال تحت سطح البحر كشف خطأنا فى هذا الاعتقاد ، وأصبحت تتكشف لنا بإستمرار أنواع من الأحياء المائية لم نكن نتصورها ، ففى عام ١٩٣٨ مثلا اصطيدت فى المحيط الهندى سمكة ثديية ضخمة من الحيوانات البحرية اللافقارية كان من المعتقد أن جنسها إختفى منذ ٦٠ مليون سنة ، وهناك أدلة على وجود الحوت الذى يبلغ طوله ١٠٠ قدم وأكثر على النحو الذى شاهده وحكى عنه ملاحنا العمانى السندباد . والواقع اننا كلما إزددنا معرفة بالبحر أخذت تتكشف لنا ألغازه وغرائبه .

وأكبر خطر يتهدد البشر من البحر . . أنه يمكن أن يبتلعهم دون أن يتبقى منهم أثر ، ليس المقصود بذلك مجرد الغرق البسيط فالبحر يميل الى لفظ الغريق الذى إبتلعه من قبل حيث يعثر عليه اخوانه من بنى البشر ، وإنما المقصود تلك الإختفاءات الغامضة التى تحدث فى البحر أحيانا على النحو الذى تحدثنا عن أمثالها على الأرض . . إلا فيما عدا ان إختفاءات البحر أكثر حدوثا وأشد غرابة .

فالسجلات البحرية حافلة بحالات كثيرة إختفت فيها سفن أو بحارة دون أن يتركوا وراءهم أى أثر ، وإذا درسنا بعض هذه الحالات الكلاسيكية نستطيع أن نعثر على نمط عام لهذه الإختفاءات ففى حالة بعد أخرى يبدو كأن شيئا أخاف البحارة فغادروا السفينة ، لماذا ؟ وإلى أين ؟ لا أحد يعلم ، فهؤلاء البحارة إختفوا الى الأبد ولم يعد لهم أثر .

هناك حالة المركب الشراعى الهولندى « هيرمينيا » التى شاهدها قارب صيد تبحر على غير هدى بالقرب من الساحل الجنوبى للجزر البريطانية فى عام ١٨٤٩ ، كانت صواريها مجردة من الأشرعة نتيجة فيما يبدو لتعرضها لعاصفة ، ولكن عندما صعد الى سطحها بحارة قارب الصيد ، لم يجدوا أحدا على ظهرها ، فقد غادرها الرجال جميعا ، والغريب أن سترات النجاة الخاصة بهم وجدت فى أماكنها بالصناديق كما أن ممتلكات البحارة كانت تبدو سليمة لم تمس ، وليس هناك ما يدل على أعمال عنف أو ذعر ، فكل شىء منظم فى مكانه المعتاد . . ولكن الملاحين إختفوا !

وهناك حالة أكثر إلغازا تتعلق بالسفينة البريطانية « ايلين أوستن » ففى صيف ١٨٨١ أبحرت السفينة فى طريقها الى ميناء سان جونز فى نيو فوندلاند ، وفى وسط المحيط الأطلسى شاهد بحارتها سفينة شراعية تسير فى خط مواز لهم ، ولما إقتربوا منها تبينوا أنها تائهة تضرب على غير هدى ، وصعد إليها فريق من البحارة فوجدوا كل شىء فيها منظم ولا أثر فيها لأعمال عنف ولكن بحارتها لا وجود لهم . وبقى على ظهر السفينة التائهة عدد من بحارة « ايلين أوستن » ليقودوا هذا الصيد الثمين . وسارت السفينتان فى خطين متوازيين

فترة من الوقت ، ثم هبت عاصفة باعدت بين السفينتين ، وعندما هدأت العاصفة وظهرت السفينة الغامضة مرة أخرى ، نظر قبطان « ايلين اوستن » خلال منظاره المكبر فلم يجد على ظهرها أحد ، فأمر بإنزال قارب الى البحر ، وذهب بنفسه إليها ، فوجد السفينة خالية . . إختفى رجاله الذين تركهم فوقها !

وشاع الذعر وسط بحارة « ايلين اوستن » وكان على القبطان أن يبذل مجهودا كبيرا فى إقناع أربعة آخرين من رجاله بالبقاء عى ظهر السفينة الغامضة وقيادتها بدل المختقين ، ووعدهم بمكافآت سخية ، ومرة أخرى سارت السفينتان جنبا الى جنب ، ثم سبقت السفينة الغامضة حتى إختفت وراء الأفق ، فلم يهتم القبطان بالأمر إعتقادا منه أنه سيجد السفينة فى ميناء سان جونز عندما يصل إليه . ولكن عندما وصل الى الميناء لم يجد أثرا للسفينة ، لقد إختفت تماما برجاله الأربعة الآخرين !

والمشكلة الرئيسية فى مثل هذه الحالات ان السفينة لا تحتفظ بسجل للأحداث مما يدعو القارىء المدقق الى الشك فى صحة هذه الأنباء ، ولكن فى بعض الحالات ، خاصة الحديثة منها ، كما فى حالة السفينة الأمريكية « جويتيا » التى عثر عليها مهجورة بالقرب من جزيرة ساموا فى عام ١٩٥٥ ، تبين أنها تحتفظ بسجل دقيق لليوميات ينتهى التدوين فيه فجأة ولا يوجد به ما يدل على أن السفينة تعرضت لمتاعب فى البحر أو أعمال عنف ومما يدعو الى مزيد من الدهشة فى حالة هذه السفينة ، أنها كانت مكسوة على جوانبها بطبقة من الفلين تجعل من المستحيل أن تتعرض السفينة للغرق ، وكان ربانها يعرف ذلك جيدا وكثيرا ما فاخر به ، فما الذى أغرى بحارتها بتركها والنزول الى قارب النجاة الذى لم يعثر عليه فى السفينة ؟ لا أحد يدرى !

وقد أثارت مثل هذه الحوادث مخيلة الروائى البريطانى آرثر كونان دويل فنشر فى شبابه عام ١٨٨٤ رواية عن لغز الباخرة الأمريكية « ارى شيلتسى » التى لقيت نفس المصير فى عام ١٧٧٢ وإقترح المؤلف ان يكون السبب وقوع السفينة فيها أسماه « بعقدة القوى السوداء » وهى فكرة من خيال دويل بالطبع ، ولكن الرواية على أية حال رفعت مؤلفها المغمور فجأة الى الشهرة ، ولفتت أنظار الناس الى هذه الظاهرة الغريبة ، ومالبث أن لحقت بها عشرات

الكتب والروايات الأخرى التى تدور حول إختفاءات غامضة فى البحار .

والواقع أن حوادث إختفاء السفن أو بحارتها وقعت فى أماكن كثيرة مختلفة حول العالم . ولكن أشهرها منطقتين صغيرتين تعتبران مسئولتين عن معظم حوادث الإختفاء المماثلة ، وهما « مثلث برمودا » و « بحر الشيطان » الأولى تقع فى المحيط الأطلسى بالقرب من الشاطىء الشرقى للولايات المتحدة ، والثانية تقع فى جنوب شرقى اليابان بالمحيط الهادى ، وقد إكتسبت كل منهما شهرة شريرة .

مثلث برمودا

واضع تعبير « مثلث برمودا » هو المؤلف الأمريكى فنسنت جاديس المتخصص فى حوادث البحر الغامضة ، وقد لاحظ جاديس مع كثيرين غيره ، من قبله ومن بعده ، ان هناك منطقة على شكل مثلث تقع بين ساحل فلوريدا الشرقى وجزيرة برمودا ثبت أنها شديدة الخطورة على الملاحة البحرية والجوية على السواء . فهى مسئولة عن الاختفاء الغامض لما لا يقل عن ١٠٠ سفينة وطائرة راح ضحيتها أكثر من ألف شخص . ومعظم هذه الحوادث الغامضة وقع منذ عام ١٩٤٥ ، وفى جميعها كان الإختفاء كاملا فلم يعثر على قطعة واحدة من الحطام أو الجثث ، كما لو كان البحر ينشق فى هدوء ويبتلع السفينة أو الطائرة .

ومن أشهر حالات الإختفاء فى مثلث برمودا ما حدث يوم ٨ يناير ١٩٦٢ حين قامت طائرة عملاقة تابعة للسلاح الجوى الأمريكى من طراز بوينج ستراتو تانكر من مطار لانجلى بڤيرجينيا فى طريقها شرقا الى جزر الآزور ، وبعد قليل تلقى برج المراقبة اشارات لاسلكية ضعيفة من الطائرة تدل على أنها فقدت الطريق ، وعندما توقفت الاشارات بدأت حملة تفتيش واسعة النطاق عن الطائرة ، فلم يعثر لها على أثر .

كما وضع تشارلس بيرليتز كتابا عن « مثلث برومودا » وكتابا آخر عن الإختفاءات الغريبة فى هذه لمنطقة أسماه « بلا أثر » وأورد فيه قائمة طويلة بهذه الإختفاءات إبتداء من السفينة الفرنسية « روزالى » التى غثر عليها فى المنطقة فى

عام ١٨٤٠ وكانت أشرعتها سليمة وحمولتها تامة ولكن بدون بحارة ، وإنتهاء بإختفاء سفينة الشحن الأمريكية الضخمة « انيتا » وتبلغ حمولتها ٢٠ ألف طن يوم ٢٣ مارس ١٩٧٣ .

إختفاء الطائرات

وأولى حوادث إختفاء الطائرات فى مثلث برمودا حدثت يوم ٥ ديسمبر ١٩٤٥ حين إختفت خمس قاذفات تابعة للبحرية الأمريكية كانت فى مهمة تدريب روتينية ، كانت كل منها تحمل ضابطا طيارا وأثنين من المساعدين ومزودة بوقود يكفيها للطيران أكثر من ألف ميل ، فى حين أن الرحلة تستهدف أقل من ٥٠٠ ميل ، وأقلعت الطائرات الخمس من قاعدة « فورت لوردال » بفلوريدا فى الساعة الثانية بعد الظهر ، وفى الساعة الثالثة والربع تلقى برج المراقبة رسالة غريبة من قائد الفريق قال فيها أنهم ضلوا طريقهم ولا يستطيع أن يرى الأرض ، ولما سئل أن يحدد موقعه أجاب بأنه لا يعرف ، كان من الواضح أن أحهزة البوصلة فى الطائرات الخمس لا تعمل وكذلك جهاز القيادة الآلية ، وقد تبين ذلك من إلتقاط إشارات ملاحى الطائرات الذين قالوا ان جميع الأجهزة فى الطائرات قد أصيب « بجنون » ، فكل منها يسجل قراءة مختلفة عن القراءات الأخرى ، ثم بدأ تشويش قوى يحول دون الاتصال بالطائرات أو سماعها بوضوح ، وآخر رسالة واضحة أمكن تلقيها كانت فى الساعة الرابعة عصرا ، وعرف منها أن الطيارين مازالوا لا يعرفون أين هم بالتحديد .

وعلى الفور قامت طائرة إنقاذ بمحركين من طراز « مارتن ماريئر » تحمل ١٣ شخصا للبحث عن الطائرات التائهة ، ولكن بعد إقلاعها بقليل فقد برج المراقبة الإتصال بها أيضا ، وضاعت هى الأخرى . وبالرغم من حملة البحث المكثفة التى بدأت بعد ذلك وإشتركت فيها مئات الطائرات والسفن إلا أنه لم يعثر على أى أثر للطائرات الست .

وقد أورد تشارلس بيرليتز ١٤ حالة لإختفاء طائرات فى مثلث برمودا منذ عام ١٩٤٥ ، وفى كل حالة تتردد نفس العبارة : فقد الإتصال بالطائرة .

شهادات الناجين

لم يكن بيرليتز أول من كتب عن « مثلث برمودا » فقد سبقه كما رأينا فنسنت جاريس وآخرون ، ولكنه كان أول من أورد شهادات لاشخاص نجوا بالكاد من أخطار « المثلث » منهم الكابتن دون هنرى ، وهو صاحب شركة إنقاذ سفن فى فلوريدا ، وقد ذكر أنه فى عام ١٩٦٦ كان يقود زورق قطر يسحب وراءه ناقلة بترول فارغة ومعطوبة ، كان الجو صافيا هادئا ، وفجأة أخذ عقرب البوصلة يدور دورات سريعة كالساعة الخربة ، وهاج البحر « فلم يكن بمقدورنا أن نرى الأفق كما لو كان الماء والسماء والأفق أصبحوا شيئا واحدا » وتوقفت الأجهزة الكهربية ، كانت المولدات تدور كالمعتاد ولكن لا ينطلق منها سيال كهربى ، وإختفت السفينة المقطورة تحت سحابة من الضباب ، ففتح هنرى أقصى سرعة ممكنة ولكنه أحس كما لو أن شيئا يمسك بهم ، وفجأة إنطلق الزورق حرا وظلت السفينة المقطورة عدة دقائق يغطيها الضباب بالرغم من عدم وجود ضباب فى أى مكان آخر ، وفى النهاية تمكن الزورق من قطرها تدريجيا ، وعادت مولداته الكهربية الى العمل كالمعتاد غير أن كل التيارات فى السفينتين أصابها التلف وتسربت شحناتها .

ووصف الطيار شوك ويكلى كيف أنه كان يطير من ناساو الى فورت لودردال فى عام ١٩٦٤ عندما أخذت أجنحة طائرته تلمع بشدة ، ثم انتقل اللمعان الى داخل الطائرة وكل أجهزتها ، وتوقف جهاز القيادة الآلى كما توقفت الأجهزة الكهربية الأخرى أو شذت عن المألوف ، وحاول ويكلى أن يوجه الطائرة يدويا ولكن البريق الشديد داخل الطائرة كان يغشى ناظريه فإضطر الى ترك الطائرة تنطلق كما تشاء ، وبعد خمس دقائق مرعبة ، أخذ البريق يخفت تدريجيا وعادت الأجهزة الى العمل كالمعتاد .

وفى أبريل ١٩٦٣ شاهد ملاحو طائرة بوينج ما يشبه إنفجارا ذريا فى البحر داخل منطقة مثلث برمودا ، فقد إرتفعت المياه فى تل كبير عرضه نصف ميل ، وعندما استفسر الطيار فيما بعد من حرس الشواطىء ووكالات الأرصاد الجوية عما إذا كان قد حدث زلزال فى المنطقة أبلغوه أنه لم يحدث أى شىء غير معتاد .

والشيء المحير فى معظم هذه الحوادث ليس شذوذ البوصلة وإنما ضياع القوى الكهربية ، فالبؤصلة تضطرب إذا إقتربت من مغناطيس كبير أو كتلة من الحديد الخام ، ومن المحتمل أن يكون هناك مستودع ضخم من الحديد المغنط تحت قاع البحر فى منطقة مثلث برمودا يؤثر فى عمل البوصلة ، ولكن العلم لا يفهم كيف يمكن تسريب شحنة كهربية من « بتاريه » أو منع مولد عن توليد الكهربا وإذا أمكن فهم ذلك فإنه يمكن أن يصبح سلاحا ماضيا فى الحروب ومع ذلك فإن القوى النشطة فى منطقة مثلث برمودا يبدو أنها تتدخل فى الدوائر الكهربية .

وأقترح البعض أنه ربما يكون سبب هذه الإختفاءات فى البحر وجود إختلال ما فى مجال الجاذبية ، أو بمعنى آخر وجود قوة مضادة للجاذبية تجعل قوانين الجاذبية الأرضية لا تعمل على النحو المعتاد ، ولكن مثل هذه التفسيرات لا تفيد إلا شيئا واحدا هو أننا لا نعرف سوى القليل جدا عن ظاهرة الجاذبية وكيف يمكن أن تتأثر بالظروف المحلية ، وكل ما يمكن قوله أنه لو كانت مثل هذه القوى المضادة للجاذبية موجودة حقا فإن مثلث برمودا يعطينا تطبيقا صارخا لها .

بحر الشيطان

ونفس هذه الملاحظات تنطبق على « بحر الشيطان » وهى منطقة فى المحيط الهادى تبعد ٨٠٠ ميل جنوب شرقى اليابان بين جزيرة « إيوجيما » وجزيرة « ماركوس » ولكنها أقل شهرة من مثلث برمودا ربما لبعدها عن الشاطىء اليابانى فى حين أن المثلث ملاصق للساحل الأمريكى وتقطعه بالتالى كثير من السفن والطائرات ، ومع ذلك فإن « بحر الشيطان » مسئول عن إختفاءات عديدة أيضا ، فقيما بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٤ إختفى فيه ما لا يقل عن ٩ سفن كبيرة بلا أثر ، وإهتمت الحكومة اليابانية بالأمر وأعلنت هذه المنطقة « خطرا » لا يجوز الإقتراب منها ، وفى عام ١٩٥٥ أوفدت الحكومة اليابانية بعثة من العلماء الى المنطقة على ظهر السفينة « كايو مارو » لبحث هذه

الظاهرة ولكن « كايو مارو » إختفت كذلك بدون أثر !

وقد حاول عالم أمريكى شغوف بجمع الغرائب يدعى ايفان ساندرسون أن يرى وضع كل من مثلث برمودا وبحر الشيطان على الخريطة ، فلاحظ أن المنطقتين تقعان تماما على نفس خط العرض بين ٣٠ و ٤٠ درجة شمالى خط الإستواء ، ولهما تقريبا نفس الحجم ، وتوصل ساندرسون بناء على ملاحظات أخرى الى أن هناك ١٢ منطقة من هذا النوع فى العالم ، اثنتان منها فى القطبين الشمالى والجنوبى ، والعشرة الأخرى تصطف فى صفين أحدهما أسفل خط عرض ٤٠ درجة شمالا والآخر أعلى خط عرض ٤٠ درجة جنوبا ، وتفصل بين كل منها والأخرى ٧٢ درجة من خطوط الطول . ومنها ـ الى جانب تلك التى فى القطبين ـ منطقتان تقعان على الأرض اليابسة احداهما شمالى الصحراء الأفريقية الكبرى والأخرى فى منطقة جبلية شمال غربى الهند .

ولاحظ ساندرسون ان معظم هذه المناطق المشتبه فى أمرها تقع فى مناطق من المحيط تصطدم فيها التيارات الحارة والباردة ، وان هذه المناطق تعد بمثابة « نقط عقدية » حيث تتجه التيارات المائية العلوية والسفلية فى إتجاهات مختلفة ، ويعتقد ساندرسون ان هذه الحركة القوية للتيارات المتعارضة والمتأثرة بإختلاف درجة الحرارة تؤدى الى إحداث « دوامات مغناطيسية » هى أساس كل هذه المتاعب .

ولكن نظرية ساندرسون لايقوم عليها دليل ، فليس هناك ما يثبت أن إرتطام التيارات المائية فى المحيط يؤثر فى مغناطيسية الأرض ، كما أن نظرية ساندرسون لا تفسر كيف تعمل مناطق قبور الشيطان على اليابسة ، وهى أثنتان فى القطبين الشمالى والجنوبى والثالثة فى شمال الصحراء الكبرى والرابعة فى شمال غربى الهند ، ثم ان هذه النظرية تفشل أيضا فى تفسير لماذا عثر على كثير من السفن فى هذه المناطق المهجورة ليس عليها أحد ولا نعرف أين ذهب بحارتها وما الذى سبب لهم حالة من الذعر جعلتهم يغادرون السفينة ومع ذلك فإن ساندرسون قدم بلاشك ما يمكن إعتباره أساسا لنظرية جديرة بالإهتمام .

وحتى يقول العلم كلمته الأخيرة فى الموضوع ستظل إختفاءات البحر كاختفاءات الأرض لغزا يدعو الى أشد الدهشة لمخالفته قوانين الطبيعة .

السعد والنحس

هل يمكن أن يكون للأشياء المادية تأثير بالخير أو الشر على الإنسان ؟

من الناحية العقلية البحتة يستحيل أن يتحقق ذلك ، فالتمثال أو الخاتم أو التميمة ليس أكثر من قطعة من المعدن أو الحجر أو الورق لا يتصور العقل أن تؤثر فى صاحبها خيرا أو شرا .

والسيارة مثلا ليست أكثر من مجموعة أجهزة ميكانيكية لا يمكن أن تباشر على صاحبها نفوذا معينا خارج قدرته على قيادتها ، فتضمن له السلامة أو تلقى به الى التهلكة .

وقل مثل ذلك فى كل الأشياء .

ومع ذلك . فكثيرا ما نسمع عن النحس الذى تجره أشياء مادية على أصحابها ومهما كنت أيها القارىء مؤمنا بالمذهب العقلى فإنك سوف تتردد فى سكنى منزل تكتشف أن ساكنيه الأربعة السابقين قد لقى كل منهم مصرعه بطريقة غير متوقعة ، هل يمكنك رغم ذلك أن تغامر بأن تكون الخامس أو لا تكون ؟

لا شك أنك سوف تتشاءم من هذا المنزل ، ولن تسكنه مهما كنت متمسكا بالمذهب العقلى . . إلا إذا كنت تعانى من ميول إنتحارية دفينة !

الطيـــــرة

وقد كان العرب ـ خاصة فى الجاهلية ـ يتفاءلون ويتشاءمون . .

وكذلك كل الشعوب قديما وحديثا ، راقية ومتخلفة . .

والتفاؤل والتشاؤم ، والسعد والنحس ، واليمن والشؤم ، من الألغاز الغريبة فى هذه الحياة . . أننا لا نعرف أساسها العلمى أو كيف تعمل القوى المسئولة عنها ، وقد نميل الى تجاهلها ، ولكنها تثبت فى بعض الأحيان أنها حقائق لا سبيل الى أنكارها ، وأن كنا لا نعرف لها أساسا أو سببا .

وقد كان أهل الجاهلية يعرفون « الطيرة » أى التشاؤم ، وقد اشتقوا هذه التسمية من « الطير » لأنهم كانوا يزجرون الطيور ويراقبون حركاتها عند الطيران ، فإذا إتجهت يمينا دلت على فأل ، وإذا تياسرت أى إتجهت يسارا دلت على شؤم ، فهم يتيامنون فى الأولى ويتشاءمون أو يتطيرون فى الثانية .

وكانوا إذا أرادوا القيام بعمل أو سفر أو حرب أو زواج أو تجارة أو غير ذلك من الأعمال ، زجروا الطير ـ وأحيانا الوحش على أنواعه ـ ليقرروا ما إذا كانوا يقومون بهذا العمل أو يمتنعون عنه .

وكانوا يقولون أن الطيرة فى « المرأة والدار والدابة » أى أن هذه الأشياء قد تكون سعدا أو نحسا ، ويعتقدون أن نحر الذبائح يزيل النحس ، لهذا فهم ينحرون عند الزواج ، وعند دخول العتبات الجديدة ، وغير ذلك من المناسبات ، ولاتزال هذه العادة موجودة الى اليوم .

وكانوا أكثر ما يتشاءمون من الغراب ، فهو لديهم غراب البين ، والناعب بالخراب والبوار ، ونذير الموت والشؤم والفراق ، ولذا اشتقوا منه « الغربة » و « الاغتراب » و « الغريب » ولكنهم كانوا أيضا يتشاءمون من أشخاص وأشياء وطيور كثيرة أخرى كالبومة والوطواط والأعور والأشقر وأصحاب العاهات والريح الباردة وأيام النحس . . الخ

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتشاءم ، وكان ينهى عن زجر الطير « أقروا الطير على مكناتها : لا تطيروها ولا تزجروها » ولكنه كان يتفاءل إذا سمع الكلمة الحسنة كأن يسمع أحدا ينادى « يا سالم » أو « ياناجح »

ويروى أنه قال « لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل » .

وبذلك وضع الرسول الكريم أصبعه على سر التفاؤل والتشاؤم ، وهو الحالة النفسية للإنسان ، أو الإيحاء الذاتى . . ومن أعلم من الرسول الكريم بالنفس البشرية وأعماقها ؟

اله الحظ اليابانى

هذه القصة رواها الكاتب البريطانى س . جـ . لامبرتس فى كتاب أصدره عن رحلاته . .

قال لامبرتس أنه وزوجته كانا يزوران مدينة « كوبى » باليابان خلال جولة بحرية عالمية قاما بها ، ولفت نظرهما فى محل للعاديات تمثال صغير من العاج لإله الحظ اليابانى « هو - تى » ، وهو على شكل رجل بدين باسم نصف عار يجلس على وسادة ، أعجبت الزوجة مارى بالتمثال وقررت شراءه ، وزاد سرورهما عندما وجدا ثمنه رخيصا رغم أنه مصنوع من العاج ، بدت الصفقة لهما أشبه بضربة حظ غير متوقعة ، فاشتريا التمثال ، وفى قمرتهما بالسفينة التى يبحران عليها أخذا يتفحصانه جيدا . . كان فى لون القشدة الناصعة دلالة على أنه من العاج القديم النقى ، ومنحوتا نحتا رائعا ، ليس به عيب سوى ثقب صغير فى أسفله ، ويبدو أن التمثال صنع من قاعدة سن فيل وهذا الثقب عبارة عن مكان العصب الذى كان يربط السن ، لذا فقد حشاه الصانع بعجينة مختلفة من العاج ، ولكن على الاجمال كان التمثال يبدو نموذجاً « للقطات » النادرة التى يحلم بها السياح .

وضعت مارى لامبرتس التمثال فى إحدى حقائبها ، وأبحرت السفينة الى الفلبين ، وفى اليوم التالى بدأت السيدة لامبرتس تعانى ألما حادا فى أسنانها ، أعطاها طبيب السفينة بعض المسكنات ولكنها لم تفد ، وقضى الزوجان الرحلة التى إستغرقت ١٢ يوما فى حالة من البؤس الشديد بسبب آلام الزوجة التى لا تطاق . وفى مانيلا ، وقبل أن تتمكن السيدة من زيارة الطبيب أصيب الزوجان بحمى شديدة من أبرز مظاهرها أوجاع فى كل مفاصل الجسم ، وعندما مثلت السيدة فى النهاية بين يد طبيب الأسنان أخطأ الطبيب ومس

بمضعه عصب أحد أسنانها فازدادت ألما بدلا من أن تشفى .

وفى المرحلة التالية من الرحلة حيث كانت السفينة فى طريقها الى أستراليا ، إنتقل اله الحظ اليابانى على نحوما الى حقائب السيد لامبرتس وفى اليوم التالى بدأ يعانى ألما ممضا فى أسنانه ، وعندما استشار الطبيب فى ميناء كيرنس بأستراليا أكد له الطبيب أن جميع أسنانه فى حالة سليمة ، وكان الألم قد توقف فعلا أثناء زيارته للطبيب ، ثم عاد بشدة فور وصوله الى قمرته فى السفينة ، وبعد يومين إستشار طبيباآخر ، وتكرر نفس الشىء ، وفى زيارة ثالثة أصر لامبرتس على أن ينزع الجراح أسنانه الواحدة بعد الأخرى الى أن يتوقف الألم ، وتوقف الألم بالفعل بعد نزع السن الأولى ، ولكنه إرتد أشد مما كان عندما عاد لامبرتس الى السفينة .

وفى سيدنى ترك الزوجان حقائبهما فى مخزن الجمرك ، فتوقف ألم الاسنان ولكن فى الرحلة الى نيوزيلندا عادت الحقائب الى قمرتهما وعادت معها آلام الأسنان ، وإستمر الحال على هذا المنوال طيلة الرحلة الى شيلى ثم الى الولايات المتحدة ، وفى نيويورك زار الزوجان أم الزوجة وهى سيدة أمريكية وأعجبت بتمثال « هو ـ تى » أعجابا شديدا فأهدياه لها ، وفى نفس اليوم بدأت أسنان الأم تؤلمها ـ وهى أسنان سليمة قوية ـ فتشاءمت الأم من التمثال وأعادته الى ابنتها وزوجها قائلة « ان مقدمه سيىء » ومع ذلك فإن الزوجين لامبرتس لم يربطا حتى الأن بين التمثال وألم الأسنان !

ولكنهما شكا فى هذه العلاقة لأول مرة وهما يعبران الأطلنطى فى رحلتهما الأخيرة من الولايات المتحدة الى بريطانيا ، فقد استعارت منهما التمثال إحدى الراكبات لتريه لزوجها ، وفى صباح اليوم التالى أبلغتهما وهى تعيد التمثال أنها أصيبت هى وزوجها فى الليلة السابقة بآلام حادة فى أسنانها ، وعندئذ بدأ الزوجان لامبرتس يدركان أن الآلام كانت تهاجمهما كلما كان التمثال معهما ، فإذا تخلصا منه توقفت الآلام ، وأخذا يراجعان سجل هذه الآلام فإزدادا تحققا من ذلك ، وعندئذ أرادت الزوجة أن تلقى بالتمثال فى البحر ولكن الزوج أثناها عن ذلك فقد خشى أن ينتقم « الاله اليابانى » بأفساد كل أسنانهما مدى الحياة ، ولذا فقد أبقيا المثال معهما حتى عادا الى لندن ، وهناك أراه الزوج لتاجر تحف شرقية يابانى الذى عرض أن يشتريه على الفور ، فقال لامبرتس أنه

لا يستطيع أن يأخذ نقودا مقابل التمثال بل كل ما يريده ويتمناه أن يبرأ هو وزوجته من آلام الأسنان الحادة ، وحكى للتاجر كل ما كان من أمر التمثال معهما ، وعندئذ نادى التاجر على أحد مساعديه فجاء من داخل المحل رجل يابانى عجوز يرتدى زيا تقليديا يابانيا ، وأخذ الرجلان يفحصان التمثال بعناية ، وفهم لامبرتس منهما ان « هو - تى » كان تمثالا من تماثيل المعابد فى شرقى اليابان وأن مثل هذه التماثيل يكون لها فى بعض الأحيان « أرواح » ثم وضع اليابانى العجوز التمثال على مذبح صغير فى نهاية المتجر وأشعل أمامه بضع أعواد من البخور وقام وهو فى حالة من الخشوع الدينى الشديد بصرف لامبرتس الى خارج المتجر .

ولم يجرؤ لامبرتس على زيارة متجر العاديات اليابانى ومشاهدة التمثال مرة أخرى ، لقد وقر فى ذهنه أن الإله اليابانى إنتقم من الكافرين به الذين إنتزعوه من معبده ، وربما يكون هذا هو السبب فى رخص ثمنه أصلا إذ أراد حائزة السابق أن يتخلص من لعنته ، وجاءت هذه اللعنة من نوع الرعب والألم اللذين لابد أن يكون قد عاناهما الفيل الذى إنتزعت منه هذه الناب ربما قبل أن يموت وظل مكان ثقب العصب ظاهرا فيه !

طائرة وسيارة وقلعة

وأحيانا يطارد النحس أشياء معينة على نحو يصعب معه رده الى محض الصدفة .

من قبيل ذلك ما حدث لطائرة ركاب ضخمة بأربعة محركات من طراز لوكهيد - كونستلليشن . ففى شهر يوليو عام ١٩٤٥ بدأت سلسلة النحس بالنسبة للطائرة بحادث وقع ضحيته أحد عمال الصيانة ، إذ إقترب العامل من أحد محركات الطائرة لتنظيفه فدار المحرك وقتله ، وبعد ذلك بعام فى ٩ يوليو ١٩٤٦ مات قائد الطائرة الكابتن ارثر لويس بالسكتة القلبية وهو يجلس فى كابينة القيادة بينما كانت الطائرة تعبر الأطلنطى ، ثم بعد عام بالضبط فى ٩ يوليو ١٩٤٧ إنفجر أحد محركات الطائرة بعد إقلاعها بقليل وشب حريق فى غرفة القيادة كاد يؤدى الى كارثة لولا أن تمكن الطيار ومساعده من الهبوط

بمعجزة ، ومر العام التالى ١٩٤٨ بلا حوادث ، ولكن فى ١٠ يوليو ١٩٤٩ تحطمت الطائرة بالقرب من شيكاغو وقتل جميع من فيها .

ومن الأمثلة الشهيرة لنحس السيارات ما حدث لسيارة الأرشيدوق فرانسيس فرديناند ولى عهد النمسا والمجر الذى اغتاله طالب صربى فى مدينة سيراجيفو فى عام ١٩١٤ أثناء ركوبه سيارته وماتت زوجته معه فى الحادث ، وهو الحادث الذى أشعل نيران الحرب العالمية الأولى ، وبعد قيام الحرب بقليل حاز السيارة الجنرال « بوتيوريك » قائد جيش النمسا وبعد أسابيع قليلة لحقت به هزيمة ساحقة فى « ڤالجيڤو » فأعيد الى ڤينا مهانا ، ولم يستطع أن يتحمل مهانته ، فجن ، ومات .

وكان المالك التالى للسيارة ضابط فى الجيش النمسوى من هيئة أركان « بيوتريك » وبعد تسعة أيام من إمتلاكه السيارة صدم بها أثنين من الفلاحين فقتلهما ثم إصطدم هو نفسه بشجرة فدقت عنقه .

وفى نهاية الحرب إمتلك السيارة حاكم يوغوسلافيا فوقعت له أربعة حوادث طرق فى أربعة أشهر وفقد فى الحادث الأخير ذراعه فباع السيارة الى طبيب ، وبعد ستة أشهر عثر على السيارة المشئومة فى حفرة والطبيب مسحوقا الى الموت بداخلها ، وذهبت السيارة بعد ذلك الى تاجر مجوهرات ثرى لم يلبث ان إنتحر بعد عام ، وإمتلك السيارة طبيب آخر ولكنه تشاءم منها فباعها بخسارة كبيرة الى رياضى سويسرى بحترف سباق السيارات ، وقتل المالك الجديد فى سباق بجبال الألب الإيطالية عندما إرتطمت السيارة فى السور ، وكان المالك التالى مزارع من الصرب ومات هو أيضا فى حادث بداخلها ، أما المالك الأخير فكان صاحب « جراج » سيارات يدعى تيبور هيرشفيلد ، وذات يوم كان عائدا بالسيارة مع ستة من أصدقائه بعد حضورهم حفل عرس ، وحاول هيرشفيلد أن يتجاوز سيارة أخرى أمامه ، فإنقلبت بهم السيارة وقتل مع أربعة من أصدقائه ، ويبدو أن هذا السجل أصبح حافلا بما فيه الكفاية فنقلت السيارة الى متحف ڤينا حيث لا تزال فيه الى اليوم .

وهناك مثال آخر للمنازل التى تجلب سوء الحظ لسكانها هو قلعة « ميرامار » بالقرب من تريستا ، فقد بنى هذا القصر الامبراطور فرانز جوزيف امبراطور النمسا فى منتصف القرن التاسع عشر ولكنه لم يسكن فيه وكان أول من سكنه الأرشيدوق ماكسميليان الذى أصبح امبراطورا فيها بعد على المكسيك واعدم هناك أمام فرقة إطلاق النار وأصيبت زوجته بالجنون . وسكنت القصر بعد ذلك الأمبراطورة إليزابيث وإبنها الأمير رودلف ، وفى عام ١٨٨٩ قتل رودلف عشيقته البارونة مارى ڤيتسيرا داخل قصر ميرامار وإنتحر أمام جثتها ، وفى عام ١٨٩٨ أغتيلت الامبراطورة إليزابيث على يد فوضوى إيطالى يؤمن بتحرير إيطاليا من النمسا .

وكان التالى فى سكنى القصر هو الأرشيدوق فرنسيس فرديناند ابن عم رودلف وصاحب السيارة المشئومة التى قتل فيها عام ١٩١٤ مما أدى الى قيام الحرب العالمية الأولى ، وفى نهاية هذه الحرب إنتقل للاقامة فى « ميرامار » الدوق أوستا ، وقد مات هذا الدوق النمسوى فى معسكر إعتقال بريطانى أثناء الحرب ، ثم أقام فى القصر على التوالى اثنان من الجنرالات الانجليز أثناء إحتلال الحلفاء لإيطاليا ، وقد مات الأثنان بالسكتة القلبية واحدا بعد الآخر ، وتحولت قلعة ميرامار بعد ذلك الى متحف !

xxx

اننا لا نملك إزاء مثل هذه الحالات إلا أن نتساءل : هل كل هذه الكوارث والحوادث المفجعة التى تتعلق بشىء من الأشياء محض صدفة ؟ هل يكون السبب هو لعنة تصيب هذا الشىء بسبب أول حادث قتل أو عنف يقع فيه ؟ ولكن ماذا تكون هذه اللعنة وكيف يمكن أن يفسرها العلم ؟ أم هل يكون السبب أن من يستخدم الشىء المشئوم يعلم مقدما أنه ملعون أو مشئوم وبذلك يتهيأ فى لاشعوره كى يكون عرضة لحادث مماثل ؟ ولكن ماذا عن حادث تمثال إله الحظ اليابانى الذى لم يربط الزوجان لامبرتس بينه وبين آلام الأسنان التى أصابتهما ؟

مثل هذه الأسئلة ستظل معلقة ، ويظل النحس من الألغاز الغريبة التى يتعرض لها الأشخاص والأشياء فى هذه الحياة ، ولكن لا شك فى ان الحالة

النفسية للمتشائم تلعب دورا أساسيا فى دفعه للوقوع فى المتاعب كحالة الشخص الذى يشتهر عنه أنه سىء الحظ أو « منحوس » فيضطرب عقله وأعصابه ويصبح مؤهلا للوقوع فى الأخطاء التى تجلب عليه المزيد من النحس . . ولذلك فقد نهى رسولنا الكريم عنِ الطيرة والتشاؤم ، وأثبت التيامن والتفاؤل ، مع أن السبب فى الحالتين غامض ، ادراكا منه بأعماق النفس البشرية ، واستعدادها للتأثر بالإيحاء الذاتى .

معجـــزات الشـــفاء

معجزات الشفاء من الألغاز الغريبة التى لا نعرف لها أساسا .. الكسيحون يمشون ، العميان يرون ، الأورام تزول ، أمراض عجز الطب عن شفائها ، ومرضى حفيت أقدامهم بحثا عن علاج .. كل ذلك ينقضى أحيانا فى لمح البصر دون سبب مفهوم .

السبب الظاهرى انهم يزورون مكانا مقدساً يشتهر عنه حدوث معجزات الشفاء ، قد يكون معبدا دينيا ، أو مزاراً لقديس ، أو مجرد أثر قديم ، ولا تلبث أن تحدث المعجزة ويتم الشفاء ، أحيانا فى نفس المكان .. يأتى المريض محمولا على محفة أو زاحفا على ركبتيه ، وينصرف ماشيا على قدميه أو يأتى أعمى يتلمس طريقه بعصا أو مستندا على كتف صبى وينصرف بصيراً يرى الأشكال والألوان .

حدثت هذه الظواهر ولا تزال تحدث فى كل عصور التاريخ ، وفى شتى أنحاء الأرض ، وتتحول الى قصص يرويها الناس ويشكك فيها الأطباء والعلماء ، فلا المرضى يتوقفون عن الذهاب ، ولا الأطباء يقتنعون .

ولكن ، لكثرة ما حدثت هذه الظواهر ولكثرة ما كتب عها من تقارير ، بعضها من وضع أطباء معالِجين ، ليس من السهل أن نرفضها إبتداء ، فهى إحدى الغرائب والألغاز فى هذه الحياة ، وعلينا أن نقبلها ثم نختلف بعد ذلك فى تفسيرها كما نشاء .

وأشهر تفسير لمعجزات الشفاء انها تتم بالإيحاء الذاتى ، فإن عددا كبيرا من هؤلاء المرضى يكونون مؤمنين إيمانا عميقا بأن معجزة ستحدث فى هذا المكان ، فلا تلبث أن تحدث المعجزة بالفعل .. ربما بإتحاد قواهم النفسية أو

بقوة عقلهم الجماعى اللاواعى وما أن تحدث حالة شفاء حتى يزداد الإعتقاد رسوخا وتتكرر الظاهرة مرارا .

ويعتمد هذا التفسير على أن الإيحاء الذاتى له قوة معنوية هائلة التأثير فى الإنسان . . فالإنسان كما هو معروف ليس جسدا فقط . بل جسد وروح ، وكثيرا ما تكون للأمراض العضوية أسباب نفسية ، هذه الأسباب إذا زالت زال مظهرها العضوى بالتالى ، وأغلب هؤلاء المرضى الذين تحدث لهم معجزات الشفاء فى « الأماكن المباركة » يكونون من هذا النوع أى من المرضى النفسيين الذين يتخذ مرضهم شكلا عضويا كالعمى أو الكساح ، فإذا زاروا المكان وهم مؤمنون بالشفاء حتما فإن مخهم يصدر الإشارات أو الموجات اللازمة لفك المرض العضوى الذى يشكون منه .

ولكن بعض الخبراء لا يكتفون بهذا التفسير ، وإنما يتصورون أن البقعة التى تحدث فيها معجزات الشفاء توجد بها قوة خاصة قادرة على إبراء الأمراض ، هذه القوة عبارة عن قوى مناطيسية تستطيع التأثير فى الجسم البشرى .

طــرق التنين

وقد نشأت هذه الفكرة أساساً فى التراث الصينى القديم ، إذ كان الصينيون القدماء يعتقدون أن سطح الأرض باكمله مغطى بخطوط مغناطيسية يطلقون عليها طرق التنين تنتشر كالشرايين فى الجسد وانه يحدث أن تلتقى عدة طرق من هذا النوع فى عقدة واحدة فيكون لهذه البقعة خصائص سحرية ، وتحدث فيها ظواهر غير مألوفة كالاختفاء المفاجىء أو البرء من الأمراض .

ويميل بعض العلماء المحدثين الى تأييد هذه النظرية الصينية القديمة ، ويقولون ان الشعوب القديمة كانت تعرف بطريقة ما مكان وجود هذه البقع المغناطيسية فتقيم عليها معابدها الضخمة التى تستخدم فيها جلاميد الصخر الثقيلة ، وأن هذه القوة نفسها ربما كانت بطريقة ما تساعد فى رفع الأحجار الى أماكنها ، ويرون ان الأهرامات والمعابد المصرية القديمة خير مصداق لذلك ، لأنه ليست هناك قوة بدنية مهما كانت قادرة على رفع هذه الأحجار التى يزن

بعضها عشرات الأطنان وترتيبها فى مكانها بدقة متناهية ، وهو امر تعجز عن القيام به أحدث معدات الرفع والبناء الحديثة .

ولكن كيف يمكن ان تعمل هذه القوة ؟ هذا مالا سبيل الى معرفته ، غير أن الجواب لابد أن يكمن فى وجود نوع من التفاعل الغامض بين هذه القوى الأرضية والذهن البشرى . وهذا التفاعل هو الذى يؤدى الى معجزات الشفاء التى تحدث فى بعض الأماكن .

ولكن لماذا لا تتكرر معجزات الشفاء الآن فى نفس اماكنها القديمة التى تقوم كاطلال بالية فقدت قدرتها على أى شيء ؟ الجواب هو أن نقط إلتقاء الخطوط المغناطيسية الأرضية أو طرق التنين ليست ثابتة ، وإنما هى تتحرك وتغير من أماكنها ، فالمكان الذى كان يشتهر فى الماضى بالقداسة ومعجزات الشفاء يفقد قدرته مع الزمن وتنتقل قواه الى مكان آخر غير مكتشف ، ثم يحدث أن يكتشف هذا المكان الجديد فيشتهر ويقصده الحجيج ، وهكذا !

تأثير القمر

وإذا كانت بعض الأماكن على الأرض يمكن أن يكون لها تأثير « سحرى » على الإنسان ، فإن بعض الكواكب فى السماء وخاصة القمر لها نفس هذا التأثير .

وهذه أيضا معلومة متوارثة عن التراث البشرى القديم . . فقد دلت الأبحاث الحديثة على أن القمر كان يلعب دورا بالغ الأهمية فى حياة ومعتقدات الشعوب البدائية ، وكانت عبادة القمر من أهم العبادات القديمة لأنها تتصل مباشرة بقوى الخصب والنماء .

وتقول العالمة الأثرية البريطانية مرجريت موراى ان مانسميه حاليا بالسحر والساحرات ـ وهى ظاهرة وجدت بشدة فى القرون الوسطى الأوربية ولا تزال موجودة فى أوربا الى الآن ـ ما هى الواقع إلا ديانة وثنية قديمة كان الأله الاساسى فيها « ديانا » ربة القمر ، وكان كهنة ديانا القدماء يقيمون طقوسها فى شكل حلقات رقص يرتدون فيها جلود الحيوان ويضعون على رءوسهم قرون

الوعول ، ولما جاءت المسيحية حاولت أن تقضى على هذه الديانة الوثنية ولكنها ظلت تمارس فى الخفاء ، وتحولت الى طقوس سحرية لازالت تمارس سرا ، وفى الميثولوجيا المسيحية نجد أن الكاهن ذا قرن الوعل يتحول الى « الشيطان » ولكنه فى الحقيقة كان هو الكاهن الساحر الطبيب أو « الشامان » فى مجتمعه الوثنى القديم .

وقد أثبتت الأبحاث الانثربولوجية الحديثة أهمية القمر فى طقوس ومعتقدات القبائل البدائية الموجودة الآن مثل سكان استراليا الأصليين وبعض القبائل الأفريقية البعيدة عن مؤثرات الحضارة كما بدأ العلم الحديث يكتشف وجود علاقة غامضة غريبة بين القمر ومظاهر الحياة على الأرض ، ليس فى ظاهرة المد والجذر فحسب وإنما أيضا فى تأثيره المباشر على الإنسان والحيوان فالمعروف مثلا منذ آلاف السنين ان هناك علاقة بين القمر والحالة العقلية للإنسان حتى أن بعض اللغات الأوربية الحديثة تشتق كلمة الجنون من معنى القمر ، ففى الانجليزية يقال للمجنون « ليوناتيك » من القمر « لونا » التى تحورت الى « مون » . كما ثبت أن بعض أنواع الحيوان تتأثر بالقمر فالمحارات مثلا تفتح صدفاتها وتغلقها حسب وقع المد ، وكان من المعتقد أن هذا النشاط من جانب المحار يأتى نتيجة لحركة المد والجذر وحدها ، ولكن العالم البيولوجى دكتور فرانك براون إكتشف سببا آخر ، فعندما وضع بعض المحار فى صندوق زجاجى مغلق فى المعمل ، بعيدا تماما عن تأثير الأمواج وجد أنها تواصل فتح صدفاتها وإغلاقها طبقا لحركات القمر .

ويلاحظ رجال البوليس ان جرائم العنف تزيد وقت إكتمال القمر ، وقد جاء فى تقرير رسمى لإدارة البوليس فى ڤيلا ديلفيا ما يلى : « ان الأشخاص الذين يعود سلوكهم المعادى للمجتمع الى جذور نفسية ـ كهؤلاء الذين يميلون الى اشعال الحرائق والمصابين بهوس السرقة والمرضى بجنون السرعة والسكارى ـ يبدو أن ثائرتهم تثور عند إكتمال القمر وتهدأ عندما يقل القمر » وكذلك تزيد عند إكتمال القمر بدراً جرائم ضرب الزوجات والأطفال .

ولكن كيف يمكن أن يؤثر فى الذهن البشرى ؟ ان الإجابة تكمن حتما فى تأثير القوى الكهربية ، فالعلماء يعرفون الآن ان منازل القمر تحدث تغيرات فى

المجالات الكهربية والمغناطيسية للأرض ، وقد وضع هارولد بور الباحث بجامعة ييل أجهزة « ڤولتا ميتر » حساسة فى الشجر فاكتشف أن المجالات الكهربية للأشجار تتغير طبقا للفصول والكلف الشمس ومنازل القمر ونفس هذه الأجهزة إذا وضعت فى البشر فإنها تدل على أى تغيرات تحدث فيهم نتيجة للمرض أو الدورة الشهرية أو غير ذلك من التحويلات الداخلية ، وعلى ذلك يبدو أن الصحة البشرية مرتبطة بقوى كهربية معينة فى داخل الجسم .

الوخز بالابر ونظرية البندول

والصينيون ـ قدامى ومحدثون ـ يعتقدون ان هذه القوى الكهربية تجرى فى خطوط تحت سطح الجسم ، وانها تلتقى أيضا فى عقد مثلما تلتقى خطوط أو طرق التنين تحت سطح الأرض ، وهذه العقد إذا مست بأبر رفيعة من الخشب أو المعدن فإنها تعالج المرض العضوى ، ولم يعد العلاج بالابر قاصرا على الصين وحدها هذه الأيام بل انتشر خارجها وإكتسب شهرة عالمية ، ويمكن بهذه الابر تخدير المريض دون حاجة الى مخدر ، وتعرض تليفزيونات الغرب أحيانا عمليات جراحية تجرى فى الصين يتم فيها التخدير بواسطة هذه الابر وحدها ثم تجرى العملية للمريض وهو فى كامل وعيه دون أن يحس بأى ألم ، وكان أحد هؤلاء المرضى يبتسم ويتبادل النكات مع الأطباء وهم يزيلون ورما من معدته .

ولكن إذا كان العلم الغربى قد بدأ يقبل فكرة السيال الكهربى البشرى الذى ينتعش بوخز الابر فإنه لايزال يقف مترددا فى قبول الفكرة الصينية الأخرى الخاصة بالسيال المغناطيسى الأرضى أو طرق التنين التى تلتقى فى عقد تكون لها خصائص مغناطيسية مغايرة للمألوف .

ويرجع ذلك كما هو واضح الى إعتقادنا بأن الأرض لا حياة لها فهى ليست كائنا حيا كالإنسان أو الحيوان تسير فيه السيالات الكهربية فنحن قد درجنا على الإعتقاد بأن الأرض جماد ، شيء ميت لا حياة فيه ، ولكن هذه الفكرة أصبحت الآن مطعوناً فيها وقابلة للنقاش .

فقد أثبت العلم الحديث ان الجماد يصدر أيضا ذبذبات أو موجة تردد يمكن إلتقاطها وقياسها ، وعن طريق هذه الذبذبات يمكن مثلا لأجهزة الرصد الحديثة أن تكتشف ما فى باطن الأرض من معادن وكنوز مخبوءة ، وهذه الأجهزة الحديثة ليست إلا تطويرا لفكرة البندول الذى كان يستعمله القدماء للكشف عما فى باطن الأرض من ماء وذهب وفضة .

والبندول عبارة عن كرة صغيرة من خشب البندق أو أية مادة أخرى تتميز بالخفة والصلابة ، وتربط هذه الكرة فى خيط ذى طول معين يمسك الباحث عن المخبوءات بطرفه الآخر ثم يقربه من المكان المراد البحث بداخله ويأخذ فى تحريك البندول حركة خفيفة الى الامام والخلف ، فاذا كان فى داخل هذه البقعة الأرضية شىء فإن البندول يغير حركته من تلقاء نفسه الى حركة دائرية . وعندئذ يشرع الباحث فى التنقيب فى هذه البقعة بحثا عن الماء أو المعدن

ويلاحظ أن لكل مادة موجة تردد خاصة بها لا يلتقطها إلا بندول بطول معين ، فمثلا إذا كان طول خيط البندول ٢٤ بوصة فإنه يكتشف الماس ، أما إذا كان طوله ٢٩ بوصة فإنه يكتشف الذهب ، وهكذا .

ويمكنك أيها القارىء قبل أن تسارع الى تكذيب هذا الكلام أن تتأكد منه بنفسك ، فما عليك إلا أن تصنع بندولا على النحو المشار إليه آنفا وتجعل طول الخيط ٢٤ بوصة ثم تطلب من أحد أصدقائك الرجال أن يستلقى على الأرض وتأخذ أنت فى تحريك البندول فوقه حركة أفقية ، بعد لحظات ستجد أن النبدول يتحرك حركة دائرية لأن موجة الرجل التى يكتشفها البندول تساوى ٢٤ بوصة فى طول الخيط ، وهو نفس طول الماس . والآن إجر نفس التجربة على سيدة ستجد أن البندول يستمر فى الحركة الأفقية ولا يقوم بالحركة الدائرية لأن موجة المرأة التى يلتقطها البندول هى ٢٩ بوصة ، فإذا أطلت الخيط الى هذا المقدار سيقوم البندول بالحركة الدائرية فوق السيدة من تلقاء نفسه ، فإذا جربته بهذا الطول الجديد على الرجل سيستمر فى حركته الأفقية فقط !

فالأرض إذن - أو الجماد بشكل عام - ليست ميتة على النحو الذى نتصوره - أنها كائن ذو حياة خاصة به بدليل ما يصدر عنه من ذبذبات ، والجماد فى النهاية ذرات مشحونة بالكهربا ، أو طاقة مكثفة ، وفى الأرض تسير المجالات الكهربية والمغناطيسية ، فليس ما يمنع اذن من الأخذ بالنظرية الصينية القديمة فى أن الأرض مغطاة بشبكة من خطوط القوى المغناطيسية الكهربية يسمونها « لونج - مى » أو طرق التنين .

هذه النظرية يمكن أن تفسر لماذا تبدو بعض البقاع على الأرض « مباركة » فتحدث فيها معجزات الشفاء وغيرها من الأحداث السارة ، وتبدو بقاع أخرى « مشئومة » تقع فيها الحوادث المؤسفة أو ربما الإختفاءات المفاجئة أو السقوط فى البعد الخامس .

ولكن المتشككين فى هذه النظرية ، يرجعونها الى الإيحاء النفسى أو التنويم المغناطيسى ، ولا شك أن نسبة كبرة من هذه المعجزات ترجع الى هذا السبب بالفعل ، ولكن ما القول فى أن بعض هذه « المعجزات » تحدث لأشياء وليس لأشخاص ؟ فكثيرا ما نقرأ عن صور لقديسين أو أشجار أو أشياء « تبكى » أى تذرف ماء كأنه دموع حقيقية ويقصدها الناس للحصول على قطرات من هذه الدموع للبركة والاستشفاء بها . أن مثل هذه الظواهر تدل على أن المعجزة تتعلق أيضا بالأشياء لا الأشخاص فحسب ، مما ينتفى معه فكرة الإيحاء الذاتى ولا يكون هناك من تفسير مقبول سوى وجود قوى حيوية فى المكان نفسه .

كل ما فى الأمر ان القوانين التى تحكم العلاقة بين القوى الحيوية الموجودة فى الأرض والقوى الحيوية الموجودة فى لاشعورنا أو عقلنا الباطن لاتزال مجهولة وغامضة ، وإذا إستطعنا التوصل الى فهم هذه القوانين سوف يكون ذلك دون شك فتحا جديدا فى معرفتنا بأسرار الكون وإستعادتنا لمفاتيح حكمة القدماء . . هؤلاء الذين تدل الشواهد على أنهم كانوا أساتذة فى الروحانيات بقدر ما نحن أساتذة فى الماديات !

القادمون من لا مكان

ذات يوم خرج عدد من المزارعين فى منطقة « ول بيت » بمقاطعة سو فولك بانجلترا إلى عملهم فعثروا على طفلين غريبين عن المكان . . وعن المعتاد من البشر على السواء .

خرج الطفلان ، وهما ولد وبنت ، من فوهة كهف مهجور ، كانا يبدوان دون العاشرة ، عاريين تماما من أى ملابس ، ولا يعرفان الكلام . . والاغرب من ذلك كله أن لونهما أخضر كأوراق الشجر .

فأخذهما المزارعون وعادوا بهما الى القرية ، وهناك التف الناس حول هذه الاعجوبة ، وأخذوا فى العناية بالطفلين وحاولوا معرفة سرهما بلا جدوى .

قدموا لهما أنواعا مختلفة من الطعام ، فرفضا الاقتراب منها اذ كانت تبدو غير مألوفة لهما ، فيما عدا الفول الأخضر فقد استطاعا تناوله .

وبعد أيام قليلة مرض الولد ومات ، ولكن البنت عاشت وتمكنت تدريجيا من تناول انواع أخرى من الطعام ، بل تمكنت من تعلم بضع كلمات باللغة الانجليزية ، وحين استطاعت فى النهاية الكلام ، شرحت قصتها الغريبة .

قالت إنها والولد جاءا من مكان ليس فيه شمس ، عالم غريب تماما عن هذا العالم الذى انتقلا إليه ، كل مافيه يتميز باللون الاخضر ، وانهما كانا يرعيان الاغنام وذات يوم تاها داخل كهف كبير وهما يبحث عن اغنامهما وعندما خرجا فى النهاية من فتحة أخرى فى الكهف وجدا نفسيهما فى عالم غريب ساطع البياض تنيره الشمس فإنتابهما ذعر شديد حتى جاء الفلاحون وأخذوهما .

وبدأ جلد الفتاة يفقد لون الاخضر تدريجيا وعاشت خمس سنوات ثم ماتت هى أيضا .

هذه القصة تأتى من سجلات القرن الحادى عشر وقد كتبها الاب رالف كوجشال فى « تاريخه » على أنها حقيقية حدثت فى زمنة وعاصرها بنفسه !

***

وليست هذه هى القصة الوحيدة عن العثور على مخلوقات غريبة أو أشخاص خضر بالذات ، فى عالمنا . فهناك عشرات القصص المماثلة عن أشخاص قدموا من لا مكان حدثت فى مختلف العصور بما فيها عصرنا الحالى . بل أن هذه القصص زادت فى عصرنا الحالى بالذات مع إنتشار ظاهرة الأطباق الطائرة وأفكار غزو الفضاء .

ومن أطرف القضايا الشهيرة التى تنظرها إحدى المحاكم الألمانية حاليا دعوى رفعها عالم يدعى الهر أوجست فورمان ويعمل مديرا لما يسمى « بمؤسسة فرانكفورت للبحث عن أسرار الأطباق الطائرة » ضد عالم المانى آخر يدعى كارل نايت وهو رئيس لما يسمى « بجمعية البحث عن أسرار الرجال الخضر » يتهمه فيها بالتجسس لحساب كواكب فى الفضاء الخارجى بقصد الحاق الضرر بكوكب الأرض .

وقال المدعى الهر أوجست فورمان إنه تحقق بأدلة قاطعة من أن الرجال الخضر راكبى الأطباق الطائرة الذين يشاهدون أحيانا فى أماكن مختلفة لديهم نوايا عدوانية ضد كوكب الارض ، وانهم قدموا من كواكب بعيدة واقاموا قواعد فضائية لهم فوق جبال التبت ، ومنها يقومون برحلات للتجسس على البشر والاتصال بعملائهم فى الأرض وعلى رأسهم الهر كارل نايث رئيس جمعية الصداقة بين البشر والرجال الخضر !

وطلب الهر أوجست فورمان وقف نشاط الهر نايت فوراً ، والحكم بحل جمعيته . .

ورد المدعى عليه الهر كارل نايت قائلا ان إتهامات فورمان لا أساس لها من الصحة ، وإنه على العكس تماما تأكد من ان الرجال الخضر الذين يزورون

كوكب الأرض أحيانا بأطباقهم الطائرة محبون للسلام وينشدون حياة أفضل للبشر ، وان الذى دفعهم الى زيارة الأرض فى السنوات الاخيرة هو احساسهم بالقلق المتزايد من جراء التجارب الذرية والهيدروجينية . وأضاف الهر نايت ان الرجال الخضر يهدفون إلى مساعدة إنسان الأرض على التخلص من خطر الهلاك الذرى وخطر الجرائم والحروب والإنفجار السكانى إلى غير ذلك مما يهدد الحضارة البشرية بالفناء . وعلى ذلك فإن الإتصال بهم ليس جريمة بل على العكس هو خدمة للبشرية التى تلتزم جميعته بأهدافها !

هذه القضية تنظر تباعا أمام القضاء الالمانى الآن ، وتتابعها الصحافة والجمهور بإهتمام بالغ ، وآخر مراحلها ان القاضى طلب من الطرفين تقديم شهود نفى واثبات ممن لهم خبرة فى علوم الفضاء وسكان العوالم الاخرى !

***

وتحفل السجلات القديمة بقصص كثيرة عن آثار غريبة يقال انها من فعل الجان أو الشياطين أو المخلوقات الغريبة . مثل آثار حوافر الشيطان أو أظافر الجان ، والمؤرخون حين يقرأون عن هذه القصص يفسرونها بأنها من اختراع عقليات بدائية تؤمن بالشعوذة والخرافات ، وقد تكون جميعها أو معظمها كذلك ، ومع ذلك فأنها تفتح بابا للتساؤل : ألا يمكن أن تشير مثل هذه القصص إلى حقيقة غائبة عنا بالفعل !

فمثلا جاء فى تاريخ الراهب البنديكتى ڤلاڤيلوس من مقاطعة « ايبرناى » بفرنسا إنه حدثت فى عام ٩٤٣م عاصفة شديدة وقد شاهد الناس فى ذروة هذه العاصفة شياطين وخيولا تعربد فوق سطح الأرض .

ويقول المفسرون ان هذه خيالات تراءت للناس اثناء العاصفة حيث تنطلق تيارات الهواء جائحة مزمجرة كالشياطين أو الخيول الهائجة .

وجاء أيضا فى سجلات الأب رالف كوجشال ، المشار إليه فى قصه الطفلين الخضر ، إنه حدثت فى انجلترا عاصفة شديدة فى يوليو ١٢٠٥ وعندما إنجلت شاهد الناس بكل وضوح « آثارا شيطانية معينة فى أماكن كثيرة لم ير لها شبيه من قبل ». والتفسير الظاهر ان هذه الآثار صنعتها عوامل التعرية نتيجة للعاصفة .

وفى منتصف القرن الماضى قامت فى انجلترا ايضا ضجة تابعتها الصحافة والجمهور حول ظهور علامات على سطح الجليد فى منطقة رڤونشاير تشبه حدوة الحصان أو ظلف حيوان غير معروف الفصيلة وكانت هذ العلامات تمتد زهاء ٤٠ ميلا على طول شاطىء ديڤون وهى تسير فى خط مستقيم كما لوكانت قد صنعتها قدم واحدة وكانت العلامات تتوقف عند الاسوار العالية ثم تعود فتظهر من جديد على الجانب الآخر للسور مع ان الجليد بأعلى السور لم يمس كما لوكان المخلوق الذى أحدثها قفز قفزة عالية فى الهواء متخطيا السور دون أن يمسه ، كما وجدت هذه العلامات على أسطح بعض المبانى التى تعترض خط سير المخلوق الغريب وقد رجح العلماء حينئذ أن تكون هذه العلامات قد صنتعتها مجموعة من حيوان « البارجر » [اسمه باللغة العربية الغرير] ، ولكن الصعوبة فى هذا الاعتقاد ان العلامات كانت تسير فى خط واحد وليس فى خطين متوازيين . ولذلك لم يأخذ أغلب الناس بأى تفسير ، وقالوا انها علامات أقدام الشيطان !

* * *

ويذهب بعض المهتمين بظاهرة الأطباق الطائرة إلى أنها لا تأتى من كواكب أخرى بعيدة عن كوكب الارض فى الفضاء الخارجى ، وإنما تأتى من عالم يقع فى بعد زمانى مكانى آخر مواز لعالمنا وتسكنه أيضا مخلوقات حية قد تكون أرقى حضارة منا ، واذا كان هناك أناس على الأرض يختفون بلا أثر لسقوطهم فى هذا البعد الآخر ، فلماذا لا يحدث العكس أيضا كذلك فتسقط مخلوقات من البعد الآخر فى عالمنا نحن ، وتظل فيه بعض الوقت ، ثم تختفى سواء بالتلاشى أو العودة الى عالمها الخاص ؟

ومن المهم أن نلاحظ أن معظم القصص الخاصة بالنشاط الشيطانى أو ظهور الملخلوقات الغريبة مثل تلك التى سجلها الراهب ڤلاڤيلوس والأب رالف تحدث أثناء أو بعد وقوع عواصف عنيفة . وقد دفع ذلك بعض مفسرى الظواهر الغريبة إلى القول بأنه يحدث خلال العواصف نشاط كهربى شديد القوة ، ومن المحتمل أن مثل هذا النشاط يخلق مجالات مغناطيسية غير معتادة تقوم بعمل مايشبه الجسور بين عالمنا والعالم الموازى له فى البعد المكانى ـ الزمانى الآخر !

* * *

وهناك ظواهر كثيرة اخرى لا تزال بمثابة الغاز تستعصى على الحل ، ولايفسرها ـ فى حالة تصديقها ـ سوى الاقرار بوجود بعد آخر لهذا الكون .

منها على سبيل المثال ظاهرة استحراك الاشياء التى تنسب إلى الأرواح الشريرة ، فكثيراً مانسمع عن بيوت « مسكونة » تحدث فيها ظواهر غريبة كطيران الأشياء فى الهواء ، وإشتعال الحرائق التلقائية ، والدق على الأبواب ، وسماع وقع أقدام مجهولة .

وهناك حالة سيدة « ممسوسة » كان يعالجها طارد الأرواح الشريرة المدعو ثيوفيلوس ريزنجر فى ولاية « ايوا » الأمريكية عام ١٩٢٨ ، فقد قيل أن جسد السيدة استطاع أن يخلص نفسه من قبضة عدة راهبات يمسكن به وارتفع على حائط الغرفة حتى اقترب من السقف حيث ظل معلقا فى الهواء بعض الوقت !

وهناك ظاهرة الأشخاص ذوى القوى الغريبة الخارقة من امثال يورى جيللر وماثيو مانتج اللذين يستطيعان ثنى الملاعق المصنوعة من الصلب بمجرد لمسها وتحريك الاشياء المادية بمجرد النظر إليها ، وغالبا مايؤكد أمثال هؤلاء الاشخاص انهم يستعينون بقوى غير مرئية .

وقد بحث عالم الطبيعة البريطانى جون تايلور كثيراً من هذه الظواهر فى معمله ، وأثبت أنها لا تنطوى على غش أو خداع . ومن بين الذين فحصهم هذا العالم أطفال كثيرون يتمتعون بمقدرة تحريك الاشياء بمجرد النظر إليها . ويعتقد تايلور أن قدراتهم هذه تنبع من قوة غامضة فى أذهانهم تشبه المغناطيسية ، فكما يحرك المغناطيس المعادن دون أن يلمسها تستطيع بعض الأذهان أن تفعل نفس الشيء على نحو نجهل قوانينه العلمية ، وربما تكون هذه القوة المغناطيسية التى يتمتع بها البعض ، وخاصة من الأطفال ، هى المسئولة عن نشاط الاستحراك الذى يعزى إلى الارواح الشريرة خاصة إن هذه الظاهرة لا تحدث إلا فى حالة وجود اناس فى البيت « المسكون » لا سيما من الأطفال دون سن الحلم .

واذا كانت القوة المنبعثة من ذهن طفل صغير تستطيع تحريك هذه الاشياء الصغيرة ، فلماذا لانفترض أيضا أن قوة مماثلة أقوى طاقة منها بما لايقاس قادرة

على رفع الاحجار الضخمة كاحجار الهرم الاكبر واحجار معبد بعلبك التى تزن عشرات الأطنان ؟!

ان تفسير مثل هذه الظواهر لا يخرج عن أحد احتمالين : إما أنها تعزى إلى قوة خارجية موجودة فى بعد آخر مواز لنا ، وهذه مشكلة تستعصى على الفهم ، وأما انها تنبع من عقلنا الباطن أو ذهننا اللاواعى وفى هذه الحالة تظل المشكلة محيرة إيضا لأنها لابد أن تفترض ان بعض الاشخاص يملكون شخصيات عديدة فى أبعاد مختلفة كحالة « دكتور چيكل ومستر هايد » ففى أى عالم تتواجد هذه الشخصيات ؟ هل يمكن أن يكون عالم الذهن اللاواعى هو نفسه أحد هذه العوالم الموازية التى نتحدث عنها ؟

* * *

هذه العوالم يمكن أن تتواجد فى ابعاد متوازية أو ربما كانت على درجات مختلفة من سلم الطاقة . ولكن من الممكن أن تمتزج أيضا فيما بينها كماتمتزج المواد الصلبة والسائلة والغازية فى عالمنا ، وعندئذ تنفذ الموجودات فى بعض هذه العوالم إلى غيرها من العوالم .

وهذه الفكرة على غرابتها ليست بالجديدة ، وانما هى قديمة قدم البشرية ، فمنذ أقدم العصور أدرك الإنسان ان هناك عوالم أخرى غير عالمه فى هذا الكون ، وان مخلوقات ماوراء الطبيعة يمكنها أن تؤثر فيه بالخير والشر ، فهناك عالم الملائكة ، وعالم الشياطين ، وعالم الأرواح أو النفوس التى تنتقل إلى العالم الآخر بالوفاة . . وهذه العوالم تتحدث عنها الكتب المقدسة بوضوح تام باعتبارها مراتب مختلفة من الوجود أو الحقيقة .

والآن ، إذا راجعنا تاريخ العلم خلال القرون القليلة الاخيرة من جاليليو إلى اينشتاين ، ومن اكتشاف الكهرباء إلى اكتشاف الثقوب السوداء فى السماء ، وتذكرنا الى أى مدى تطور علمنا بالطبيعة وكيف أصبحنا الآن نأخذ كمسلمات أشياء كنا نعتبرها حتى الأمس القريب من قبيل المستحيلات أو الالغاز الغاضة . . اذا تذكرنا ذلك كله لا يمكننا أن نرفض بخفة احتمال اننا نعيش فعلا فى كور متعدد الابعاد يكون فيه عالمنا مجرد وجه واحد من وجوه الحقيقية .

أن أحدا من سكان عالمنا هذا قد يختفى فجأة ، كما قد تظهر فى عالمنا أشياء لا تنتمى إليه كالأرواح الشريرة والاطباق الطائرة والاشخاص الخضر ، ومن المحتمل أن تكون هناك أنماط معينة من القوى الكهربية المكثفة قادرة على الوصل بين عالمين من هذه العوالم المتوازية أو المتدرجة فى سلم الطاقة أو الذبذبات ، ومن المحتمل أيضا أن تكون مثل هذه الانتقالات غريبة وغير مألوفة لسكان العوالم الاخرى كما هى بالنسبة لنا . وهناك مايشير الى أن جزءا منا ـ هو الجزء النفسى أو الروحى ـ يحتفظ بوسيلة اتصال خاصة مع العوالم أو المستويات الاخرى ، وهذا مايفسر كيف أن بعض الناس يملكون قوى خارقة كقوة الاستحراك أو التنبؤ بالمستقبل أو وصف الجرائم ومعرفة إطرافها بمجرد الامساك بشيء من متعلقاتها . فعالم الفكر أو الذهن الخالص له قوة هائلة اكبر بكثير ممايعتقد فى الظاهر ، انه يستطيع أن يسخر قوى تبدو مجهولة لنا تماما ، وبعض هذه القوى المجهولة التى نحاول أن نفهمها قد تكون ذات طبيعة خيرة أو ضارة أو شريرة كتلك التى تبدو فى اللعنات والشؤم والحسد .

***

هل يبدو هذا الكلام غريبا وغير قابل للتصديق ؟ ربما الامر كذلك بالفعل ! ولكن كم من الاشياء كانت تبدو لنا فى الماضى بمثابة الغاز لاحل لها فأذا بها الآن قد حلت .

تصور كتابا صدر فى الماضى يتحدث عن الغاز عصره العجيبة ، ان هذه الالغاز قد تشمل عندئذ مايظنه الناس نجوما تتساقط من السماء أو العثور على هياكل عظمية لمخلوقات غريبة لا يمكن تصور ضخامتها ، وغير ذلك من الاقاصيص التى تمزج بين الحقائق والخرافات وبين الواقع والأساطير . ولا شك أننا ونحن نقلب صفحات مثل هذا الكتاب الآن سوف نشعر بتفوقنا على أسلافنا ونقول « ياهم من بسطاء هؤلاء القدماء ! انهم لم يسمعوا بالشهب والنيازك ولم يعرفوا شيئا عن الديناصورات لقد ظنوا مثل هذه الأشياء الطبيعية من قبيل الالغاز التى لاحل لها ».

وبالمثل فأننا نتحدث الأن بدهشة واستغراب عن العوالم ذات الابعاد المختلفة وعن القوى الخارقة التى نشهد آثارها ، ونعتبر ان ذلك من قبيل العجائب والغرائب والالغاز التى لاحل لها ، ولكن قد يبتسم ازاءها أحفادنا فى المستقبل ويقولون عنا « لقد كانوا معزورين هؤلاء الاجداد فهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن مجالات الطاقة المغناطيسية أو سلم الذبذبات أو تعارض مجالات الجاذبية أو حتى عن كيفية مقاومة الزمن ! ».

المحتويات